

دار الكتب الوطنية



دار الكتب الوطنية  
ميدان الاميرة

الأوقاف الإسلامية

اهداءات ٢٠٠٢

أد/ مصطفى الصاوي الجويني  
الأسكندرية

درینى خشبه

# الأوذیه

لشاعر الخلود « هوميروس »

الثنى ٣٠

الناشر  
مكتبة دار الكتب الأهلية  
بميدان الأوبرا

---

مطبعة الرسالة  
القاهرة — ١٩٤٥

إلى اليونان الحديثة المجاهدة



# مقدمة

... وها هي ذى قصة الأوديسة ... أو الحلقة الثالثة من روائع الأدب اليونانى التى أخذت على عاتق تقديمها بطريقتى الخاصة لقرائى الأعزاء فى جميع الأقطار العربية ... أولئك القراء الذين أكرموني فتقبلوا كتابى السابقين : أساطير الحب والجمال عند الإغريق ، وقصة طروادة ، متضمنة إلياذة هوميروس الخالد ، الذى فُتِنْتُ به ، فلم أبال أن أقدم طُرفتيه المجيدتين لقراء الأدب الرفيع فى أقل من ستة أشهر ، ليشققا طريقهما وسط تلك الزحمة الصاخبة من مئات الكتب فى الأدب الرخيص .

ها هي ذى قصة الأوديسة إذن ... كما رويتها ، وهذبت حواشيها ، منذ عشر سنين ، جارياً فيها على المنوال الذى اخترته فى تقديم كتابى السابقين ... ذلك المنوال الذى ما زلت أراه أسلم الطرق لتحبیب روائع الأدب القديم إلى نفوس القراء فى هذا الزمن المُتَرَفِّ العَجُولِ المَلُولِ .

وبعد ... فلقد قلت أكثر ما كنت أصبو إلى قوله عن هوميروس فى المقدمة الطويلة التى صدرت بها لقصة طروادة ، وذكرت فيها الشئ الكثير عن قصة الأوديسة ، والذى لا أزال أرجوه هو أن يوفقنى الله إلى إصدار ما أعددته للطبع من روائع الأدب اليونانى الذى كان فى إحيائه إحياء أوروبا الحديثة ، والذى لا بد لمصر الحديثة ، بل للعالم العربى الحديث ، من الإلمام به ، إن كان فى نيتنا خلق أدب عربى حديث .

دريى فسيه

( القاهرة : ديسمبر سنة ١٩٤٥ )

## جڻ مينر شاو تيلماڪٽ

أنشد يا هوميروس !  
وظل في فم الأبد قيثارته المُرنة ، ونأيه المطرب ، وعوده الآن ،  
ونغمته الحلوة الحنون !  
أنشد يا شاعر العصر الخالي .  
وحلّ في الأسماع موسيقى مدوية ، وفي العيون دموعاً جارية ، وفي  
القلوب رحمة ومحبة ، وانفح عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة  
ونياناً ، وسريراً ووصولجاناً .  
تغنّ يا شاعر أولمب !  
ولترسل من جنتك نغمةً تنتظم الأفلاك ، ورنّةً تجلجل في الأنق ،  
وأهّةً تزلزل قلوب الجبارين !

\*\*\*

سقطت إليوم<sup>(١)</sup> ونزح المغير بخيله ورجله . فتعالى يا عرائس الفنون  
فانتقدي أوديسيوس في ذلك البحر اللجي يذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة  
تخلعه ، لا يعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ، ولا شاطئاً فيقصد إليه ...  
يخبط في البمّ على غير هدى ، ويرسل عينيه في الماء والسماء على غير  
بصيرة ... زرقاة متصلة في العلو والسفل ، وتيه لا نهائى يخبط في أحشائه  
أسطول السادة المنتصرين ...

---

(١) Ilium هي طروادة

والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس بجنوده في ذلك العباب ،  
وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول النأى وتسطط المزار ، إلا هو  
وإلاههم ، ممزقين في دار الغربية كل ممزق ، يتجشمون المصائب والأهوال ،  
ويتخبطون بين موج كالجبال ، ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن روع  
إلى روع . فإذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أفرعهم فيها غير  
الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحتهم أوديسيوس ...  
إلا نبتيون الجبار ، رب البحار ، الذي يضرر للبطل في أعماقه كل كراهة  
وكل بغضاء ، والذي آلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء ..

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين ، فانتهرها الآلهة  
فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولمب في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الإله  
الأكبر ، ريوس<sup>(١)</sup> ، فافتتح الجلسة بكلمة مخصصة توجع فيها لما يلقاه  
بنو الإنسان من صروف الحداث ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون  
المستكين وما لقيه على يدي زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس من غدر  
وغيلة ، ثم ألقى باللأمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل  
ما يصيبهم من خير وضرر هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند  
أنفسهم ... ولكن لا يفهمون !

ثم نهضت مينرفا ربة الحسمة ، دات العينين الزبرجديتين ،  
فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ...  
« ذلك التعس المسكين الذي تحببته<sup>(٢)</sup> وصحبته البحر ، وقضى عليه — دون

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter (٢) أصله وأسد عليه ماريا

أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كالپسو في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ماذنبه ؟ ماجريته ؟ لماذا يُبنى هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أن كر كم ضحى الأضهيات باسمك ، وقدم القرايين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شائئك ! لقد نمت إلى أن كالپسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا ... يا للهول ! كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التعاسة بنلوب ٢ ! بنلوب الحزونة المرزأة ! بنلوب التي صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما كرثها الدهر به من بعد زوجها ؛ بنلوب التي حافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل هكذا سجيننة في قصرها المنيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها الحانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أي ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليدود هذه الكلاب التي ولغت في حوضه ، وكادت تخوض في عرضه ؟ تداركه يا أبي ؛ تداركه بعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين .

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها بر البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من ترات وثارات ، « سببها هذه الفعلة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوڤس<sup>(١)</sup> ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان ينعم بسبيلها بزينة الحياة ... إطمئني يا بُنية وقرى عيناً ... إننا نحن الأعلون ، وسيرو نيتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعة أبداً ... »

(١) سيأى ذكر ذلك في الكتاب العاشر من الأوديسية .

وشاعت الغبطة في أعطاف مينرنا ، وتضرعت إلى مولاهما أن يُنفذ  
ولده هرمرز إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كالسوا أن تعد  
مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ، ليعودوا عليه إلى أوطانهم؛ ثم ذكرت  
أنها ستمضي من فورها إلى إيتاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر  
نلوب ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة  
أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً ، لصغر سنه ... « إلى سألهب إحساسه ،  
وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليبحث  
عن والده ، فإنه لم يعد طفلاً بعد ... » .

وانطلقت مينرنا فر ببط نعلها السحريتين ، على قدميها الجيلتين ،  
وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المنايا من سنانه ، ووضعت تاجها المرصع  
على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على  
مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة  
اقلبت فاتخذت شكل الآدميين ، وتخايلت في جسمان الأمير منتس<sup>(١)</sup>  
وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع  
العشاق المجانين من أجل ولية ، وتلفتت يمنة ويسرة ، ورأت الفتى  
الصادر الساهم الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ،  
وتغضنت ملء أساريه آلام ... وآلام .

وما هو إلا أن لحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم ... فهب  
للقائها مسرعاً ، ثم مد إليها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) بروي أن منتس كان بحاراً غريباً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة  
من غير أجر ، ولذلك كاتاه هوميروس فخلد اسمه بذكره في الأوديسة .

« مرحباً مرحباً بالفرّيب المكرّم ! هلم فشارك في ذلك القري ، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » وداف نحو الصالة المزخرفة ، وتمتعه مینرفا ، وفي يمانها ریحها الجبار الذي یقدح من سمانه الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأکبر الذي أسندت إليه مئآت الرماح ، والذي كان أودیسیوس یسند إليه رماحه وعدة حربیه ، تناول تليماک الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بین رماح العشاق الفاسقين . وتقدم نحو أریکة وبيرة منعزلة ، وسأل مینرفا فاستوت عليها ، وكأنا ثمة بآمن من أن یستمع إليهما أحد .. وأقبلت جارية فینانة رائعة تحمل طستاً وإریقاً من الذهب ، فصبّت الماء على بدی العیف ویدئ تليماک ؛ ثم مصت فأحضرت مائدة نسّقت عليها الورود والریاحین ، ونشط النادل<sup>(١)</sup> یحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوی ، فیاتی بها ملأی ویمضی بها فارغة .. والندمان<sup>(٢)</sup> فیما بین ذلك یجذب الزق<sup>(٣)</sup> إليه ویسقی .. ثم یسقی .. وشرع العشاق المحرمون بدورهم یلتهمون ما لذ وطاب من أكل وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فیمیوس نایه وأطلق یغنی .

واتهمز تليماک فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسأل الخیف قائلاً :

« یا أبجز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك الفسّاق ، لو أن رب البيت

(١) النادل خادم المائدة .

(٢) الندمان ساقى الشراب .

(٣) انزق قربة الخمر .

هنا ، أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسوقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب ، منهم إلى ذلك الطرب ؛ ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويثست من أوبته دياره . ولكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أى وأحبائه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« ليهداً باللك يا بنى ، فإنى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافيان) البحارين ، وسليل النخيلوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقبة مراسيها بالقرب من غابات (نيوس) . ولقد كننا ولا نزال من أحب ضيفان أبيك وأودهم إلى عواده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء ، إستوحينا آلهتنا فخبّرنا أنه لا بد عائد إلى وطنه سالماً غامماً ، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار .. ولكن خبرني بأربابك ، أفى الحق إنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاحك تشبه ملاحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سَمَرْتُ إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يُقدَّر لى أن أَسْمَرَ إليه مرة أخرى ؟ إننى من

وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ألا ما أشوقني إليه !  
ما أشوقني إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل في نفس تليماك فقال : « ويحك أيها الصديق !  
إنني أنا ابن أوديسيوس ما في ذلك ريب ، والعالم كله شهيد على ذلك » .  
ثم اختلطت الزرقة بالخضرة في عيني ربة الحكمة وفالت : « على  
رسلك يا تليماحوس ! إذن فما هذه الولايم وتلك السُّط ؟ وهذا الزحام  
من أين أقبل ؟ إنني لأُقلِّبُ ناظري في القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب  
يستأهل أن يُحتفى به أو يقام له وزن ! »

ويبتئس تليماك ويحيب : « أيها العزيز ... لقد هاجرت الفضيلة  
من هنا في إثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه ! وكان هو ،  
تداركته السماء ! يلقها هؤلاء بنظرة واحدة تكفي لتزول منها الجبال ...  
وأبتهاء ! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى  
اليوم أين مقره ولا أيان مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار إليوم لاجتمع  
الإغريق من كل حذب هنا ... هنا ... في حاضرة إيثاكا ليذرفوا  
دموعهم من أجله ، وليقيموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأوراق ،  
وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبجيل ...  
ولكن ! .. وأأسفاه ! ... لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى  
على وجهه وراء البحار في فجاج الشبح ، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة  
منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة  
الأولب ! ماذا عندك من الأقضية الخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة



هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج ... من الجزائر  
المتناثرة في البحر ، ومن المدائن المترامية في البر ... من ساموس ودلشيوم  
وزاكنشوس ! ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم يرابطون حول هذا  
القصر ولا يستحيون ... الفساق ! الأوشاب العراييد ! يطلبون يد  
الزوجة الوفية ... الأم المسكومة ... ينلوب ! ينلوب الباكية المحزونة  
المصدعة ! كثر أوديسيوس الذي لا يفنى ! يطلبون يدها ! ولا يرحون  
وفاءها وبكاءها ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردهم لمجزها ، ولا تستطيع  
أن تجيهم وهي لا تدري من أمر زوجها ... وهم طوال هذه السنين يريغون  
نعماء أبي ، فكهن في أشربات وآكال ، حتى أقفر الزرع وجف الضرع ،  
وما أحسهم مبقين على شيء ... حتى على ! »

\*\*\*

وانثال الحنان في فم مينرفا ، إذ هي تجيب الفتى الحزون :  
« ويح لك أيها الفتى ! رحمتك يا بني الصغير ! أواه ! لو أن أباك  
هنا اليوم ليزود أولئك المناكيد ! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب  
رحمه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له سهاماً مسومة  
سقاها أبي بعد إذ رفض أن يسمها إيلوس بن مرمريس <sup>(١)</sup> ...  
وهو لو صوبها إلى أولئك المعاليك لأبادهم .. يا رحمتك له ! إن أحداً غير  
— الآلهة — لا يعلم إن كان لا يزال حياً يرزق أو هو قد ابتلعه اليم  
أو عاجلته المنون ... تليماك ! يا ابن أعز الناس على ! إصغ إلي ، وع الذي

(١) أورد هاوميرس أسطورة لم نر أن نوردتها تخففاً .

أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك  
عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم  
بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك  
ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل  
رجل سواه ما دام أوديسيوس لم يؤب ؟ لِمَ يربضون هنا كسباع الفلاة  
يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك  
أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تليماك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم  
كلمتك ، ولتضارح أمك إن هي أرادت منهم بعلا فلتنصرف إلى بيت  
أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انهض أنت يا ابن أوديسيوس !  
فابحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفين وزاد ، وميرة وعتاد ،  
ولتبجر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولاً إلى ( بيلوس ) حيث الحكيم  
الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منلوس<sup>(١)</sup> ...  
أقلع بملكك إلى هذين فسانلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على  
خبر ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدم أورست الذي قتل  
قاتلي أبيه<sup>(٢)</sup> ، وفيهم أمه ... بوركت يا أورست ! بوركت يا أورست !  
هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حياً فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؛  
وقد تعود به ميتاً فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في العالمين أثره ! والآن ،  
فلأنهض أنا إلى رجالى وسمنى . فلقد بعدت طويلاً عنهم ... وكلهم يقين  
يا بنى أن تقدر نصيحتي وعلى الآلهة فلتتوكل ! » .

(١) روج هباين أخت بنوب والتي كانت سبب حرب طروادة .

(٢) أجاممنون .

وحين انتهت مينرقا من هذا الحديث ، حذجها تليماك وقال : « أيها الصديق حبا ، ويا أبرا الأوفياء سمعاً ! لقد أيقظت في ضميراً أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبداً ان أنسى كلمتك : أنا ابن أوديسيوس ! ولأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن مينرقا شكرته وأبت أن تأخذ شيئاً « فإذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود ، وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوهاً مشدوهاً حين رأى هذا الأمير ( منتس ) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون نسرأ قشعماً يضرب الهواء بجناحيه ، ثم يعلو و يعلو ... فيكون في السماء ويغيب عن نظريه !

ولم يحس الفتى يوماً بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلهاً يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء .

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أعاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأعاريد بين قيانها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسال فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يشير شجوها وشـجنها ... وتشور الدخوة في قلب الفتى ميصيح بأمه : « علام العويل يا أماه ؟ وما وقونك هذا الموقف تسترقين الغناء ؟ وما اعتراضك على المغنى ؟ دعيه فليغن مايشاء ،

فلقد غدونا سخرية القضاء وهُزِزَ المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس وذهبت معه كرامة هذا البيت ، وإني لصاحبها بعده ... فادخلي ، وليدخل معك قيانك ، ولتقمن جميعاً بشؤون المنزل ولتتخيلنَّ إلى مغزلك ومنسجك ، ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لي ... لي أنا وحدي : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الان في نفس أمه ، فاثنت مع قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذا دخلت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق أمي ! خذوا في لهوكم ، وتمتعوا قليلاً أو كثيراً ، فإذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن لي كلاماً معكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم من هنا ! أستمعون ! لقد طالما أتلقتم لنا زاداً وعتاداً ... ألا فلتلتمسوا الزاد والعتاد من عند أنفسكم ؛ ولتقيموا أفراحكم وولائمكم في غير هذا المكان ؛ فإن أبيتم فأبى مستعين بالآلهة عليكم ، ولتقص منكم السماء بما جرحتم ... » .

وما كاد يعرغ من قائلته حتى عضوا على أصابعهم لمفاجأتهم بهذا الكلام الخشن الذى لم يعتادوه . ونهض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماخوس ! لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ... يا لشؤم اليوم الذى تتوجك السماء ملكاً فيه على إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! » .

ويجيب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك حين تخلعه على السماء ... »

غير أن أمره إليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ...  
فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ... فإن هذا من  
حقى ! » .

وأجابه يوريماخوس : « إن من حقت أن تقول ما تشاء يا أخانا  
تليماخوس .. أما مُلك إيشاكا فالسما وحدها تؤتية من تشاء . ولكن  
قل لنا بربك من هذا الضيف الذى كان معك الساعة ؛ هل من قبل  
أبيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لدينا ؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره ، ولكننا  
لحنناه من بعد ، عليه سماء النجاة والجلال . من أين أقبل يا تليماخوس  
وفيم قدم ؟ ... » .

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد يوريماخوس ! إن يقبى  
أن أبى قد انتهى ... ولن تغرينى هذه الكلمات المعسولة التى يتشدق بها  
المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف ... هو من أصدقاء أبى أطبعاً ، وقد  
أقبل لمجرد الضيافة ، وهو الأمير منتس أمير البحارين وسيد تافوس ،  
وابن سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالها تليماخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛ ثم انثنى كل إلى محبته ،  
وانثنى تليماك إلى مخدعه بالطابق العلوى . حيث كانت مربيته يوريكليا  
تنتظره ، وتوقد له الشموع والسرّج . يالها من أنثى طيبة تخلص لمولاها  
وتحنو عليه ... لسرعان ما خلع ملابسه فعطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان  
ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة نابغة ممتلئة بالهواجس والأفكار .

## نيماتس بهادل العشاق

موّته أورورا<sup>(١)</sup> ، ابنة المعجر الوردية مشرق الأفق ، فهب ابن  
أوديسيوس من مرقده ، وأصلح من شأنه ، وتقلد سيفه<sup>(٢)</sup> ، ثم انفتل  
مختلاً ، كأحد آلهة الأولمب من باب محده ، وجعل يقلب عينيه في هذه  
الخيّام المضروبة التي تملأ حديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار  
الأشرار عشاق ينلوب ؛ وتلبّث قليلاً وفي القلب لظى ، وفي النفس كلوم ؛  
ثم صاح بالملأ فهبوا مسرعين ، وأخذوا ينسِلون إلى الردهة الكبرى ،  
حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجاً نحو عرش أبيه ، وفي يمينه  
رمح ظامئ إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في أبراد تلك الذئاب ، وعن  
جانبيه كلباه الضاريان ، وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت مينرقاً نفسها  
تضفي على الشاب سماء النبل ، وترقرق فوق ناصيته أمواهاً من العظمة  
والحد ، لتقذف منه الرعب في قلوب أعدائه ، حتى ابهرهم أن يروا في  
تنمّاك ذاك الضرغامه المختال .

وما كاد الفتى يستوى على عرش آبائه الصيد ، وأجداده الصناديد ،  
حتى نهض شيخ يحمل فوق كاهله السنين الثقّال ، وتشتعل في رأسه  
شبهة التجار يب وجلائل الفعال . وكان هو إيجيتوس بعينه ... إيجيتوس

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى نابات أبوللو وهادي عرته  
— الشمس — عند ما تنزع من أبواب المشرق .

(٢) في الأصل ( صفحته ) وهي السيف العريس Faulchion

المسكين الذى بعث بولده أنتيفوس فى أسطول عظيم وجند لجلب - ليشارك  
فى حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ، وكر وفر ، وجال وصال ،  
وصمد وانتصر... ولكن... وأسفاه!... لم يعد إلى أوطانه فى العائدين ؛  
بل صحب أوديسيوس فى رحلته المشثومة وراء البحار حيث أكله السيكلوب  
الوحش فيمن أكل . وقف إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ، أحدهم من  
عشاق ينلوب ، ثم قال :

«أيها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها أول مرة منذ أن بارح  
أوديسيوس بقلذات أكبادنا نُدعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فهذا  
الذى دعا إليه ، وماذا يبتغى ؛ أنفحة من نفحات الشباب ، أم زفرة من  
زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا المهالك يبشر بعودٍ ؟ لينهض  
باركته السماء فليجد ثنا عما دعانا إليه ».

وتناول تليماك صولجانه من قواسه ، وتقدم حتى كان فى وسط القوم ،  
وجهر فقال .

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة ! أنا تليماخوس بن  
أوديسيوس ، صاحب هذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل... لقد  
دعوتكم لأشكو إليكم بئى وحزنى ... لا لأزف إليكم بشرىات الجيش  
المفقود الذى لا يعلم مصائره إلا نريوس ! لقد فقدت والدى ، ووالد  
الإيثاكيين جميعاً ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء العشاق<sup>(١)</sup>

(١) يلاحظ القارىء أن الاجتماع كان عاماً ولم يكن قاصراً على العشاق فقط ،  
بل ضم جمهوراً من أهل إيثاكا كذلك .

الذين يطمعون في الزواج من أمى ، غير متقين في عرضى إلا ، ولا راعين  
لأبى ذمة ، يُذبحون الذم<sup>(١)</sup> ، وير يغون<sup>(٢)</sup> الزاد ، ويعاقرون ابنة العنب ،  
ولا يبالون أن يهلك الزرع والضرع ، ما داموا يبيتون و بطونهم ملآى ،  
ويبيت غيرهم على الطوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شىء ، ما دام  
لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لى فأغل أيديهم ، ولا ضمائر  
فيصيخوا إلى قولى ، ويرحموا ضعفى ، ويذهبوا من فورهم إلى جدى  
فيحطبوا إليه ابنته إن أرادت أحدهم بعلا ، فهو بها أولى وبشأنها  
أحق ... إنكم ضـ عفاء أيها الإيثاكيون الأوفياء ... ولو  
استطعتم لرددتم عنى غائلتهم ... فلقد طفح السكىل ، وحزب الشر ،  
وعم الأذى ... والآن ، أوجه إليهم قولى ... ، ولن أستحى أن أصارحكم  
مرة أخرى أيها العشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ المضيلة وحناتكم  
بجمرة الحياء ! أذكروا ما عسى أن يُعيركم به جيرانكم ! واحشوا قارعة تحل  
عليكم من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق ...  
يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأولب ، بربة العدالة ثيميس ، إلأما تركتمونى  
أقضى البقية الباقية من أيامى فى شقوتى وحدى ! هل أجرم أبى مرة مع  
أحد منكم فأنتم اليوم تأخذوننى بجريرته ؟ فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم  
إذن تبستزفون آخر قطرة من خرى دون مقابل ؟ ! إذهبوا ! إذهبوا ،  
ودعوا تليماخوس البائس تحز فى نفسه أشجانه ، وتبرى اصطباره بلواه ! ! » .

(١) اللاشة .

(٢) يدصمون .



ودق الأرض بصو لجانه ، وانفجر يبكي ، وكأنما انهمرت دموعه في  
 نهوس القوم ، فوجها وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة . حتى  
 نهض أنتفيوس آخر الأمر فقال :

« لله بيانك يا تليماخوس ! لقد كنت مصقفاً حقاً ! ولكنك لم تصب  
 كبدا الحقيقة حين قصرت علينا اللوم ، وحين لا ملوم إلا أمك ! لقد  
 خدعنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربعاً ، إذ رسائلها  
 تترى علينا ، تُحيي في نفوسنا الآمال ، وتذكّي فينا الأمانى ! لقد كانت  
 وعودها تترادف كالبروق الخُلب ، وتترامى كالسراب المضل ! لقد اتخذت  
 لها منسجاً وطعقت تعمل عليه وهي تغر ربنا ، وتقول : « أيها الإغريق :  
 لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا  
 بزوجه ، ولكن أبي ليرتس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيلة إلى  
 حافة القبر ، أفليس أخلق بي وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ،  
 لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضغة في مم الإغريقيات إن  
 تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاتة » . ولقد أجبنا  
 سؤالها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها  
 كانت تنقص بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت تخادعنا  
 تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا  
 به ، واستطعنا أن نضبطها وهي تنقض غزلها أذكاثاً في ضوء المشاعل ، في  
 جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم !  
 والآن ! فلترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلاً ،

أو فلتختر هي لها بعلا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتتق أن  
 شيئاً منه لم يعد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحذق من تير و ، أو أكيس  
 من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينيه<sup>(١)</sup> ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا  
 نقاسمك يا تليماك أننا إن نبرح عاكفين على ما شكوت ، من ذبح لنعمك ،  
 وإراغة لزادك ، ومعاقرة لحرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فلتعف  
 هذه الدار ، واينصب معين خيرها . »

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تليماحوس فقال :  
 « أنتيموس ! ماذا أصابك ؟ ! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غدتني  
 ونسأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر بعلا الذي لا يعلم  
 غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبئس ما أجزيها به ، ولشد ما أغضب أبي  
 وأثير غضب الآلهة عليّ إن فعلته !! إنها ستدعو إيرينيس كي تنتقم لها  
 مني ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً ؟ ! ويحك أيها الرجل ! إن  
 أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما شئتم ؛ فإما أجابت طلبتكم ،  
 وإلا فانصروا غير مأجورين ... اذهبوا .. فأولموا ولا تمك في غير هذا  
 القصر ، وأريغوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون !! أما إن رأيتم أنه أحلى  
 لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فإني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقتص لي  
 منكم ، فهي محيططة بكم ! .. »

\*\*\*

وما كاد يفرع تليماك من مقالته حتى أرسل سديد الأولمب نسرين

(١) من ربات الفنون .

عظيمين طفقاً يضربان الهواء بخوافيهما ، ثم جملاً يدومان فوق الملاء ،  
ويقدحان الشرر من أعينهما ... نذيرتي ردى ، وصيحة منوت . ثم  
انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد .

وشده القوم ، ورىعت أفئدة العشاق ، وأخذوا يتخافتون ... ثم  
نهض فيهم القديس هاليتير بن نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ،  
فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيشاكا ! اسمعوا وعوا ! ليحذر العشاق العاميد  
ما يخبيء لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أوديسيوس  
حي يرزق ، وإنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ السير إلى هنا ! وإنه ليحمل  
الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ،  
قد يسكم الذئ لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ  
وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، ويذيقهم ضعف ما صنعوا ،  
ولن مجديهم أن يتوبوا أو يندموا ... وليأتينكم نبؤة بعين حين ! » .

وسخر القوم منه واستهزأوا به ، وقام يوريماك يرجه بهذه الكلمات :  
« انقلب إلى دارك أيها العجوز الخرف ! هلم إلى أحفادك السكسالى  
فتنبأ لهم بما ينبغي أن يأخذوا حذرهم منه ! لقد قصف المنون  
عود أوديسيوس الفينان . فليته قصف عودك كذلك ! طير ؟ ! ها !  
إن الطير طالما يستنسر في سماء إيشاكا ؟ إن أكبر الظن أنك تطمع في  
منحة من ابن مولاك تليماك ... واسكن اصغ إلى ؟ لتكن لك منحة منا  
إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك وبه من بطشتنا إن لم يختار لنفسه !

أسمعت ؟ لقد بصحننا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها الكفء الذي ترضي ، فلم ينتصح . وأنا أوساها كلمة صريحة في غيرمين ، أننا لن نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير ، حتى تخضع بنلوب ، فنمضي مأجورين ... وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوءاتك لن تفرغنا ، بل هي نضاعف سخطنا عليك ، وبغضاءنا لك ... ألا ما أطيب الإقامة هنا ؟ ! لنزدد بنلوب عناداً ، فإننا لا نزداد إلا جلاداً .. » .

ونفض تليماك فقال :

« على رسلك يا يوريماخوس ! وعلى رسلكم أيها العشاق جميعاً ... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبدأ أن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة بيني وبينكم ، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لي طلبية إليكم بوهي لو أنلتموني إياها ... فهل تسمعون لي بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فوري هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبي ، أو أتلقف نبوءة من سيد الأولب الذي بيده ملكوت كل شيء ... إني إذا أيقنت أن أبي لا يزال حياً فقد أوفق إلى العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فأني عائد إلى إيثاكا ، فقيم له نصيباً يتفق وهذا الجدد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم يد أمي فتكون زوجته المخلصة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبي كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى ربها في ظلال هيدز<sup>(١)</sup> . » .

(١) اسم الدار الآخرة في الميثولوجيا .

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبيل ، وتعتقد في رأسه  
حمرات المشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو  
الشيخ منظور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره  
إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما .. قال منظور :

« اسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم  
أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويفدق عليكم من  
فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون  
مخير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلٌّ وأتم كُثْر ، آمنين  
مطمئنين ، لا يرهبون أولة معاجضة من البطل الشريد ... ؟ » .

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فهب أحدهم وهو ليوكر يتوس ،  
يقول :

« رويدك يا منظور ! أيها الثرثرة العجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل  
فتشير الشعب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟  
إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن  
يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إحراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً  
أن يعود ؛ إنه إذا فعل مسيدوق وبال أمره ، ولن تنال منا حماقاتك  
ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تسر بأولة أوديسيوس ؛  
ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيذرع البحر  
باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... » .

وتفرق القوم ، وأهرع العشاق إلى حيامهم ، وانقلب تليماك إلى

سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة ناتئة يناجى مينرقا :

« أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرقا ! يا من كنت أمس  
ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلى لك ، أنا تليماخوس التمس ،  
وأبتهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين فى عباب  
هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلبا على هؤلاء الفساق  
العرايب ، وأن تشرقى فى ظلماتى البعيدة ، وأن تحلى أمانا وسلاما على ...  
يا مينرقا ، يا مينرقا ، إستجيبى يا ربة العدالة ... » .

واستجابت مينرقا ، وأقبلت فى صورة الأمين منظور حتى كانت قبالة  
تليماك ، ثم شرعت تكلمه كلمات هن أروح من أنفاس المجر ، وأندى  
من نسائم الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تليماخوس ! السلام عليك حين تثبت أنك ابن  
أوديسيوس الوفى وفرع دوحته الوارف ، وحين تبدوفيك بدوات من -وله  
وطوله وقوة بأسه ، وحين تطلع على بركة السماء وفى عناية الآلهة ورعاية  
سيد الأولمب ؛ فى رحلة ان تكون عبثا ... أنت ابن أبيك يا تليماك ...  
أتى بك من بنلوب .. وآية ذلك هذه الروح القلقة التى تشيع فىك من  
أجله ، وهذا الجبروت الذى هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذى  
يتلجج فى فك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذى هو  
قبس من ذهنه العظيم . بشراك يا تليماك ! لا يحزنك خبال أعدائك .  
فقد أوشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيخطمهم ... أنا ... أنا هذا  
الشيخ المهتم ، صديق أبيك وأمينه منظور ، سأكون معك ، وسأخدمك »

وأسهر عليك ، وأفديك ، . . لكن لتمض الآن فلتعد للرحلة ما هو حسبها  
من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسي  
أشدهم مراساً وأصدقهم غريمة ... إمص على بركة الآلهة ... إمص ...  
إلا وقت لدينا فنضيّعه . هلم ... » .

وسكنت مينزفا ... ولكن حرارة كلماتها أشرقت بالآمال في نفس  
تليماك ، وذهب وقلبه يخفق بألف أمنية ... إلى القصر . حيث رأى  
العشاق يُذبحون ويعدون نار الشواء ، وحيث قفز أنتيнос للقائه ساحراً  
مستهزئاً :

« تليماك ! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بغضائك  
هنيئة ! هلم ! تحسّ من هذه الخمر قرقفاً أيها الصديق . لا يشغلك أمر  
هذه الرحلة . . فقد أمرنا أن يعد لك الآخيون سفينة عظيمة وقدرًا من  
الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة ... وستبحر قريباً فتذرع  
البحار وراء أبيك . هلم ... هلم . »

ولكن تليماك عبس عبوسة فاتمة ثم قال :

« أنتيнос ! إليك عني فما أستطيع مشاركة خصومي السفلة غداءهم ،  
ولا لي قلب فأشرب النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذّبح الذي  
لا يحل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبّو ...  
أجل ! لأستعجلن لكم الخراب ولأسعين في حتفكم ، ولأذهبن إلى  
بيالوس فأنتصر إذ عرفت النصر في إيشاكا ! أيها الذئاب ! حتى سفاتي  
وعتادي تنكرونها علي ! » .

وكان اللثيم قد أمسك بيمين تليماك كالصافح المستهزئ ، ولكن  
تليماك جذبها ساخطاً ، وترك الكلاب تغمره وتلهزه ، وتستهزئ بهذا العون  
الذى يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التى يأمل أن يجردوا عليهم من  
أسبرطه ... « ومن يدري ؟ فقد بهتدى إلى إيفير المثمرة ، فيجد فى أعشابها  
بقلة يدس لنا منها فى كؤوسنا فتريحنا منا ... » ... بل من يدري ؟  
فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة !  
إنا إذن نقسم هذا المتاع وتلك الصياع ، ثم نهرأحدنا الذى تختاره بنلوب  
بعلاً لها ، بهذا القصر المنيف ! » .

تركهم تليماك ، ومضى قُدماً إلى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث  
كنوره التى لا تقدر ، من عدة للحرب وذهب مدّخر ، وخمرة معتقة .  
ورَوْح أذمر ، وخز وديباح ، وذُرَّ وجوهر ، ومغافر<sup>(١)</sup> أعدت لليوم المنتظر .  
يوم يعود أوديسيوس فيظفر ويقهر ، ويطهر بيته من ذاك الدمر ..  
ووجد عندها حارستها يوريكليا فصاح بها :

« ربيبة ! يوريكليا ! هيا ! صبي من خمر فى زقافى ! من مدامتك  
التي ادحرتها لأبى .. لا ... لا .. ايس من صفوتها يا ربيبة ، احتعطى  
بصفوتها له ، املئ اثنى عشر دِنًا ، وهينى عشرين جِوَالِقًا من دقيق ،  
هيا .. أعدّها كلها لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملسكة . لا يعلمن  
أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسبرطة ... حتى ولا أُمى ! سأرحل ثمة ...  
سأسمع أخبار ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبته يوريكليا ، وأرسلت هذه

(١) المغر والمهرة زرد باسمة المحارب تحت الفأسوة .



الكلمات على أجنحة من الحنان ، وفي أنسام من الرحمة :  
 رويدك يا بني ! أى سفر وأى نوى !؟ لقد انتهى أوديسيوس وانتهى  
 معه كل شيء ! وهو اليوم رفات سحيق فى رمس عميق فى بلد لا نعرفه !  
 أتسافر يا تليماك ليأتمر هؤلاء الذئاب ، وقد يسلطون عليك من يغتالوك ،  
 ثم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بني ! لتبقى معنا نحن الذين  
 أحبيناك واصطفيناك ! فيم تذر عباب هذا البحر ولا رجاء لك فى مطمح .  
 ولا ثقة لك فى شيء ؟ » .

وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ريبيبة ! إني لم أعزم شيئاً من تلقاء نفسي ... إنها  
 السماء هى التى توحى إلى ! ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقضى  
 شيئاً مما اعتزمته على أمى إلا بعد أحد عشر يوماً أو اثني عشر يوماً من  
 رحيلى ... فإنها لو علمت بسمرى لأظلمت فى عينها مباحج الحياة وذهبت نفسها  
 على حسرات » .

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، واثنت تهي دنان الخمر وأحمال  
 الدقيق .

أما مينرثا ! أما ربة العسالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين  
 الزبرجديتين ، فقد يمت شطر البحر وقصدت إلى المرفأ ، حيث لقيت  
 نويون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه للمنشآت ،  
 فأعد لها واحدة من خيارها . وما كادت ذكاء تلجج فى خدر الأفق ،  
 وما كاد الشفق يبكي فيصبغ بدموعه جبين السماء ، حتى كان الملاحون قد

هياؤا القلوع ونشروا الشراع ، وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عددهم ،  
وتزودوا من السلاح ؛ وكانت مينرقا نفسها تستحثهم ، فسرعان أن تهادت  
السفينة ، ورقصت نشوى فوق هامات الشبح

وزهدت مينرقا ، في صورة منظور وفي طيلسانه فأشرفت على عصابة  
العشاق ؛ وتمت بكلمات فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس  
ملء جنونهم ، وكانت الكؤوس لا تزال تقهقه في أيديهم ، فسقطت عن  
غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شرابا !

وظفقوا ، تحت طائف الكرى ، يندسلون إلى خيامهم ...

وأدلفت مينرقا نحو القصر لتلقى تليماك :

« تليماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك في الفلك المشحون  
ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سدى »  
ونهض تليماك ! وسارت مينرقا ، وسار هو في أثرها حتى كانا عند  
سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان وتلك الأحمال إلى  
السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمي ! إلا ربيتي ! »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت مينرقا فركبت السفينة  
ومن ورائها ابن أوديسيوس وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهاؤا  
للركب ، وحدجت المغرب ربة العدالة بعينها الزبرجديتين فهبت النسائم  
رخاءً ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك واقفاً يحث  
رجاله ؛ واضطرب المساء تحت السفينة واصططخب ، وصب القوم

دانا من الخمر تقدمه الآلهة وقرباناً لمينرفا وتحمية لا تبديد !  
واحلوك الليل وتبدجى غيبه ؛ ثم احجاب ظلامه عن فجر مبين !

## في بيـلوس . . .

### تليماك يسأل نسطور عن أبيه

بررت ذكاء من لجة المشرق فصبغت آرادها<sup>(١)</sup> الذهبية جبين  
الأفق النحاسي ، وسكبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ،  
وألقت السفينة مراسيها تلقاء بيلاوس ، مدينة نليوس<sup>(٢)</sup> ؛ حيث وجدوا  
القوم على الشاطئ يقربون القرايين باسم بوسيدون ، ذى الشعر  
الاروردي ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة  
شيوخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة عجول سمان ذوات خوار ،  
وأكلوا الحوايا<sup>(٣)</sup> ، وضحوا بالسواعد والأفخاذ ؛ ثم أقبل تليماك وبين يديه  
مينرفا تنهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بنى ، ولا تجعل الاستحياء سبيلا إلى نفسك ،  
وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار  
عن أبيك ، وقد يحلوك الشكوك التى تخامرک ، وثق أنه لن يخفى عليك  
من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

(١) أشعة الشمس .

(٢) نليوس هو ابن بوسيدون ( نبتون ) إله البحار والد أعاء أو بيبوس

(٣) الأمعاء وما إليها .

ويقول تلميذك :

« أواه يا منطور ! ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشـأن ورقة الحال أنا الفتى الحدّث . أني لي بقاء الشيخ ذى التجارب ؟ »

وتجيبه ذات العينين الزرجديتين .

« لا عليك يا بنى ! إن هي إلا كلمات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! العالم كله يعرف أنك نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! » ودلّت مينرفا ، ودلف في إثرها تلميذك ، حتى كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث استغلّ أهله بالشواء ، وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيرستراتوس ، فصاحفهما هاشاً ، وتلقاهما باشاً ، وأجاسهما فوق الفراء المبعوث إلى جنب أبيه ، وأحياه الأصغر تراسميديس ، وقدم لـكل مصغة من حويّة ، ثم كأساً ذهبية من خمر معتقة ، تذوّقها قبل أن يحجي بها ، ثم قال مخاطباً مينرفا :

« مرحباً بك أيها الصيف المكرم ! لقد شرّفت في عيد نيتيون ، وبودّنا لو أفرغت باسمه ما في هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! ورجو لو أشركت في التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا محباً للآلهة ، خابئاً لها »

وتبسمت مينرفا ، وتناولت الكأس في وقار، وأرسلت هذه الصلاة

باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم تقديس اسمك ، وأحاط باليابسة ملكوتك .. يامنقذ الضالين ومغيث المتضرعين ، أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمائك ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ، وتقبل من جميع أهل بيلوس أضيحتهم ، ثم تفضل يا مولاي فسد خطي تليماخوس وخطاي إلى ما أقلعنا فوق هذا المركب الشاحب من أجله ... آمين آمين ! . »

وتناول تليماخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وتمتم بصلوة قصيرة ؛ وبأكاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شاكرين ، إلا مينرثا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فماذا أيها الوافدون ؟ من أنتم ؟ ومن أين حاكم هذا البحر ؟ أتجار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشطآن ذعراً وفزعاً ؟ »

واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرثا من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نليوس العظيم ، يا خفر هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس ، سميت إليك من أقصى الأرض أسائلك عن أبي ! صفيك وخليتك الذي صال معك تحت أسوار إليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبأته اليوم شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه . أين رقد ؟ وأني

ثوى ؟ وأيان قرت رفاقته إن كان قد شالت نعمامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان لا يزال حياً ... إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد ثوى هناك ... في أعماق مملكة نيتيون ، مع الجميلة أمفترت (١) . لذلك سميت إليك يا نحر هيلاس كما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يانسطور ، ولا تخف عني شيئاً ... قل ... إني أستحلفك بكل ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن نقص على أنبياءه . لقد كان يحبك ويحلك ويوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »

وكانما رأى نسطور حلاماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع ما هنت ذكريات الماضي المفعم بالأشجان ! ذكريات السادة الذادة والمغاوير الصناديد ، الذين سقطوا تحت أسوار اليوم العتيدة فأرووا ثرى الميدان بدمائهم ، وسطروا آية الجد بمهجهم ! إيه أخيلوس ياسليل الآلهة ؛ وبتروكلوس يامعجز الأنداد والأقران ؛ وأچاكس ! أچاكس الذي كان أمّة وحده ! لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع بريام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي ! آه يا ولدي ! أواه يا قطعة قلبي وفلذة كبدي وثمره حياتي وسؤددي ! يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس ! أية قصة وأية مأساة ؟ ! يا رعاك الله أيها الشاب

(١) ملكة البحار وروجة نيتيون .

الحزون ! أنى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسم كانت هموماً متصلة  
وأحزاناً فاجعة وآلاماً تتسعر في جميع القلوب ! ؟ أى لسان ذرب يقص  
فلا يمل ، وأى مقول رطب يحكى وما يعي ؟ ألا لو أنك أقت تسمع  
الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهى ! القصة التى لم تجد فيها شجاعة  
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول أناته وهمته !  
ولكن حدثني بربك أيها الشاب : إنك حقاً لولد أوديسيوس ؟  
أجل ! إنك بملاحك وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب  
عسلوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق الشباب وحبيب القلب !  
أشد ما تعتلج في النفس تلك الخاتمة الهائلة التى قضاها على الأرجيف<sup>(١)</sup>  
سيد الأولمب ، غب انتصارهم ، وقبيل أوتهم ! لقد حنقت مينرفا على  
ولدى أثريوس إذ تنازعا فقال قائل منهما نضحى لربة العدالة عند سيف  
البحر تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبى ، وأبحر على أن يقدم لها القرايين  
في أرجوس ! ياللعسين ! أجامنون البائس ومنلوس المسكين ! إنهما لم  
يصليا لمينرفا فحاق بهما غضبها ، وعبثاً حاولا بعد ذلك أن يترضاها !  
اختلف الأخوان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم أقلع نصف الأسطول  
في موج ثائر مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ، وما هي  
إلا سويغات حتى هدا أليم ونام الموج ؛ وبلغنا تندوس فذبجنا الأضحيات  
باسم الآلهة ، وسبحنا الرب البحار نيتيون ، فتطامن العباب ؛ واسكننا ما كنا

---

(١) جنود أرجوس إحدى مقاطعات اليونان

ندرى ما تنسجه يد جوف<sup>(١)</sup> حولنا ، بل لم يكن يخاصرنا أقل شك  
 فى وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب  
 بين القادة نزاع فى رأى : هل يقلعون من تندوس ، أو يتلبثون بها حتى  
 تنجلى العاصفة التى شرعت تهب فى عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو  
 أبيك أن يعودوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك مجاملة للقائد  
 العام . بيد أنى لم أر هذا الرأى ، بل فررت من العاصفة بسفائنى إلى  
 جزيرة لسبوس ، ولحق بنا ديوميدي ، ثم وصل منلوس فى إثره ؛ وأرسينا ثمة ؛  
 وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت  
 العاصفة تشتد وترقص فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نرُ بداً من المجازفة  
 وإلا تكسرت جوارينا على الصخور وفوق الأواذى ، ... يا للهول ! لقد  
 بلغت قلوبنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيرىستوس ! حمداً لك يا نيبتون  
 وثناء عليك ؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قرمان من كل عجل جسد وكبش  
 حنيذ ! ولقد فاز ديوميدي فوصل بمجنوده سالماً إلى أرجوس ، وكذلك فاز  
 الجبابرة الميرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبه العظيم نيو بتوليموس ،  
 فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس .. كذلك  
 وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت بما حاق به ! لقد قتله  
 المجرم إيجستوس<sup>(٢)</sup> ، ولكنه دفع روحه ثمناً لفعلته ؛ إن العيش لم يطب  
 لابن أجاممنون حتى ثأر لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده !

(١) روس أوجوييتد كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

(٢) يحد القارىء درح ذلك فى كتابنا التلى ( إيسكيلوس والمسرح اليوناني )

إن شاء الله .



يا للفخار أيها الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل الخالدين ! » .

وشاع العُجب في نفس تليماك ، فقال :

« ويك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق السماء ، وستنفي الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لى الآلهة فى أعناق هذه العصابة الماجرة من العشاق الآثمين الذين يدلون على بَعْدَدهم وعُدْدهم ، والذين يقذفون فى وجهى بالإهانة تلى الإهانة ... واأسفاه ! لمت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟ لقد نقد اصطبارى وكلت حيلتى ... فماذا أعمل ؟ »

وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت منى غافلاً . ويحك تليماخوس ! لقد تناقل الناس ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من يدرى ؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقتهم ، ويديل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب مينرفا وصفيفها ، وهى لا بد آخذة بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد مدركتك وشيكاً ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، وبين هذه الزيجة المحرمة . ويحيب تليماك :

« ألا من يدرى ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط ! آه أيتها الأحاسيس الغريبة التى تجيش فى قلبى ! الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك بمعجزة ! »

وهنا ، حدجته مينرفا بنظرة هائلة من عينيها الزبرجديتين ، وقالت له :  
« تليماحوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟ ! ما أيسر على الآلهة  
أن تقول للمستحيل كن فيكون ، أنا نفسي كم تجشمت أهوالا في أسفاري  
ثم عدت بعناية أربابي سالماً إلى أرض الوطن ؟ بل كم من أناس ظنوا  
أنهم نجوا من الموت في يم غشيم بموج كاظلمل ، فلما وصلوا إلى البر  
حاقت بهم منايهم كما حاقت به منيته أجامنون ، حين خر صريعاً بيد  
إيجستوس الأثيم ، وبد زوجه الملكة<sup>(١)</sup> الغادرة الفاجرة الزنيم احقاً ، إن  
الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما  
يكن حبيبها وأعر عبادها عليها . »

وعبس تليماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن من الأمر فلندع هذا الآن يا منطورا ! إنني لا أهلكى مطلقاً  
في عودة أبي ، ولكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ،  
وأن أعود فأسأل نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذي حكم كما هو  
مأثور أجيالاً ثلاثة ، والذي يتألق في عينيهِ سناء الآلهة ... أعود فأسأله  
كيف قتل أجامنون ؟ وكيف تهياً لايجستوس أن يقتله ، وهو من هو  
أعلى منه نسباً وأعر حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منلوس الملك  
شقيق أجامنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن أم كان لا يزال  
يطوى الآفاق ، فشجع ذلك إيجستوس ونفخ في قلبه ؟ » .

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فإنني قاص عليك نبأ

(١) كليتماسترا

ما لم يأتك به علم ... تالله لو لم يُقتل إيجستوس قبل عودة منلوس ،  
 ما أُقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بده النجس  
 لكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمرقه وتغتدى به ، جزاء فعلته الشنعاء  
 وجرمه الذميم وخطيئته التي لا تغتفر . إصنع إلى . . . لقد أناب منلوس  
 عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة ... ذاك هو أتريدس الحميم ،  
 الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاته سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع  
 أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم قتله  
 فى رية موحشة غالبته فيها السباع الصارية والأوابد<sup>(١)</sup> الكاسرة ، حتى  
 إذا حلاهما الجوا أسست له المملكة القياد فحكم وساد ، وطفى واستبد ،  
 وسلط على البلاد أعواماً سبعة طوالاً . . . كل هذا والسماء ساهرة لا تغفل ،  
 فقد عاد أورست بن الملك الغائب ، وابن المملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض  
 أبيه وقتل الوحش اللئيم الذى دنس شرف المملكة ، ولطخ بالوحل هذا  
 المجد الأثيل ، ثم قتل أمه . . . أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف  
 البؤساء يحتفلون بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك الشر ...  
 وبيننا هم فى أفراحهم وانفراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بعد  
 رحلة طويلة مخفوفة بالمخاطر ... فلقد أبحرنا ( أنا ومنلوس ) من طروادة  
 معاً ، وما كدنا نبلغ صنيوم<sup>(٢)</sup> ، أول مرافئ أثينا ، حتى وقع ما لم يكن

(١) الوحوش .

(٢) sunium .

لنا بحسبان . ذلك أن رب الشمس أبوللو عال بسهامه التي لا تطيش  
 ربان الأسطول العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقي مراسيه حتى  
 يصل على صديقه ويقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم أقلع ، وما كاد ، حتى  
 اضطرب البحر ، وفجرت اللجج أمواها ، وتدافع الموج حول الأسطول  
 كالجبال ، وعتم الجو ، وعامت السماء ، وابتضت الصواعق فانشعب  
 الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق ، وبعضها  
 غرب ، وبعضها يعم شطرسيدون عند كريت ، وبعضها اتجه برغمه نحو  
 سبطان بمصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخمس فقط ... وصلت بعد  
 طول الجهد إلى هنا »

« بى .. أيها الصديق الشاب . أخلق بك أن تذهب من فورك  
 إلى منلوس فتسأله عن أبيك ، فلقد لقي الأهوال في البحر ، ولا ريب  
 أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأمم في رحلته المشثومة ... هلم ..  
 إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فأني بمدك بكل ما تحتاج من مركب  
 البر أو البحر ، وهام أولاء رجالى معك أينما توجهت ، بل هاهم أولاء أبنائى ،  
 ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منلوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشر ظلامه فوق  
 الطبيعة المنهكة الخاملة فهضت ابنة زيوس العظيم ، مینرثا الخالدة ، وهى  
 لا تزال فى صورة منظور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « مرحى يا فخر  
 هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا

ألسن القرايين<sup>(١)</sup> وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيمون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدانُ بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يارفاق ! أتما ضيئي<sup>(٢)</sup> ، فكيف تبيتان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كِنٌّ لكما وفراش وثير ، وفيه ، والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي سماركما ، وهم ثمة طوعٌ لكما »

وشكرت مينروا للملك عطفه ثم قالت : « بوركت أيها الملك ، ليبق تليماك هنا ، ولأَمْضُ أنا إلى البحر لأسهر على صوالح مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلهم أتراب تليماك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نَقْلَع صبيحة الغد إلى كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، ما دمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحيائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فإنه ما كادت مينروا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منظور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عظم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى خلق في

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام هوميروس أن تقطع ألسن القرايين وتحرق باسم الآلهة ليصرف الجمع (٢) بصيغة المفرد

السماء ، وعاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم .  
وتناول اسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقاب بيه بصره ، ثم قال :  
« أبها الصديق : لشد ما عظمت منزلتك ، وسمت مكانتك . حتى  
لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون ريب ابنة سيد  
الأولمب — الكريمة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس  
كما وقرت أباك .

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن نتلطف  
بنا جميعاً ! أمنحيني ركاتك .. أنا وأبنائي وشعبي ... اكتبني أسماءهم  
في الحالدين ، وسنصلي لك ونذبح باسمك خير بقرة ؛ لا ذلول تثير الأرض  
ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلِّمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين  
بالذهب » .

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبداؤه وأحفاده  
ففتحت أبواب القصر وتقدمت بدمامة الشراب فقدمت إليه كأساً من  
خمرها نسب من عهد أولمب ، فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به  
ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك  
إلى محدد وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بزستراتوس فقام معه ،  
ثم ذهب حيث وحد الملكة في انتظاره

ونشرت أورورا<sup>(١)</sup> غلالنها الذهبية في مشرق الأفق ، فاستوى  
نسطور على عرشه المرمي المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه

(١) ربة المجر وحادية عربية أياها حين يركب الشمس عند المروق .

ليميوس يجلس كآله للنظر في صوالح العماد ، وأقبل ببوه الستة ومعهم  
تلميذاك الذى جلس إلى جنب أبيهم ، وتحدث إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بني ، لنذبح القربان المقدس باسم مينرفا الكريمة التى  
باركت حملنا أمس ؛ لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً<sup>(١)</sup> سميناً ،  
وليذهب آخر فليذبح رجال تليماخوس — إلا اثنين — من السمينية ؛  
وليمض ثالث فلماأت بالصناع الفنان ( ليرسيوس ) ليحلمل قرنى القربان  
بالذهب ، وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من النساء  
ليكسبن الولية بهجة ورواء »

وأطاع أبناؤه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمناء ،  
ثم قدم الفنان ليغطي قرنى البهيمة بالذهب ... ثم ... وافت مينرفا ...  
مينرفا نفسها تشهد الطقوس التى تقام باسمها .. ، وبدأ الفنان عمله ،  
فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة فى القرنين الصغيرين . وتقدم  
أريتوس بن نسطور وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى  
سلة من أنحر أنواع السكك ، وتقدم ابنه الثانى تراسيمييد وفى يده  
سماطور كبير لينذبح الثور ووقف قبالة يرسىوس يتلقى الدم فى وعاء كبير .  
ونهب نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة مضرمة ، وتمتم باسم  
مينرفا ، وقذف فى اللظى بكعكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر  
قليل من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم شمر تراسيمييد  
عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجميع يجهزونه ، وكانت يوريديس

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلة .

الجميلة المفتان تُعنى أُنشد عناية بالفخـذين ، فسترتهما بثوب غال من  
الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة والعطور والأرواح . . .  
وهكذا أخذ الجميع في شغلهم ، وشرعوا يلقون في الجر بالحوايا ، وشرعت  
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . وتهادى تليماخوس بعد هذا فاستوى  
إلى جنب الملك ، وانتصب الولدان والندامى يصبون الخمر ، وبدأ الكل  
يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً .

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافنات الجياد لرحيل  
تليماخوس ، وأحضر القواص عربية كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من  
زاد وعقاد .

وأخذ تليماك مكانه من العربية الأولى ، واستوى إلى جانبه  
يزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ،  
وجذب أعنة الخيل فانطلقت تنهب الرحب ، وتبتعد عن بيلاوس  
وتطوى الزمان .

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت  
بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ، حتى أيقظتهم أورورا المشرقة . فواصلوا  
رحلتهم إلى أسبرطة .

## العشاق يتأهرون

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور في وهادها وأنجد ، وانطلق  
تليماك وصاحبه من فورهما إلى باب منلوس الملك حيث وجدا ، لحسن



الطالع ، وجوها مسفرة ، وجاهير مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؛ ومنشدين يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانياتهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبناؤه وخلصاؤه ونداماه ، يأكلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابنى الملك : بابنه الذى زوجه أبوه من أجمل عادات أسپرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكتور العظيم ؛ ثم بابنته المفتان اللعوب الطروب التى رزقها على كبر من هيلين ، والتى نافست بجمالها ودلها هرميون ابنة قينوس .

وما كادا يجاوزان الصيد حتى لهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحدثه عنهما ... « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، قهل يأذن لهما مولاي ، أم يأمر فنردهما من حيث أقبلا ؟ »  
وأوماً الملك برأسه الكبير الذى يزيد فى وقاره وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب اليهما ، فيسير بين أيديهما إليه ... « ... إذ كيف يُرد عن طعاعى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء ؟ »  
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب إلى الوافدين الكريمين فخياً وسلم ، وحل اللجم وأناخ اليهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت فى الأنوار الوضاءة والسرُج الوهاجة ...  
ثم لقيتهما فتيات من عذارى القصر فقدنهما إلى الحمامات المرصية الباذخة فاغتسلا وتضمخا ولبسا ثياباً ملكية ، ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهتس الملك لهما وبس ، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين ،  
 وهما في دهش من ذلك الممظر العجب . وأقبلت فتاة فصدت على أيديهما  
 الماء ، وذهبت فأحضرت مائدة رائعة منسقة ، عليها قدر غير قليل من  
 أنحر الأشربات وأنشهى الآكال ، ووقف حادم آخر يقدم طبقاً بعد  
 طبق ، وكأساً من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك  
 يبالغ في إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى يفرغا من طعامهما  
 فيخبراه عن أمرهما ، وكان يتلطف فيقدم لهما قطعاً من شوائبه بيده .  
 وسار تليماك صاحبه فقال .

« ييزستراتوس يا صديقي ! ما أجمل وما أنخم وما أروع ؟ ! هذا  
 الحفل الداهر يتألق في الذهب والقصة والعاج والكهرمان ودروع  
 النحاس ! أبداً ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن إلا عن قصر  
 سيد الأولب في شعاف جبل إيدا ! أية ثروة وأى كنز ؟ !

وسمعه منلوس الملك فقال :

« بني ! لا تقرن قصر أحد منا — نحن بى الموتى — إلى قصر سيد  
 الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد يملك ما أملك أنا من أذخار  
 وكنوز ، فقد سحت في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر  
 الغوالي من كل فج .. من كريت وقبرس وفينيقية ومصر ، ومن أثيو بيا  
 وإيرمى ... ومن صيدا ولوبيه ورؤوس الشاء والوعل هذه .  
 الوعل الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير حساب ... لقد  
 طوفت في الآفاق وتركت في كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم

أنباء منلوس الملك الذى دك المعازل وهدم القصور... ما أس لا أنس  
 هذا القصر العتيد الذى جعلت عاليه سافله بما فيه من أدجار وقنى ،  
 وددت لو كان فى قصرى شىء منها ، وود الإغريق لو حصلوا فى بلادهم  
 جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار طروادة يا صاح ! يا ويح  
 نفسى ! يارحمنا للأصدقاء الأحياء الأعزاء الذين ناموا ثمة ! لشد ما أسلى  
 النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى فى قلبى عليهم جميعاً ، ولا سيما  
 صفى وخليلى وأعز أودائى على... أوديسيوس ! أوديسيوس الكريم !  
 ايت شمعى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك الأمد ؟ أحي  
 ترزق ؟ أم ثويت فى بطحاء بلقم ؟ يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ،  
 وزوجك الملتاعة ، وابنك الحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته فى  
 المهدي ما بلغ العظام ، إلى حومة الوغى وحلبة الحمام . » .

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الهمات باسم والده فنشج نشيجاً  
 مؤلماً ، ثم استخرط فى البكاء ، وطفق يندى شئونه فى طرف ثوبه  
 بين دهشة منلوس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانعقد لسان الملك  
 فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم  
 ينظرون إلى هذا الرشأ الذى يتثنى مياساً فى ظلال من العتنة ، كأنه ديانا  
 ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنص ، الذى أصلحته يدا أدرستا وعماية  
 أكليب ، ثم أحضرت الطرف والهدايا والآلهى . فهذه سلة من الفضة  
 المزخرفة بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أمير طيبة ، عروس

المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الإبريز ... يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه البساعة الرائعة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس ... الصغير تليماخوس ... الذي تركه أبوه صبيًا في المهد من جراء حرب اليوم المشئومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك ياهيلين ، لقد دار بخلدی ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه الساقين والساعدين وتفتير العينين واسترسال اللمتين<sup>(١)</sup> بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت ما قاسى صاحبي من أجلى وفي سبيلى تحت أسوار اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكى ويبكى ويبالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفى وجهه ، وفيه روحه ، في ثيابه من الهم »

واتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقًا أيها الملك إنه هو ! ولسكنه خجول حيي ، ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فإني ابن نسطور صدقتك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب تليماخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أياها قد ذهب ... وهالك ابنه المكوم يجترأشجانه ، وتطحن

(١) اللغة الشعر الذي يحاوز شمة الأذن .

فؤاده أحزانه . »

وشده البطل — ذو الشعر الكهرماني — فقال :

« يا لآلهة ! أهكذا أفاجا بقاء ولدى ! أنت ؟ أنت ابن أوديسيوس .  
الذي شقى طويلاً بسببي ، وبذل نفسه من أجلى ، ولا يزال يناضل  
الويلات من جرائي ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك  
تسعى للقائى لشدت لك مدينة في أرجوس ، تنيه على المدائن وتزهى على  
القرى ! ورفعت لك عماد قصر منيف طالما كنت إخاله يؤويننا جميعاً  
فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ولا من بعد ... ونلتذ ، أنا وأبوك  
وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات الماضي المترع .. آه يا أوديسيوس !  
لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء ... فحرمتك  
كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليماخوس ، وأذرفت  
الملكة ، وانبعس الدمع من عيني بيزستراتوس حين ذكرت طروادة  
فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها الملك ! لقد  
تذاكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك فعرفنا فيك المليك الأجل ،  
والمقدام البطل ، ولكن ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى  
وان أمى وأبى فى سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلاوخوس ! البطل المغوار  
والفارس الكرار الذى لم تكتحل عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أورورا  
الغادر ، شلت يدك بما فتكت بأخى ! ... »

وتعطف الملك فطبيب ابن نسطور بكلمات عاليات ، وأمر الندمان

فصب الماء على أيديهم جميعاً ثم أخذوا في آكلهم ، وصدت هيلين قطرات  
من طيب مُدَّهَب للأحزان في كأس تليماك ، وكأس صاحبه ، لا يعرف  
من يذوقها إلى الأسى من سبيل . وهي قطرات عجيبة أهلتها الملكة ،  
زوجة ( ذون ) الأميرة المصرية پوليدامنا ، وكم في مصر من سحر مبین !  
وتكلمت هيلين ، فدكرت ما كان من أوديسيوس يوم التقى الجمعان  
عند إليوم ، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى داخل  
المدينة العتيقة ، وكيف قابلها في حجرة باريس ليطلعها على خطة  
اليونانيين ، وما كان من رجائه إياها ألا تفصح عنه عند أعدائه حتى يعود  
سالمًا إلى معسكره ونخيمه ، وأنها برّت فلم تنبئ أحداً بوجوده .. ثم  
رأت أن تتفصل من فضيحة فرارها مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة  
إلى ذلك برغمها لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها ( لما وعدت به  
باريس من أنها ستهبه أجمل غادات هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة <sup>(١)</sup> ) .  
« واخجلتاه ! لقد أزرى بى أن أفر رانمة فأجر فراشى الطهور وطفلاتى  
اليافعة إلى بلاد قاصية لا ناقة لى فيها ولا جمل .. »

وأعذرَها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :

« أبداً ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً من أوديسيوس ؛ وإن  
أنس لا أنس يوم الروع الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر  
هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الهولة الذى قهر لنا طروادة في يوم

(١) قصى باريس بالتفاحة لثروس وحرّم منها منيرفا وحيروا ذلك سبب عداتهما

لطروديين . ( كتابا قصة طروادة )

أو بعض يوم ، وقد عيينا بها السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس<sup>(١)</sup> الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب — واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في عصمة ذوي أيد من مداويد الطر وادين ( إذ هتف بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شراً ويطوى لقربتهم نبوراً ) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان اليونانيين واحداً بعد واحد لآرى هل اختبأ منا بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنبيون . تالله لقد كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وتالله لقد أوشك زميلي ديوميديد يرد عليك هو الآخر ، لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس أسنمتنا الشقشاقة التي كادت توردنا موارد الهلاك ، لو أن أحداً منا خدع ففسد بيئت شفة — وأخر با ! لقد صممتنا جميعاً ولكنك عاودت ، فما كدت تهتفين باسم أنتيكلوس ، حتى أوشك المجنون أن يلجى ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلتا يديه ، حتى لا يكاد يزهرق روحه ! ولم يُعفه حتى أيقنا أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون . »

ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطف تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأتارت هيلين إلى وصيفاتها فأهرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره پيزاستراتوس وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن كل في سريريه ، وناما في حرير وسمور وفي قاقم وفي سنجاب

(١) اسم يونان القديمة وتوافق إيلاس

وتهاويل غير ذاك من الر قم ومن سفدس ومن زرياب<sup>(١)</sup>  
ونهمض الملك والملسكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسلما لأطيب  
الرقاد .

\*\*\*

وذراً قرن أورورا ، ربه الفجر ، في المشرق الوردى ، هب الملك  
وأصلح شأنه ، ورف بازائه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى إلى  
مجلسه حيث لقي تليماك في انتظاره ، فخيا وجلس وبدأ حديثه فقال :  
« أى بنى ! تليماخوس ؟ أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت  
رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب ليسديمون<sup>(٢)</sup> في فلوات البر وسروات البحر ؟  
ألا أمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »

وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! منلوس العظيم ! لقد جئت  
أتحسس خبراً عن أبى ، وأقبلت أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته  
فما يريون ، يستنفون غلته ، ويهاكون حرثه ، ثم هم مع ذاك ينافس  
بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء ... من أجل زوجه ! يا للعار ! إنهم  
استباحوا كل شيء ... كل نعمه وكل شأنه ، ولم يعموا آخر الأمر عن  
عرضه . إني أستجيرك يا مولاي وأضرع إليك أن تخبرني عما تعلم من  
أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار إليوم ؟ أم غالته يد المنون في ركن آخر  
من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وآثر أصدقائك ، وأعز  
أودائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك أستعطفك أن تصدقني ... »

(١) الشعر لابن ارومى لم نحد أحسن منه في ترجمة أبيات هومر .

(٢) من أسماء اسبرطة



ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبائه ؟

وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأولمب ! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعلة التي أجاها الخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها<sup>(١)</sup> ! حنانيك يا آلهة ! زيوس ! مينرقا ! أبوللو<sup>(٢)</sup> ! أين هو فيببطش بالجبارين كما بطش بنيلو ميليد العتي من قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آفتهم ... فطب نفساً يا بني ؛ إني منبليك بما علمته عن أبيك من ( بروتوريوس ) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار .

ضليت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبلغنا سطشان مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نرى من كوثر هذه البلاد التي تجرى من تحتها الأنهار ، ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه المعاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كفت أجلس وحدى في منعرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صبحي وأكثر الملاحين يرتادون الماء بشصوصهم<sup>(٣)</sup> عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء ( إيدوتيا ) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق بروتوريوس ، وتهادت

(١) جمع هفر وهو ولد الوعل .

(٢) كان أبوللو من حصوم اليونانيين في حرب طروادة ولدا يدهشاهذا الدعاء .

(٣) الشمس حديدية عقماء يصاد بها السمك ( السمارة ) .

حتى كانت تلقاني ، ثم جلست مجابي ، وحدثتني فقالت : « أيها النازح العريب ! أكرم الطن أنك مدهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجبون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدي حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مصياً ، ولا تلتمس محرّجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أي سدهت ، فسألتها قائلاً : حسبك يا ربة ! إلى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقمت فيها بمرضاتي ، بل كان ذلك قدراً على مقدوراً ؛ والـكن حبرى بحقك ، إذ الآلهة تعلم كل شيء — من أرباب السماء يحبسون هنا ؟ ... وهل مقدور لي أن أرتد إلى وطني فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ ... »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح العريب ! سأنبئك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التي تقع تحت إشراف أبي ، يروتياوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون في أعوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن تتغفله فتقبض عليه وتشد وثاقه ، فإنه يقفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوي الذي ينتهي بك سالماً غانماً إلى بلادك . بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل في بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنني أعرف أنك صفي السماء وحبيب الآلهة . »

غير أنني لم أدر كيف تستطيع أيدي بني الموتى أن تقبض على هذا الإله البحري الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها

أنه ربما ولى دبره إذا شعر منى هذه المحاولة فلا أستطيع لقاءه بعدها أبداً .  
 بيد أنها طمأننتني ، وذكرت أن أباهما يخرج من الأعماق في الظهيرة إلى  
 جَوْنٍ قريب حيث يستلقي برهة وسط قطعان كثيفة من عجول البحر ،  
 من ذراري هاليسودنا الجميلة ، تأتي هي الأخرى في أثره لتنام ثمة ...  
 « فإذا كانت هذه الساعة فإني سأفودك بنفسى إلى هناك ، وليكن معك  
 من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج  
 آمن تنتظرون به حتى يكون قد دُعي عليه الكرى ، ثم تنقصون عليه  
 فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون  
 تارة سيلاراييا ، وتارة سيكون ناراً ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالات  
 صُهر ، وأخرى يكون أفعواناً هائلاً ينفث السم .. ولكن خذوه أخذاً  
 شديداً ولا تقتلوه قهلاً كوا .. فإنه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى  
 صورته الأولى التي رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك وقد أسلس قياده ،  
 وهدأ ونظامن ... فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، ففكوا وثاقه  
 وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فإنه مجيبكم عما تسألون . »

\*\*\*

ثم غابت عروس البحر في طيات الشج ، وتركنتى في حيرة مما  
 ذكرت ، ثم إنى عدت إلى قمرتى في السمينية ، وعاد كل إلى قمرته ، وبعد  
 أن تعشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً لا آمناً ولا قريراً ...  
 وبزغت أورورا عموه المشرق بأصباغ الورد ، فهضت أصلى المآلهة فوق  
 السيف الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه حيرنا ، ثم انثنت

فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعقد  
 رجائى . وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت لنا أربعة من  
 جلود عجول البحر لنلبسها ، ونستخفى بها ، ولتتم الخدعة على أيها .  
 وأعدت لنا مهاداً فى رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام كل فى مهبه ،  
 وألقت فوقنا ما معها من الجلود المنتفخة التى أَرْوَحَتْ حتى كدنا نخنق  
 برائحتها ، لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ملاً حياشيمنا وأنقذنا  
 من صلول<sup>(١)</sup> تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب اليمّ حتى برزت عجول البحر فنامت فى الجون ، ثم  
 كانت الظهيرة فبرز پروتيوس وطفق يعد قطعانه . مبتدئاً ، لغفلته ،  
 بنا ، وكأن أثارة من المشك لم تخاسره فى حالنا ، فانطرح ونام . واتهزنا  
 الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث  
 لا يستطيع إفلتاً ... يا عجباً ! لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد  
 غضنفر ذو البدة ، ثم انتفض فإذا هو أفعوان أرقم يتجوى ويتجوى ، ثم  
 انتفض فصار نمرأ رائعاً ذا أنياب ، ثم صار خنزيراً برياً ، فسيلاً رابياً ذا  
 عباب ، فأبكة باسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من أن يبدولنا  
 على حقيقته ، انتفض فكان على صورته الأولى ، ثم قال : « عَمَرَكَ اللهُ  
 يا ابن أثريوس أى إله جبار حبسك فى مياهنا وسلطك على » ، تمسك بى  
 وتشدد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حسبك يا رب هذا البحر ،  
 إنك كنت بى عليماً ! لقد طال مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدرى أى

(١) أروح اللحم صار نلماً وصوله رائحته النتنة .

إله عادل حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟! » . وقال پروتيوس : « ويك يا منلوس ! لم لم تُصَلِّ لسيد الأولمب ثم تُصحِّح للآلهة يوم غادرت طروادة ؟ لقد غضب الجميع فكتبوا أن تضل في تيه هذا البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم عمة حتى يشوب إليك رشذك وتصلي للآلهة خاشعاً خائباً متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزر الأضحيات فتعود إلى أوطانك ! » وعراى مما ذكر ما عراى ، فقلت له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ... سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي بحق ربو بيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه »

وكأما ضاق بي ، واسكنه فال : « ويك يا ابن أنثريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتغي أن تقف على كل أسرارى ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلا منهم من مات ، ومن هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، ولا يزال واحد يذرع رحب هذا البحر ، ضالا على غير هدى ! ... لقد هلك أچاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه ناج برغم السماء من البحر اللجى الذى كان ينارح سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين بضربة قاضية ، من ربحه السمهرى ذى الثلاث شعب ، ثم رطم حطامها بعد ذلك فوق صخرة موحشة ... مسكين أچاكس لقد غص بالأجاج ، وشرق بقطرات فمات ! ...

أما أحوك<sup>(١)</sup> فقد بجا ! لقد دهمته موجة هائلة فوق شاطئ<sup>٢</sup> ( ماليا ) ..  
أرض ذيسيس وإيجستوس ... ومن ثمة ركب الحجر إلى وطنه آمناً .  
ألا كم كان أحوك رائماً حين وطئ أرض الوطن فراح يقبل وماله  
وبياحي كئيباتها ! ألا ليت ما بجا ! لقد لحه أحد الأوغاد من جواسيس  
إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد كميناً من عشرين رجلاً من  
أفسق رجاله فاغتالوه كما يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا  
بما صنعوا ، وأيدوا على نكرة أبيهم ... »

ولم يكذبصعقني هذا الخبر حتى حذاتني رجلاي ، وانطرحت  
أثقل في الرمال من الغم ، وذرفت الدمع من الحرقه على أحيي . ولكنه  
خاطبني قائلاً : « انهض يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولات حين بكاء .  
هلم بعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره ولتشهد ابنه العظيم أمورست ينتقم له ،  
ويستأصل شأفة قاتليه . »

وكأنا سرى عني بما قال بعد ، فهضت وساءلته بعد أن شكرته  
على ما أنبأني : « ... إذن من هذا البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع  
البحر ضالاً في رحاله ؟ »

فقال : « داك ان ليريس ، وسيد إيثاكا ( أوديسيوس ) ! لقد  
شهدته بعيني حبساً في جزيرة عروس الماء كاليسو .. لقد حل عليها  
ضيفاً برغمه ، فلقد تحطمت سمائه ، وهويته عروس الماء ، وهو لا يزال  
عندها لا يجد مراكباً يحمله إلى وطنه .. أما أنت .. أيها الملك منلوس ،

طوبى لك ! إنك ستجئ سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لا يفنى ...  
حنات الإلير يوم ... حيث لا برد ولا رمهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،  
بل تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ...  
مقام كريم وجنة نعيم ، وغادتك الحُسان هيلين ، يا ذرية ريوس  
العظيم ! »

ثم غاص في اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ، وفي القلب لوعة ،  
وبالنفس أسى . وتبلغ كل بلقات ثم أسامنا عيوننا للسكرى ، وكأنا نام  
أسطولنا في ظلام الشاطى .

\*\*\*

وانبلجت أورورا فنضرت بالورد جبين المشرق ، وهبت أنفاس  
الصباح المنداة فأهرعنا جميعاً ، وجزرنا الأضاحى باسم الآلهة ، وصليما لها  
حابتين ، وأقت لأخى رمساً فوق ثرى مصر الخالدة ، ثم هبت الريح  
رخاء فنشرنا الشراع وأصلحنا القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض  
الوطن ، فملغنا هيلاس سالمين .

. وبعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً تفرح وتفرح ، ونسعد نحن بك يا ابن  
أعز الأصدقاء ، ثم لنعد لك الهدايا والالهى التى تليق بك ، ولتعد إلى  
وطنك على عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛ ولنزودك  
بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر والآلهة فتذكرنا أبداً »

وتشكر تليماك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى وطنه ، وما عليه من  
واجبات ، وما ينبغى من عودة ابن ملك بيوس ، ما برر عنده أن

يستأذن في الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه كأس  
فيديموس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ، الكأس الخالدة التي صنعها  
الإله فلكان بيديه لينفخ بها ملك سيدونيا .

وهياً الندل مقصفاً فاخراً به جَزُور وخمر ، وأقبلت أرواجهن  
يحملن الحبز ، فأكل الملك ومن معه ورَوَّوا .

\*\*\*

هذا ما كان من أمر تليماك ومنلوس .

أما ما كان من أمر العشاق آنئذ ، فقد كانوا يعبون ويمرحون في  
بيت ملك إيثاكا ، يلاعبون الأسفة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون  
ويمزحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللهو لتزجية الوقت ، إلا أنتينوس  
ويوريماك ، فقد جلسا بمعزل يتحاذنان . إذ أقبل الفتى نومون  
ابن فرنيوس وقد تغصن جبينه ، وانتشرت على أساريره سحابة  
كثيبة فقال :

« أرايتَ إذ أعطيت سمينتي للفتى تليماك فإني أريد أن أبحر إلى  
إيليس لأرعى أفراساً لي اثنتي عشرة لا تزال ترضع أفلاءها<sup>(١)</sup>؛ متى يرجع  
من پليوس يا أنتينوس ؟ »

ورُوع الرجال لهذا الخبر ، فلم يكن أحسد يعلم أن تليماك قد غادر  
إيثاكا ، بل كانوا يظنونهم يجتر آلامه وأحزانه في أحد الأدغال النائية في  
مزارعه . قال أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد من ذريه ؟ وعلى سمينتك ؟ »

(١) العلو ولد الفرس لم يبلغ عاماً -



سفينتك أنت ؟ وهل أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنت له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها بإذني . ومادا عساك كنت صانعاً لو سألك أمير في مثل بأسائه أن يبحر على سفينتك ؟ أ كنت ترفض وتتأبى ؟ لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كلهم فينان العود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه أمير البحر منطور . ألا كم كان يبدو منطور بهيا وقوراً رائعا ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظنى أنه — أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيت به بعينى هاتين صباح أمس وهو قيد أبحر إلى بيلوس قبيل ذلك ، فأئى عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ، واستولى الذهول على الرجالين ، وكان العشاق قد فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا يستريحون من التعب ، فيم شطهم أنتينوس ، وهو يتمير من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه ، فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تليماك في عصابة من شباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل علينا حسبانا ! الويل له ! أعدوا لى مركباً وعشرين فارساً من أبسل صناديدكم لأجأ ، بين أوادى ساموس ونُتوء إيتاكا ، التاعس الذى ذهب يستروح أخبار أبيه ليسعى إلى حثفه بظلمه . »

وتحتمس الملأ وعلا هتافهم ، وهروا إلى الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتآمرون ، وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذى

انطلق بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفاك إلى الملكة الباكية  
المفتودة . . ينلوب — وما كاد يقص عليها ما اعترموه من قتل تليهاك  
حتى تصعصعت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبست أنفاسها  
هنيهة ، ثم سألت ميدون فيم أبجر ولدها . « ألكى ينقرض اسمه من  
صفحة الوجود ؟ » وأجابها الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه .  
ثم ذهب لطيطته ، وجلست الملكة المرزاة لدى الوصيد تبكى وتنحب ،  
ومن حولها الغيد الرعابيد والعجوز الشمطاء من خادمت القصر ،  
يعولن ويكفكفن

قالت الملكة : « ويح لى أيها العذارى ! أبداً ما أحسب واحدة  
من النساء قد لقيت بعض الذى لقيت مما كتبته على السماء ! لقد فقدت  
زوجى ، أسد هيلاس ، الكريم أوديسيوس ، الأمير الحلال ، رجل  
الفصائل والمروءات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل عنى ولدى ... دون أن  
أعلم أمر رحيله من إحداكن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو  
أدبت ثمناً لذلك روحى ! واسكن .. هيا .. لتمض دايون — خادمتى  
الوفية ذات التجاريب — إلى ليرتيس — ولتحدثه عما تأمر الذئاب .  
وى ! لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ! » .

وهست يوريكليا مريض تليهاك ، تنثر دموعها وتقول :  
« وأسفاه على أيتها الملكة ! سأعترف بما كان ولك أن تقتليني ..  
أو تبقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخمر ، وأخذ على  
موثقاً ألا أبحر بسره حتى تمضى إثنا عشر يوماً بتمامها ... حتى أنت

يامولاتي! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء ، فاهدئي يامولاتي ولا تضاعفي أحزان  
القصر بحزن جديد ، وامضي إلى مخدعك فاستريحي ثمة ، وانصلي جميعاً  
لربة العدالة مينروا — باللا الطيبة — أن تصون مولاي الأمير وترعاه ،  
وتكلاؤه من كل خطر وليعد إلى عرش آتائه ليحكم ويعدل ويدتر  
شؤون الملاد .

ورقاً الدمع في عيون الحاشية ، ونهضت بنلوب فصعدت إلى الطابق  
العلوي ، وأمرت بسلة من الكعك فتفحط بها العذارى قرباناً لمينرفا وتقدمة ،  
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« اسمعي يا ابنة سيد الاولمپ ! يا مينرفا العادلة ! باسم ما ذبح لك  
أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى نضرع إليك ونتوسل بك ونصلي  
لك ، أن تصوني ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك على  
أعدائه .. أولئك الأضياف الظالمين ... آمين » .

وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت مينرفا صلاتها . ثم  
علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم تساب نزع الثالث في  
أذنيه صلاة بنلوب فحسبها أشرفت تناغى وتغازل ، فراح يعرض بها في  
كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن  
يستعينوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، ويم بهم سطر البحر ، ثم  
ركبوا في سفينة أعدت لما اعتزموه من تلصص وقرصنة وفتل ، إعداداً  
كافياً فنقلت إليها الأسلحة ، وحملت إليها أحمال الزاد والدخيرة ...

وأقلمت ، لا باسم الآلهة مجراها .. ولا سلكت سبيل الرشاد .

\*\*\*

واضطجعت بنلوب في فراش حشوه فكر وهم ، وجاشت في قلبها  
الوساوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيران بسبب ولدها ،  
وما دبر له الكلاب وما كادوا . مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك  
وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحاييل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكريمة في رؤيا عجيبة  
تواسيها وتذهب عنها طائف الحزن ، فتزيت بزي الأميرة المفتان ،  
إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت  
ترسل هذه الأحلام :

أهكذا تنامين ملء عينيك الجميلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ  
روحك ، وليصف بالك ، فالسماء رعى ولدك ، وهو عائد إليك عما  
قريب ! إنه لم يقترب شيئاً مما يغضب الآلهة ، ولذا فهى تكلؤه وترجاه  
وتحفظه ، فقرى عيناً واسلمى وانعمى ! » .

وتقول بنلوب إذ هي تحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجباً ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر ما كنت تلمين  
بهذا القصر ؛ التواسينى وتسلينى ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبى ،  
وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجى ... أسد هيلاس  
ونخر أرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أناذى انتفض فرقاً على ولدى ...  
ولدى الطرى آفغينسان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... فى هذا البحر

اللاجئ ... لقد أقلت به سفينة كأنها تسبح في بحر من دمي وأحزاني !  
وها قد تعقبه الأشرار في سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرتد  
إلى وطنه ! » .

وتجيبها مينرقا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه  
راعياً بحفظه ويوقيه ... راعياً يتمنى الجميع أن يكونوا في رعايته أبداً ...  
مينرقا ! إنها أيضاً تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت  
بأمرها أواسيك ! »

وهلعت بنلوب ثم قالت : « وئى ! أما إنك إذن لربة وقد كلمتك  
الأرباب ... ألا قصى على إذن ما كان من أمر رجلى ؛ ألا يزال حياً  
رزق ؟ أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ؟ إن أذكر لك  
إذا كان رجلك لا يزال حياً أو إنه قد قضى ، مالنا ولذلك ؟ »  
ثم رفت في ظلام الغرفة ، وصعدت في سماء الأحلام .  
ونهضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجذب كابوس الهم الذي  
كان يجثم على قلبها .

\*\*\*

وأقلع العشاق بفلكهم في اليم المضطرب ، كل يتحدث نفسه بمقتل  
تليماخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيشاكا ...  
فأرسوا ثمة يترصدون .

## أوديسيوس يبحر من جزيرة كالبيدسو

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب ( تيتون ) فنشرت  
في المشرقين غلالة سنية من فيص ضوءها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقداً  
في ذروة أولب ، وقد استوى زيوس على عرشه ، ومينرفا ... ربة  
الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ،  
وتبث أشجانه وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها وحده  
في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أيتها ! ياسيد أرباب أولب ! جوف ! إصغ إلى ! وأنتم يا آلهة  
الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة منكم ، فإنها حسبي ! إلى أين تصير  
الأمر إذن ؟ هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطغاة يعيشون  
في الأرض مفسدين ، وكأنما أغمضتم أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم  
ألا تكفوا أشرارهم ، ففسدتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي طالما منحهكم  
محبتة ، والذي بذل لشعبه مهجته ... يشوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة  
يجتر همومه ، ويبعث في صفحة السراب آماله ، ... كلاً على كالبيدسو  
عروس الماء .. لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ، ولا يجد قلباً إلى جانبه  
فيبث حزنه ويشتكى إليه لأواه ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ،  
بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصابة من الأعداء الألداء يتربصون بابه  
الشر ، ويدتوون غيلته ، إذ هو عائد من أقصى الأرض . من أسيرطة  
وبيلوس بعد رحلة منهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن أبيه ، يشفى في  
قلبه غلة ، ويرى في نفسه كلوماً »

ويجيبها رب السحاب الثقيل :

« أية كلمة هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابنتي ؟ ألسنت تتشوفين إلى عودة أوديسيوس سالماً آمناً فيبطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولتحرسي ولده تليماخوس حتى يصل سالماً آمناً هو الآخر إلى أرض الوطن ، وليُؤْأعداؤه بالفشل »

ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمز ! هلم يا بنى إلى عروس الماء الشقراء كاليسو برسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس على رمث<sup>(١)</sup> وحده ، لا أنيس له من إنس ولا آلهة ، فليلق الأهوال الطوال حتى يصل إلى تيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من ذهب وديباج ، وبكل ما تشتهى نفسه مما يفوق نصيبه الذى حصل عليه من أسلاب إلبوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً إلى إيثاكا ... بهذا قصت المقادير أن يؤوب ... وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملـكه وإيوانه ؛ ويلقى بعد طول النأى خلانه » .  
وأصالح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نعليه الذهبيتين ، نخفتا به كالريح فوق السحاب وفي يمناه عصاه السحرية العجيبة التى إن شاء داعب بها الجفون فأغقت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ، وما قى<sup>٢</sup> يرف بين السماء والماء ، ويدوّم في ذاك الفضاء كالغرنوق<sup>(٢)</sup> الذى يتواثب على أعراف الموج يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة

(١) خشب بضم إلى بعصه ويركب فى البحر Raft

(٢) بورن طنبور وبوزن وردوس طائر مائى ( النطاس ) .

المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يُرْتَقُ هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذى تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر الكهرمانى وقد جلست ثمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة فى منسج أمامها ، ويدها تتلقفان الوشيمة<sup>(١)</sup> الذهبية كما يخطف البرق ! والنار تتأجج فى الموقد بقربها وتتوهج ، وجهر الأرز والصندل يعبق ويتأرج ، ويملاً نَشْرُهُ أركان الجزيرة وفجاجها .. وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف فغشته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها فى الدوح الزاهب فى السماء ، ووَكَّنت<sup>(٢)</sup> الحدأة بيضها ، وقر الغداف<sup>(٣)</sup> جنب صغاره ، وطفقت البومة ترسل فى الآفاق صغيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدقت جداول أربعة عن عيون كوثرية تسقى السندس الجميل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر عجب ، وأى منظر عجب يبعث البهجة والانشراح حتى فى قلوب سكان السماء !

ووقف هرمز يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيراً على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هى أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعد الشقة ، ونأى الدار ، واقطاع الزار ... ، وأرسل عينيه فى كل شق من

---

(١) المسكوك .

(٢) رقدت عليه .

(٣) الدفاف بضم الدين غراب القبط .



شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على أثر... فالتقى ، ويم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم نأى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالى ، يطفى بها فى القلب سعيراً سرمدياً يلزمه أبد الدهر... وكأنا عرفت كاليسو من هذه الآية أنه هرمز ، فراحت تسائله ، إذ هى مستوية على عرشها الممرد العظيم :

« هرمز ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالما أحببته وبجلته ، حدثنى فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم فقل . سل حاجتك فسأقضيها إن تسكن فى وسعى ... ولكن هلم أولا ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سماطاً حافلاً بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمز فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالكلام فقال : « تسألين أيتها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلمى أنى ما أقدمت عن أمرى ، لكنه أنى ، سيد الأولب وكبير الآلهة ، هو الذى أرسلنى . إذ أية حاجة لآله فى هذه القطعة المنعزلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، ويطعمون الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنه جل جلاله ، يقول إنك تحتجزين هنا أتعس مخلوقاته ، البطل الكبير الذى نزع عن بلاده إلى اليوم فقضى ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها فى العاشرة مع محاربى هيلاس الذين تمرقوا فى البحر شذر مذر ، فمنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ، وقذفه

المحر فوق جريرتك المائبة ... جوف يأمرك أن ترديه ، ففي كتاب  
المقادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده ويلقى فيها آله .

وزلزات كاليسو زلزالا وقالت نجيبه : « ها ... الظلم والحسد ...  
دائماً ... هذا دأبكم يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الغيرة كلما ضمت ربة  
إلى ذراعها أحد بنى الوتى ! وهل نسيتم يوم ثرتم عند ما علقت ديانا  
دات الأصابع الوردية هذا الفتى الجميل أوريون ، وكيف دبت الغيرة في قلب  
أبوللو مكر هذا المكر السيئ ، ودر قتل الفتى بيدي حبيبته ديانا ؟ <sup>(١)</sup>  
هل نسيتم أيضا كيف أرسل أبوكم جوف إحدى صواعقه على أباسيون  
المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته وأخذته بين ذراعها حين  
شغفها حبا ؟ ! كذلك أنتم معى اليوم ، وكذلك أنتم عيورون دائماً ، فما  
أقساكم إذ تنفسون على حبيبي ؟ ! لقد أنقذته بعمى من هذا اليم الذى  
التقم سفينته بمن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه في عشة من عبثاته !  
حبيبي الذى أهواه من أعماق وأفتديه بروحى ، والذى أهد له حياة  
الخلود ... ولكن ... وا أسفاه ! كيف أطرده من عندى ؟ ويحى !  
إن تكن هذه مشيئة زيوس فلاحدثن أوديسيوس ليرى لمسه ، إذ  
ليس عندى مركب يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإلى  
ناصحة له ، .. »

(١) راجع الأوديسة التى بأيدينا مبهمة في الكلام عن هذه الأسطورة لذلك  
اضطررنا أن نتصرف قليلا اعتماداً على شرح الأستاذ جرير — وحلاصتها أن أبوللو  
علم بما بين أخته ديانا وأوريون من عشق فاستدرج ديانا وأخذ يباريها في الرماية —  
وكان أوريون يستحم في البحر فجعلها تصوب سهمها إلى رأسه وهى لا تدري فقتلته .

وكلها هرمز فأنذرها من عضبة سيد الأولب وحضها أن تعمل على  
إبحار البطل .

\*\*\*

ورفَ هرمز الرسول في لازورد السماء ، واطلقت عروس الماء تبحث  
في الجزيرة عن أوديسيوس ، حتى لقيته فوق صخرة ساهماً واجماً ، تَفرى  
قلبه الهواجس ، وبعث به محال الأمانى ، وقد انهمرت فوق حديه  
عبرات حرار ، والاحظات تذبل فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق  
الخريف ، وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار عروس الماء التي كانت  
تخلع عليه حبها البارد ، وتقصره على أن يقضى لياليه بجانبها على فراش واحد  
في ذلك السكف السحيق . . وكلما فكر في وطنه ، ونظر إلى الموج  
المتوائب في أفق اليم ، وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأنّ ، وتوجّع  
وتصدّع ، وأرسل في لا نهاية الماء والسماء آهات وآهات ... » .

واقتربت منه عروس الماء في رفق وحَدَب ، وقالت له :

« أيها التعس لا تنتحب هكذا ، ولا تصهر حياتك الغالية في تنور  
من الآلام ، هلم ... هيا إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأبك  
الذاهب فاقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رَمَماً يحملك فوق هذا العباب  
المتلاطم . وسأزودك بكل ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك  
بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الريح تهْدِهُدُكَ إلى بلدك  
البعيد ... هذا قضاء من آلهة السماء التي تقدر فتعدل ، وتقضي فلا يرد لها  
قضاء ... »

وتفرّغ أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال : « أوهِ يا عمروس ! بل في الأمر سرّ تحاولين إخفاءه عني .. أى رَمَتْ يحملني في ذلك البحر اللججى وأى ريح تُسَخِّرُين من أجلى ؟ وإن السفينة العظيمة لتمخر عبابه وهى لا تدري أنسلم أم يكون أهلها من المغرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطيني موثّقك ، وحتى تقسمي القسم العظيم ، أباك لا تبطنين لى شرّاً ولا أذى ! » .

وتبسّمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على خديه وهى تقول :  
« ويحك ! كيف تسيء بي الطن يا أوديسيوس ؟ أية حجة تملأ بها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصنع إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذى يقشعر لذكرك كل شيء ... إنى لم أضمر لك فيما عرضت عليك شرّاً ولا أذى ... إن الذى تبكى من أجله ، أبكى أنا أضعاف ما تبكى من مثله ، فلقد كنت ضرورة من ضرورات حياتي هنا ، واقد علق بك قلبي ، وهامت بحبك نفسي ، وليس قلبي من صيخر فيحتمل البعد عنك بلله الإضرار بك » .

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكأ الذى كان يجلس عليه هرmez منذ هنيهة ، ثم أقبل جوارى المساء يحملان شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلا ورّوا ؛ ثم شرعت كاليسو تحدّثه وتقول :

أهكذا يا ابن ليرتيس العليم ، أيها الحكيم الصناع ، لا تفتأ تحن إلى وطنك وتعزم الرحيل إليه ؛ أنا عذيرك يا أوديسيوس ... فوداعاً !

ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قتادها  
 قبل أن تصل إلى بلادك؟ أليس حيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني  
 كهفي ، فتصبح من الخالدين .. وتنسى هذا الجمال الفاني الذي لا ينفك  
 يصيبك ويسببك ، والذي أحسب جمالي وفتنتي لا يقلان عنه سحراً إن  
 لم يزيدا عليه فتوناً؟ ! »

فيمجيبها أوديسيوس الحكيم . أيتها الربة المخوفة ! هوّني من حفيظتك !  
 فأنا أعلم أن ينلوني العزيزة لا تزن من جمالك وفتونك مثقالاً ، لأنها  
 هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... وطني  
 الحبيب الذي أحسن إليه وأهم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا  
 اللج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في خبار المعمة ؛  
 وفي الفلك تحت كل الزوبعة ... إلى ، إلى يا خطوط ، وأقدمي بكل  
 حولك يا رزايا ... »

\*\*\*

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ،  
 ونامت الربة في سريرها الوثير ، وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه  
 وتلثمه ... حتى إذا نضرت بالورد أورورا جبين المشرق ، هب الإلفان  
 وتدنثرا ؛ هذا بثوبه الخشن ، وتلك بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة ، التي  
 كأنما نسجت من نسمات الصباح العطري ، وراحت تخطر فينانة ريانة ،  
 وقد اتشجت حول وسطها النحيل بقرطق<sup>(١)</sup> جميل ، وألقت على رأسها بخمار  
 صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين أحدهما كالساطور ، ركبت

(١) اقرطى بعم كاف وفتح طاء نوب يشتمل به .

فيها يد من حشب الزيتون المتين ، ثم إرميلاً حاداً مرهقاً . وسارت بين يديه حتى كانا عند عانة عظيمة مُخْرِفٍ ، لاحمة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين<sup>(١)</sup> ، وتركته ثمة ، وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للمطل المسكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أليكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة . . ثم أقبلت كاليسو وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لآي أن يضم بعض الجذوع إلى بعض ثم كلها بكلايات كبار ، وأفرع في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السمايون . . ودعم ذلك جميعاً بالأواح ودُسر ، وصنع قلعاً وجعل في القلع شراعاً ، سم سوى السكان مكانه ، وجعل في البساطن صبارة<sup>(٢)</sup> كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجدل جوانبه بفروع وأغصان تزيد في قوته وتضاعف من مُنْتِهِ . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأنزله إلى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها ففسلته وضمخته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه من ديباج ثمين ، وزودته بزقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب .

وودع عروس الماء الحزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتعد رويداً رويداً .

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والعاموس .

(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر

(صابورة) .

وكان قلبه يفيض بالمشر ، وصدره يمتلىء بالانشراح ... وظل يجري  
به العلك الصغير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليل ما تريمنا عن الثريا  
في علياء السماء ، وما تفتران تنظران إلى مجوم الدب الأكبر التي تقف  
للجبار<sup>(١)</sup> بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يرح ، أن يجعل هذا  
المجم إلى شماله أبداً

نم بدت جبال فيثيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض  
الشاحبة ... ولكن ! وأأسفا ! لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عنانه  
من سوليا<sup>(٢)</sup> ، فلمح أوديسيوس فوق رمشه يتوائب على هام الموج ،  
ويقرب من الشاطئ ، فينجو إلى الأبد من بطشه . وثارت في نفس  
نبتيون — إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس — ثورة من الغضب ،  
وظل يعلك هذه الكلمات في نفسه من فوق بطاح إنيوبيا<sup>(٣)</sup> :

« وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف  
الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس ، فقضوا فيه ما قضوا لأنهم  
يسكنون السماء ، ولم يبالوا بي لأنني أسكن الأرض في إنيوبيا ؟ إنه يرى  
شاطئ فيثيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم  
تترصده في كل موجة من موجات هذا اليم ... ولكن ... لا ... لألهينه  
بألف سوط عذاب قبل أن يصل إلى البر .. » .

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى نيبوليا

(٣) هكذا في الأصل

نم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب الثلاث فانهقدت منه  
 ظلمات فى أرجاء السماء ، وطفق يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم  
 بالأمواح ، وصاح صيحة بريح المشرقين وريح المغربين فاجتمعت إليه  
 من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الثلجية اللاخفة فانطفأ  
 لألاء النهار ، وأظلم الليل فجأة ، وطغى العباب وشابت نواصيه بالشبح ،  
 وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه  
 فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث نفسه هكذا :  
 « يا لتعاستى ! أى مقدار قاس يترصدني ؟ لقد أنذرتنى ربة الماء معبئة هذه  
 الرحلة الهوجاء فى البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد التى تعتور طريقى  
 إلى الوطن ، فهى ذى تتحقق ! أية أعاصير هوج وأى موج ينتفض  
 من الأعماق قد سلطه خوف على هذا البحر ! بعد لحظة أغوص فى ظامة هذه  
 القبور التى يشقى عنها الموج ! ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيّاً تحت  
 أسوار اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً فى سبيل إنقاذ الأتريدس<sup>(١)</sup>  
 أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة  
 أخيل ! ! أجل ! لو أننى مت ثمة لأقيمت من أجلى الطقوس الجنائزية ،  
 وأدبت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه  
 وأعر عباراته . وتفاذيت هذه الموتة المجهولة التى تكاد تلتقمنى ! » .

ثم كانت الطامة ... فإن موجة كالطود فجأته ... فبعثرت الرمث ...  
 وأفلت مقبص السكان من يدى أوديسيوس ، فانتثر فى اللجة ، ثم غاص

(١) هو بيت أحامنون



في أعماقها ، وعبثاً حاول أن يطفئ... لأن الرياح تكالبت عليه من كل مكان ، وكلما نجا من موجة فغرت له فاهاً أخرى ... ثم حدثت المعجزة ... فقد وسعه بعد لأي وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دومة اليأس إلى السطح ، وأن يملأ رئتيه المنهوكتين بتنفسه من الهواء كانت تخرج بالماء الأجاج المتصبب من جبينه ، حتى لأوشك أن يغص بها ... لولا أن لطف به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انثرت العاصفة قلاعها وشراعها ، فسبح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه للموج تلعب به واحدة وتعبث به أخرى ، وتجمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قيض له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم ، والتي اتخذت اسم (ليوكتيا) بعد أن نزلت إلى البحر وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود .. لقد تفجرت في قلبها شأيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رأت في هذا الروح الذي ليس كمثل روح ، فسحرت نفسها ، ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء ، ثم قالت له : « ويحك أيها البائس ! فيم أثرت غصبة نيتيون عليك حتى ليتبعك سرباً في شعاب البحر ، ويصب عليك كل تلك الرزايا ... ؟ » على أنني أنصح لك أن تدع هذا الرمث ، تتدافعه الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفز في الماء ،<sup>١</sup> وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا ، حيث تسلم بنفسك ، وتكون بآمن من بطش هذا الجبار . خذ ، هاك زناراً<sup>(١)</sup> من حرير من حياكة السماء ، لفه تحت صدرك ، فإنه يجعلك بآمن حتى من مجرد التفكير في الموت ، فإذا وصلت سالماً إلى الشاطئ

فأرمه بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء .

وسلمت إليه الزنار الموعود ، ثم غاصت في الماء ، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ؛ ثم أفاق من غشيته ، وجعل يهرف هكذا : « أوه ! ترى ؟ أذاك شرك آخر تدبره الآلهة لي ؟ ولـكن لا .. لن أرح مقياً فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولأظل مكاني ما دامت الجذوع مـكـلـبـة هكذا ، فإذا حطمتها يد الحدثان فلأفعلن كما أشار الإله الذي كان يكلمني منذ لحظة ... » . وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمته ، وتركته عالقاً بأحد الألواح ... وأسرع أوديسيوس نخلع الرداء الجميل الديباجي الذي خلعتة عليه كاليسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نبتيون الجبار يرى بعينه ، ويشفي خـرـدـه ، ويقول في نفسه : « ذُقْ يا أوديسيوس وبال أمرك في هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالك بحبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهي آلامك ! » وحث مطيه حتى وصل ( إيجـه ) حيث يشرف قصره المنيف .

\*\*\*

وكانت مينرفا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس وبين اليم ، فاطلعت من عليائها ، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ريح الصبا الشمالي الكريم فجري<sup>(١)</sup> رخاء ، يدفع أمامه البطل

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكر

العظيم الذى ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من دهر ، وإيلتين  
أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا فى اليوم الثالث ، استطاع  
أن يرى الشاطئ على مرمى البصر ، فوق موجة عالية .

ما أحلى الأمل الذى يحيا بعد يأس ؛ لقد كان أوديسيوس ينظر إلى  
التلال والجبال القريبة ، والغابة النائمة فى أحياها ، كما ينظر الأطفال  
الآبرار إلى أب لهم أنهكته العلة ... ثم تماثل للشفاء بعد تسليم وقنوط !  
وتحسس الأرض بقدميه ... ولكن . وأسفا ! الأعماق الهائلة !  
والصخور والأواذى ! والموج الذى يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويزيد ... !  
لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تيجوس خلاها سفن ... ولقد  
ظل أوديسيوس يكافح ويكافح ... حتى غم على قلبه ، وكاد يتغشاه  
طائف من الخور ، بعد أمل وطيد !

وجاشت الوسوس فى قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلاك فى  
هذه اللجة الرجراج ...

وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ،  
أو أن تلمحه أمفريت ، زوج نتيون - عدوه اللدود ، إله البحر ، فتسلط  
عليه من وحش الماء ما يلقيه ، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق ...  
كرة أخرى .

وبينا هو فى بحرين من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب  
بها اليم فتدفعه فى قوة وعنق إلى الشاطئ ذى النتوء والنوى فتكاد  
تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة

صخرة بارزة .... فظل معلقاً ثمة حتى أقبل جبل آخر من موج البحر  
فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين ثانية  
وثالثة حتى تدافع الموج من حلقه فقفزه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة  
على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي  
كاد يسلمه بدوره المحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل ... ويدعو  
من أعماق قلبه ويصلى ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر  
حدة التيار ، وفلّ من غرب الماء ، واستطاع البائس المنهوك أن يصل إلى  
إحدى العدوتين واهياً متهاكاً محطاً .. فانطرح على الثرى يقبله ...  
ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبتغين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عيٌّ مضدع ،  
ولا قبّل لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاء وصقيع الفجر ... فلو أنني  
استطعت أن أتسلق هذا الحدور فألوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن !  
وئى ! أى وحش ضار يغتذى بلحمى ثمة ؟ » .

يئد أنه توقّل في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان  
بين زيتونتين إحداهما مشمرة ، والأخرى عقيم ؛ كل منهما أعماء شجراء  
حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالهما ، ولا الماء  
بواصل إلى من استذرى بهما .

هنا ... وجد أوديسيوس مأمنه ؛ . . فراح يمهّد الأرض ، ويهلم  
ما استطاع من قش ويحتطب ، حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره ،  
من الضاربين المشردين في الأرض ، ودعم حفافيتها بفروع الشجر ...

ثم أسلم عينيه لنوم هادئ عميق ، سكبته مينرفا في كلتا مقلتيه .  
 فله ما كان أروع غاراً في هذا السفط من القش ، كشعلة من زيتونة  
 لا شرقية ولا غربية ، يعتز بها ريني شاب في قرار مكين<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

نام أوديسيوس منهوك القوى .  
 وذهبت مينرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد السلالة ذوى المجد من  
 أبناء فياشيا — ملوك البحر الذين فروا من وجه جيرانهم الجبابرة  
 السيكلويس — في العصر الخالي ، ونزلوا بهذا البلد ، فشادوا حصونه ،  
 وأقاموا أسواره وتوزعوا أرضه الخصبه ، وأسكنوا الدور والقصور ،  
 وأنشأوا المعابد للآلهة عرفاناً وشكراناً .

وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم استوى على العرش من  
 بعده ألكينوس ، حبيب الآلهة ، وصفى السماء .

\*\*\*

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة ألكينوس الملك ؛ تغط  
 كالملك في نوم عميق بين وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير  
 وثير في مخدعها الملكي الفاخر .

وكان رتاج الباب محكما كأنه وتاج باب الجنة ، ولكن ذلك لم يقف  
 بسبيل ربة الحكمة مينرفا ، التي خطرت إلى الداخل كنسمة نادية من  
 نسيمات الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها هذا الحلم الففى

(١) كانت النار في ارمن القديم أغلي ما يعتز به الناس .

الجميل ، وكأنما تبدوا لها في المنام في صورة صديقتها وأغرأتها ابنة  
ديماس الكريم :

« نوزيكاً ! يا ويح لك أيتها المؤوم المكسال ! أهكذا تهملين  
ملايسك وأنت موشكة أن تُزفي إلى عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظر  
ورواؤك ، ورواء حاشيتك ووصيفاتك ؛ كما يتوقف عليها زهو أبويك بين  
الناس . انهضى مع القلق<sup>(١)</sup> فاذهبى بمطارفك إلى الماغتسل عند ضفة النهر  
فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين مراح هذا الشباب الخالي . .  
هلمي ! إني سأعاونك ، أنت يا ساحرة ألباب شباب العياشيين ! سلى أباك  
أن يرسل لك عربة وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك إلى عُدوة النهر حيث  
لا شاهد ولا رقيب » .

وانفتل مينرفا ذات العينين الزبرجديتين ، ورقن أساب السماء  
حتى كانت فوق ذروة أولب ... حيث السكون والهدوء والصمت ،  
وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تعصف ريح ولا يتلبد سحاب ولا تدمع  
عين مطر . . وحيث السماء لازوردية صافية إلى الأبد .

\*\*\*

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت من لونها أميناً من  
رسل النور يداعب جفنى نوزيكاً ، فهبت وحلمها الجميل لما يفتأ يساور  
رأسها الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبويها تقص عليهما أنباء  
ما رأت . وقد ألقت أمها لدى المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجواني

(١) الفلق أول ضياء الصبح .

موشى بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدها . ثم لقيب أباهما  
يكاد يذهب ليتأسس مجلس شيوخ المملكة ، فاستوقفته وكلمته فى العربة ،  
واحتجت ملابس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا العذارى  
فى الحفلات بملابس لا تليق بأبناء الملوك . . . وعقد الخجل لسانها فلم  
تذكر مطارف زواجها وشفوف زفافها ... ولم يمتلأ أنوها بما طلب ، بل  
أمر لها بعربة كبيرة عميدة ودواب ، وزودتها أمها بأشربات وآكل  
وطيوب ومسوخ<sup>(١)</sup> .

واستوت مع وصيفاتها فى العربة ، وساطت البنغال فانطلقت تطوى  
الرحب إلى النهر حيث وقفت عند منعرج يترقرق فيه بلور الماء ، متدفقا  
من نبع قريب . وسرحت الدواب لترعى العشب الحلو النامى على حفافى  
الماء ، ثم أخذن فى غسل المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ الذى  
طمه المد ونضجه الجزر ، واغتسلن بعد ذلك وتصفخن ، وجلسن على  
شفا النهر يتبلمغن بلقعات ، ثم نهضن فتلاعبن بالأكر ، وتغنت ابنة الملك  
أعذب الأغاني ، وتثنت كما تثنتى ديانا فى شعاف الجبال وفى يدها القوس  
والترس ، تصيد الخناير فى أريمانت — ومن حولها ربرب من عذارى  
الآلهة ، وابنة لاتونا<sup>(٢)</sup> تنميه عليهن وتدل ... كذا كانت تميمس ابنة الملك  
فيكسف لألاؤها جمال الأخريات .

وهنا ... شاءت مينرغا أن يهب أوديسيوس من نومه ، ليشهد

(١) ما يمسح الجسم من دهن أو طيب أو غيرها .

(٢) هى ديانا .

للغادة الهيفاء التي كُتب في الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ ففما كانت  
بوزيكا تضرب الكرة لثقلها إحدى وصيفاتها ، إذا هي تعلو وتعلو ،  
ثم تدوم كما يدوم الطائر ، وتهوى في العباب المصطخب ...

وصرخ العذارى صرخة مدوية ، فانتفض أوديسيوس وهب مذعوراً  
مشدوهاً يرى هذا المنظر العجيب !

« ويحيى ! أي بني الموتى قُطَّان هنا ؟ ليت شعري أشوسٌ عرابيد  
أم كرام أجاويد ! أوّه ! إلمهن عرائس ماء تفرّ عن فرجعت الغيران أصداء  
صراخهن ، وتراقص الحباب فوق العباب من جرّسهن ، وتثنى الكلا  
نشوة في الوادي ! لأدافُ نحوهن فأرى إليهن ... » .

وخطر من دَغِيلَتِهِ<sup>(١)</sup> خَطَرَانِ الأسد هاجته العاصفة ، فانتقدت في  
عينيه جهرتان من غضب ، أوظمىء فاشتدت غلته إلى الدماء ... وذأل<sup>(٢)</sup>  
نحو العذارى ، فما إن رأيته حتى تفرعن وولّين مذعورات في الشاطيء  
ذى النوى ... إلا بوزيكا ! فقد نفخت فيها مينرفاً من روحها ، ونزعت  
من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل  
ويتضرع ، أم يقف عن كשב يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها  
أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال :

« عمرك الله أيتها الملكة ! أربة من الخالدات ، أم حسناء من

(١) الدغيلة والدغل الشجر الملتف .

(٢) ذأل وذأل معنى في خفة ولشاط .



بنى البشر؟ أضرع إليك أن تجيبى ! فإنك إن كنتِ ربة ، فما إخالك  
إلا ديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها  
الممشوق ، وحسنها السيوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنتِ إنسية ، فما  
أسعد آلك بك ، ولشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت فى ملعب ،  
أو بدّخت (١) فى صرّع .. ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك  
الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال !! ألا ما أروع ما تبدين كالنخلة اليانعة  
فى ديلوس عند مذبح أبوللو ، أيتها الأميرة ! ألا كم أتمنى أن ألتق قدميك ،  
لولا ما ينتابنى من روع ، ويؤودنى من فزع — أنا — ذلك الممّتى  
الحزون المشجون — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المنون  
أمّس ، بعد إذ كشرله عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بعد سفرة عشرين يوماً  
من أوجيحياء ، وسط أنواء وأهوال ، وموج كالجبال ، حتى شاءت العناية أن  
تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدرى ما حبأت لى المقادير بعد !  
ولكن ، هل ترثى مليكتى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه  
الأرض بعد طول عنائى ، فترشدنى إلى مدينتها ، وتسبغ على — أسبغت  
عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتناول  
إليه أعين الأعداء — دثاراً يستر سوءتى ؟ » .

وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب النازح وكرامة ! إن سمالك تدل  
على نبيل ، وسَمَتِكَ ينبئ عن رفعة ! اضطبر على ما ابتلاك به كبير الآلهة  
الذى بيده العزقة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . وإنى سأدلك إلى المدينة ،

مدينة الفيثاشيين ملوك البحر ، التي أنا ابنة ملكها العظيم الكيموس ،  
 رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومأت إلى وصفياتها تقول :  
 « مكابكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسي كريم ؟ لقد آبت  
 الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحسابها ، بلادنا المقدسة ، التي انعرت في  
 لجح هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جَوَّاب آفاق ،  
 قدفه البحر إلى شاطئنا ، فمرحماً به ضيعاً من لدن زيوس ، وأهلاً بوفادته  
 ونهلاً . هلم إذن يا صويحات فقدمن له طعاماً وشراباً ، ثم هدين له  
 حماماً في منعرج ظليل عند خفافي النهر » .

وأهرع البنات فعدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلال وأفياء ،  
 وأعددن له ثوباً وكساءً ، وهياناً طيبوياً يتصمخ بها إذا فرغ من شمامه ،  
 وسألن أن يذهبن بعيداً حتى لا يتعري أمامهن ، إذ « ... أشد ما ينجحني  
 أن أندو عارياً أمام الخُرْد الخفريات ! » ... وتهادين إلى مولاتهن يحدثنها  
 بما قال : بينا هو قد انقذف في الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما  
 من ملح اللجة ، وصعد فقصمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه العنيد  
 ذلك الكساء الذي منجته إياه نوزيكاً ، ومن أعجب العجب أن مينرفا  
 نفسها كانت تعاونه في تجميل خلقه ، وتزيل من شعره الكث الأشعث  
 تلبداته التي كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى ... ثم هي بعد كل ذلك  
 تضي عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هي فلكان الصنّاع  
 يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في روثق وردوعة ،  
 حتى إذا لحته الأميرة العذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها . « تالله

يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسنته آفاقياً من رعاع الناس ، لولا أنني أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سمته ، على أن نبقى آخر الدهر هنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخمراً .  
ومددن أمامه سمطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشربات والآكال ؛ وأخذ أوديسيوس في إكلته حياً متأدباً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة التي أنهكته وأوهت قوته .

ووضعت أحمال المطارف والسياب فوق العربة ، وسدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبي ، حيث تلقاه في جمع من أشرف الفياشيين وسننطلق وسط هذه الحقول ، وإن لي معك من أجل هذا لكلمة .. لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين أرضها جسر ضيق تفر على جانبه سفائننا ، رابضة متراصة ؛ ثم ينهض عندها معبد نتيون العظيم ، وبجواره سوق المدينة المبني من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال السمن وشراؤها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها — لأن الهياشين لا يعنون بشيء عنايتهم بهذه المنشآت في البحر كالأعلام — والذي أخشاه أن يرانا الناس نمة فيستهزئوا بنا ، وقد يسلقونني بالسنة حداد ،

قائلين في سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب الهرقلي  
الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفة جمعت شملهما يا ترى ؛  
سرعان ما نراها تزف إليه عروساً كاعباً . قد يكون ضيفاً غير محمود من  
أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلاتها وتسبيحها واحداً من الآلهة أبق  
من السماء ليقر في حضنها إلى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها زوج  
سعيد من بلاد غريبة يشبع أمانها الجاححة بعد أن رفضت الأيدي  
الكثيرة التى تقدمت إليها من أبناء الفياشين ... هكذا سيقول الناس  
إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعنى من اللأمة فتاة  
عذراء تستبىح أن تمشى مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها ...  
ولكن أصنع إلى : إنك واصل حتماً إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى ... بعد  
قليل سيصل ركبنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النامى فى تخوم الطريق  
باسم ربة العدالة والحكمة ميئزفاً ... وإن عنده لنيعاً يترقرق وسط كلاً  
وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أوى ، الجنة الضحوك المثناف ! قف نمة  
حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصلنا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل المدينة  
واسأل أيا من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن قصر الكينوس الملك ، أبى  
الحبيب ، فإنه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سعته وأبهته ؛  
فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى تلقى أمى جالسة لدى  
الموقد المتأجج بجانب عمود صرمى ، مكبة على غزلها الصوفى الموشى بأصباغ  
البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونها فى إنجازها — وقريباً منها ترى أبى  
مستوياً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب ... لا تكلمه ...

بل جاوره إلى أمي الرؤوم، ثم سل حاجتك تقضها لك ، وتعدك إلى وطنك  
 مهما كان سحيقاً نائياً .. أثر في صميمها عامل الخير والمحبة ، تردك إلى  
 آلك وذويك وبلادك .. وسلام عليك .

ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تعدو مولية عن النهر الذي صار  
 يبتعد قليلاً قليلاً ... وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبح من جماحها ،  
 حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها .

وكانت الشمس تصبغ بالورس حبين المغرب حينما وصل الركب  
 إلى حرج مينرقا المقدس ، الذي نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتفماً  
 كأنما يناجى ابنة جوف ، المدرعة بإيجيس .

وهنا ... وقف أوديسيوس يصلى لمينرقا :

« يا ابنة جوف القوى المتعال اسمي لي ! أضيفي الآن ياربة !  
 لقد تصاممت عني إذ كانت اللجج تلقني فراعيني الآن ! اجعلي لي مرفقاً  
 من أسرى ، وهي لي محبة ورحمة في قلوب أبناء الفياشين أنسى بها  
 آلامي ... آمين آمين ! .

ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد أنها ، احتراماً لعمها  
 ( نيتيون ) الذي لا يمتأ يقتنى أثر أوديسيوس عدوه الأكبر ، لم تشأ  
 أن تبدوله .

وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر  
 فلقبها إخوتها الأمراء الخمسة الثجّب ، خلوا الدواب وحلوا المطارف

والثياب ، وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العجوز الشمطاء  
( يوريمديوسا ) تعنى بنار المدفأة .

ولم تكذب يور ترى سيدتها حتى حيّت وبّيت ، وانطلقت نعد لها  
وجبة المساء .

. أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه ، ويم شطار المدينة ، وقدشرت  
حوله مينرفا — صفيته الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس  
حتى لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى الأقطار جاء .  
بيد أنها لاحظت له قبل أن يلج باب المدينة فى هيئة فتاة قروية كاعب  
تحمل فوق رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه ، فانهزها فرصة  
وزاح يسألها هكذا : « يا بنية ! أسمعحين فتدلينى على بيت رب هذه  
البلدة ، ألكينوس الكريم ؟ لقد نال منى اللوى وطول السفر ، وحالت  
عليكم يا أهل فيشيا الأجاويد ضيفاً غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل  
تفعلين ؟ »

وقالت مينرفا — ذات العينين الزبرجديتين — وهى تجيبه :

« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس  
بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ...  
إصمت ما دمت سائراً ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم من أهل هذا  
البلدة إنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقيهم فى فنور  
وبرود طبع ، وقد أحبه نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق الموج

وأساس اسمهم أعراف الماء ، فهي تخطر فيه كالطير حين تزِف ، أو كالمكرة حين تخطر في الخلد .

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ؛ ولم تره جموع المحارة الحاسدة التي كان يسير بينها ، لأن مینرقا ضربت على أعينهم غشاوة عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدَّهَشِ إلى مینائهم وسفائهم ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة في أبهة وجلال ؛ ثم بلغا بيت الملك ، فقالت مینرقا :

« هاك يا أبتاه القصر الذى سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه رؤساءنا وأمراءنا أصحاب السمو يولون ويقصفون ، فهلم فالفهم بقلب رابط وجأتس ثابت ، فهم أشد الناس إعجاباً بشجاع جرىء ، وأكرمهم للاجىء غريب . وستكون الملكة أريتنا — سليفة الشرفاء الأجداد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذرارى نبتيون<sup>(١)</sup> — أول من تلقى . إنها سيدة قومها ، وهى محبوبة مبعجة إلى درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول موكها فى شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها تجلس وقوراً كإحدى ربات الأولب فتغمر بالحبة أبنائها ، وتقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله يا سيدى إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برّها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك راضياً ، وتلقى آلك وخلانك عزيزاً مكرماً »

(١) آثراً ألا أثبت هنا ما ذكر هو من أسباب مخافة الاملال .

ثم غابت ميمرفا عن الأنظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى  
مرثون — ومن ثمة رفّت رفّة فكانت في أثينا حيث أوت إلى قدسها  
الكرّيم إركتيوس .

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيباباً متخاذلاً ، غارّةً في بحر لجى  
من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى  
بهره لألاء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولمعانه  
تلك الجدران المصفحة بالنحاس ، يزينها إطار من اللازورد الأرق ،  
وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة  
المجلوة ، تكللها تيجان من النّضار الثمين . وعلى اليمين وعلى الشمال ربضت  
كلاب من ذهب ، صنّعة فلّكان ، صنّاع السماء الخالد ، وحالد أند  
الدهر كل ما صنعت يدا قلّكان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة  
مترامية صُفّت إلى جدرانها كراسى كأنها عروش ، وبّت فوقها نمارق  
ذوات أفواف وشعوف ، صنّعة وصيغات القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمرء  
شيريا ... فيقف الولدان في جلاليب من ذهب ، وفي يد كل شعلة تسكب  
الأضواء من فوق المذبح على جموع الطاعمين في كل ليلة ... يا للقصر  
... كأنه جنة الخلد ؟ ... إن خمسين من عيد شيريا الرعايبب يخدمون  
الملك ثمة ، يطحنّ القمح وينبخان الدقيق ، ويندون الصوف ويعلمان على  
النّول ... مائسات كأفنان الدوح يداعهن النسيم الخلو ... حاذقات  
في الغزل والنسج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان المعاصفة ...  
قد تقفن صناعتهن عن ميمرفا فافتنّ وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة



الكبرى ، حيث فردوس القصر اليانع ، وجنته دانية القطوف ، ذات  
الأسوار المنيعه المحيطة بهذه الأربعة الأفدنة .. للآلهة هذا الدوح قد سبق  
في جنباتها ؛ وللآلهة أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاه الأقاح ،  
وحمرة الخجل قد خضبت خدود التمتع والكثرى ، وسالت قطرات من  
الشهد في ثمرات التين ، وتأججت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون ...  
فاكهة شهية جنية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء وصيفاً ، يانة أبداً ،  
تداعبها أنفاس زفير رب الصبا فتشيع فيها النضج والماء ، كلما قطفت  
يد من جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر  
قطوفها وما تنقص .

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذوات الأعناب والرطب  
والعناقيد من نور ، بعضها يعصر فتقطر الخمر منه ، وبعضها يجف على  
سوقه فيكون زيباً جنياً .. ثم توشى أطراف الحديقة أحواض من  
الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها عينان نضاحتان ، يترقق الماء  
من إحداها كالعين في مسایل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في  
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر ، فيرتوى الأهليون منه .  
ملك كبير وآلاء وافر أسبغتها الآلهة على الكينوس الملك !

\*\*\*

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه الفكر ، يردد طرفه في  
هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق فخطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء  
المدينة وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمن رسول السماء تقدمة وقربانا ،

وصلاة لخاتم أرباب الأولمب قبل أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت مبيرقا تحجبه في ظلال كتيفة من أعين الملأ ، حتى وصل إلى حيث الملك والملكة ، فكشف عنه غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يث شكاته بين دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرهما :

« أريتا يا ابنة ركسنور صني الآلهة ! أتوسل إليك وإلى المليك العظيم ، وأصيافكم النسل ، من الله عليهم ، وضاعف لهم آلاءه ، وأنعم على ذراريهم وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك يا سليلة المجد صارعاً أن تعطني على ، وأن تكرمي مشواي ، وأن تعينيني على الرحلة من فوري إلى بلادى التي أتحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها أهوال وأهوال ! » .

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل المسكين جاثياً عند حافة الموقد المتأجج ، حتى تفجرت شأبيب الرحمة والحنان في قلب إخنويوس ، ابن الملك المكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق من فمه الجميل العذب في فصاحة وتبيان ، وحكمة تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجدك أيها الملك أن تدع هذا الغريب جاثياً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن تترك أضيافك يتنظرون أمرك ... وما تسكلم منهم أحداً ! ألا نخذ بيد الغريب وأقعده مقعد الندى ، ومُر الندمان يسقه من كأس جوف كبير الآلهة<sup>(١)</sup> ، وحبيب الغرباء وذوي الحاجات ،

(١) الأصل ( رب الصواعق ) .

والفادل يهيء له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة .

وما كاد الأمير يفرغ من قوله ، حتى أهص الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى نخم جانب ولده الحبيب الحكيم لأوداماس ... ثم أقبلت إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من إريق فضى ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشربات ، فأكل أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة بونتوبوس ، فمزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ، وحبيب الغرباء ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ الفياثيون كلمة : عفواً الخطاير ، فاسمعوا وعوا ... لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مصاجعكم ، ثم نجتمع عند مطلع العجر ، نحن ومن لم يحضر من نواب الأمة الأجلاء ، فننظر فى شأن هذا اللاجئ الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة ... إنه يطلب أن يعود فى حمايتنا إلى وطنه كما يصل سالماً غاماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من أرباب السماء الخالدين . . لقد وصلت بيننا وبين الآلهة وشائج القرى ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت فى ولائنا ، وهى تبقى على محبتنا ، فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب فى الأرض ، وليس ما بيننا وبينها أقل مما بينها وبين السيكلوبس ، أو المردة الجبارة ، وفى ذلك فخارنا وهو آية مجدنا » .

ونهبض أوديسيوس الحكيم فقال : « غَفْراً غَفْراً أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ ! أين لي حلقها سوى ، وكياسها السماوى ؟ بل أنا شقى من أبناء هذه الغبراء ، أثقلت كاهله حمولة هائلة من الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقى شقاءه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه ... بلايا صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأتاب ... أوه ! أبداً لا أنتهى إذا سردت لكم طرقاً يسيراً منها ! ولـكن لاداعى الآن ... أرحوكم ... أتوسل إليكم . دعوى أتبلغ بهذه اللقيات في هذه اللحظة الحائلة من الراحة التى لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع فى أذن الجوعان ، ولشد ما يعذبه الطوى ! إنه يلح عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه . إن له لشهية عالية الصخب تطلب العون فى جوار وجنون ، حتى ليضيع فى ضجيجها هتاف جميع الآلام ، إلى أن تكتفى . عفواً أيها السادة ! إني أفتأ أضرع إليكم أن تيسروا لى عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بعد طول العناء ، والشقاء الذى ليس بعده شقاء ؛ إنه لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة أتزودها من أهلى ووطنى . »

وتأثر القوم من أجله فأثنوا عليه ، واتفقت آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويلقى ذويه ثم مهضوا فصبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهماً واجماً ، كما ظل الملكان إلى جانبه ساهمين واجمين ، والفندل فيما بين ذلك يحملون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا

أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت نظرها هذا التوب  
الفضفاض الذى كان يلتفع به :

« والآن جاءت بوبقى فى التحدث إليك أيهذا الغريب الكريم ،  
من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصدر وذاك الدثار ؟ ألسنت  
قد قلت إنك غريب نازح أفلتتلك المنايا فى لجج البحار ؟ » .

وفال أوديسيوس يحيب أريتنا :

« أيتها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد  
قصتى بحذافيرها ! بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرثنى الآلهة  
بكل أنواع الهموم وصنوف الآلام ، بيد أننى ألم بمأساتى الحزنة فى كلمات  
فأقول : « فى أوجيجيا — إحدى الجزر القاصية التى لم تطأها قدلى قدم  
بشر ولم يخطر بها إله — تقيم عروس الماء المفتان — كليسو — البارة  
الرائعة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التى قدر على أن أكون أول لاجئ  
إلى جزيرتها بعد أن سلط خوف صواعقه على سفينتي فشطرها وأغرق  
كل رجالى ، وظلت أنا متشبثاً بالسارية ليالى وأياما ، حتى دفعتنى المقادير  
فى الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتنى كليسو الجميلة الريانة ،  
وأنقذتنى من موتة أكيدة ، وأطعمتنى وأكرمت مثواى — ثم عرضت  
أن تهبنى الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أننى تأييت ... ثم أقمت  
عندها سبع سنوات لم يرقأ طولها دهمي الذى نضجت به أثوابى وماحلت  
على من دنار ... وفى الثامنة أرسل إليها خوف كبير الآلهة من يأمرها  
بإطلاق سراحى ، فأبحرت على رمث زودته بالأطايب والأذخار ،

والأشربات والآكال ؛ ثم أرسلت بين يدي ريحاً رخاء ما انفكت  
تجري بي في عباب من بعده عباب ، طيلة سبعة عشر يوماً .. وفي الثامن  
عشر لاحت ثم جبالكم الشم فخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان أملاً  
خائباً لم يطل أمده . . فقد أبى نتيون الجبار إلا أن يقف بسبيلي ،  
وإلا أن يرسل ريحاً معاكسة تثير الموج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم  
مني ومن فلكي الصغير — الذي كان كل أمل ... ولم يعد بد من أن  
أكافح الماء ، وأذرع اليم بالسباحة ، حتى تصارت الريح والوج ، فقذفاني  
إلى ساحلكم ذي النوى . . ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنضجني  
السيل الرابي إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أكافح مرة أخرى ،  
حتى ثرتني موجة مزودة في نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى  
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خفق الأحشاء مهوك القوى ... وأقبل  
الليل فتهاكت على نفسي إلى دغيلة مهدتها بعساليح وشيء من القش  
وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً وضحوه متعبة وظهيرة كلها نصب  
وإعياء ... ثم أيقظتني صيحات قريبة مرنة ، فإذا ابنتكم الأميرة الحبيبة  
الحسان في ررب من أتراسها يتلاعبن كربات الأولب على رمال  
الشاطئ ... وجثوت تحت قدميها ، وما زلت بها أتملق شبابها الغض  
بدعوات معسولات ، وأثير نخوة صباها العينان حتى أمرت لي بطعام  
شهي وخمر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فغسات ما على  
جسمي من خبث ، ثم منحنتني هذا الصدر وذاك الدثار ...

تلك قصتي أسردها عن قلب محزون ... ما فيها أثاره من مَيّن .

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك إلى هنا في جملة حشمها ما دمت قد رجوتها في ذلك أول الأمر » .

وقال أوديسيوس يجيبه : « إنها لم تخطئ أيها الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كلمتني في مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون قوالون » .  
فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب النزق . إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم ...  
تالله يا بنى إني لأؤثر كولدى ، ويودى لو قبلت فصهرت إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد منا .. وإني — إن رضيت — لمقطعك الأقطاع الشاسعة وما يحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك . معاذ الله يا بنى .. إن هذا إلا عرض ... مجرد عرض منى لما أنسته فيك من سمو ورجاحة ونبل ...  
فإن لم يرقك أن تفعل ، فإنى مُعدُّ لك أسباب عودتك غداً ، وستنعم ملء عينيك بينما يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ، منسرباً فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التى تعمل في المجاذيف حتى تصل إلى وطنك سالماً غامماً ، بل حتى تصل إلى أبعد منه ، ولو إلى ما وراء أيوبيا أبعد الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس<sup>(١)</sup> ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس<sup>(٢)</sup> جبار الأرض ... إنهم يبجرون به إلى هذه الجزيرة ويعودون

---

(١) بن ريوس من زوجته أوربا وقاصى المدالة فى الدار الآخر « هيدز »

« جربى » .

(٢) أحد مرده طار طاروس ويفطى جسمه مساحة تسعة أودنة ( جربى ) .

فى يوم فى غير عناء أو إعياء ، وستعرف سبب نفارى بسفائنى وبحارتى  
الذين يذرعون البحار ويضربون أكبادها حين يبحرون بك » .  
وشاع البشر فى أسارى أوديسيوس ذى التجارب فقال : « أيها  
الأب الخالد ! لله محامدك الغر ! أنجز يا مولاي يسر ذكرك فى البلاد ،  
وألق أهلى وأنشق نسمة من وطنى » .

\*\*\*

وهكذا تشقق الحديث بينهما ..  
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر فأعددن فراشاً وثيراً فى  
الرواق ذى الأعمدة ، وهيأنه بوسائد من دمس ، وبثن فوقه الأرائك  
والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن البرانس<sup>(١)</sup> واللحف ...  
وكانت كل منهن تحمل شعلة كبيرة تتوهج فى جوانب القصر ... حتى  
إذا فرغن من كل شئ ، دعون أوديسيوس فى أدب وظرف أن ينهض  
لينام ... وغما بطل هيلاس ... وأسلم عينيه لأحلام سعيدة .  
ونهض الملك والملكة لينعما بطيب المنام .

## حفلى أولمبى

وصبغت أورورا بتمثل حمرة الخجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ  
الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهب إلى الشاطئ حيث تلقى  
السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجرى أملس ، جلسا يتحدثان ؛

(١) الرأس بمعناه العروق عربى فصيح



بينما كانت ميمرقات تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً . « كأحد آلهة الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » .

وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقبلون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذى ميمرقات قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمتين ، وجسمه الساق ، رواء علوياً من الأبهة والجلال ، كان ينعكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين . ولما انتظم عقد القوم نهض الكينوس الملك ، فقال : ياسادة الفياشين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الصيف الكريم الذي لا أذكر اسمه في بيتي بعد أن شرق في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والإحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم مهما كانت سحيفة آمين ... فالبدار إذن ... هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالا ، وأصلحها لمجالة هذا البحر ، ولتعدوا لها نخبة ذوى بأس من أصلب فتیانكم عوداً وأشدّهم مراساً ... إننين وخسين عدداً من أينع زهرات شباب هذه الأمة ... ثم تعالوا إلى فاني مولم لكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً ... وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهي ، صاحب

الألحان الخالدة ، والصوت السماوى الساحر ، فليشغف آذاننا بحلو أنغامه  
التي لا يقدر عليها إلا هو . »

وانصرف الملك وفي إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل  
المنشد دمودوكوس الإلهى ... واختيرت النخمة ذات البأس من شباب  
الملاحين ، وأعدت السفينة فى مكانها الأمين من اليم ، فنُصبت القلاع  
ونشر الشراع وصفت المحاديف ... ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ،  
حيث كانت الجماهير الحاشدة تكظ الأسياف ، وتزدحم فى الدهالير ،  
وتملأ الصالة الكبرى ... وجىء بالدبائح ... فهذان ثوران كبيران ذوا  
خوار ... وهذى اثنتا عشرة شاة سمينة ، وتلك أربعة حناريير كنزاً<sup>(١)</sup>  
ما كادت تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع مما أقبلوا له من طعام  
وشراب ... ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الإلهى الأعشى ، رخيم  
الصوت ، صفى ربات الفنون ، اللأثى عدان له بقسطين من خير ومن شر  
سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين ...  
وأقيم له عرش مُمرد فى وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ،  
فاستوى عليه ، وأعلمه بونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ،  
ووضع بين يديه سلة من طعام ومزة<sup>(٢)</sup> .

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون فى فم  
المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر ألباب الناس ، ورقى بها إلى أثير الآلهة  
فى قبة السماء ... لقد تغنى هذه الأغنية التى تنظم النزاع الذى شجر بين

(١) كدار جمع - مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم .

(٢) غر لذيذة الطعم .

أحيل بن إليوس ، وبين أوديسيوس بن إيرتيس أثناء الوليمة الإلهية ،  
والذى جاءت به نبوءة أبوللو ( فى دلفوس ) حينما استوحاه أجاممنون عن  
يوم سقوط طروادة فى أيدي اليونانيين .

وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم فى ذيل ثوبه  
الأرجوانى الفصفاض حشية أن يلحظه أحد... وطفق يبكى... ويستخرط  
فى البكاء ، ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة  
للآلهة ... ثم عاد إلى مكانه حينما وصل المطرب غناءه ، وكان يرسل  
عبراته فى كسانه غير ملحوظ من أحد إلا من ألكينوس ، الذى عز  
عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهدياته ، فقال : « حسبنا  
يا سادة ما طعمنا وما سمعنا ... هاهوا جميعاً نشهد الصيف الكريم «  
أعابنا ليذكر فى العالمين أن الفياشيين حير من يحرق ومن يشب ، وأمر  
الناس فى الأسك والمصارعة ! » .

ونفض الملاك ، ونفض فى إثره كل أضيافه ، وتقدم المنادى فقاد  
دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت  
كواكب الشجعان والشباب اليافع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ،  
أنوا من كل حذب لهذا الحفل المشهود ... وفى وسط الحلبة وقف الأبطال  
آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمينيوس ؛ ثم وقف جلقتهم  
الأبطال أنخيال وأنابيسين وإرتميس وپونت وپرور وأمفيال وتون ...  
ثم نهض حليف مارس المهبوب يوربالوس ، ثم نخر شباب الفياشيين

نوبوليد . وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس  
ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاء في  
في سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يشيرون التراب في أثر  
كليتون . ابن الملك — الذى شآهم<sup>(١)</sup> جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه  
كما تتعثر الثيران في إثر البغال .. وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق  
الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برّز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما  
برّز أمفيال في الوثب الطويل ، والأتريوس في قذف القرص ... أما في  
في الملاكمة فقد تفوق لوداما النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك  
ختام المباريات ؛ ثم نهض لوداماس فقال :

والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحذق شيئاً  
يفخر به من هذه الألعاب ؟ ! إنه لا يزال غريبض الشباب ، بادی الفتوة ،  
مكتنر العصابات ، عظيم مُنة الساقين والفخذين ، مفتول الساعدين ، وإن  
له لعنقاً أى عنق ... كل ذلك بالرغم من بدوات الضنى وأمارات العناء ،  
وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من  
أجبال العباب ؟ ! » .

وكاننا راقت هذه الكلمات البطل يوريالوس فطلب إلى لوداماس  
أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها  
الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ إنه ما استحق أن يعيش  
من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فيم احترازك

(١) سبقهم (هامش القاموس) .

هكذا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينة معدة والملاحون على أهبة .  
وقال أوديسيوس يجيبه : « ألتخذني هزواً حين تدعوني للعب  
يالوداماس ؟ ! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل  
له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع للملك وللناس ! » .

وهبّ يويالوس يصدّ<sup>(١)</sup> ويقول : « كلا أيها الصديق ... إني عذيرك ،  
مسيماك لا تنبئ عن رجل رياضي ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال  
أو حفظة المخازن ... أو ... إن لم يجب حدسى ... من أدلاء السفن في  
الثغور ؛ ومن يدري ؟ فقد تكون عياراً أو قرصاناً !! » .

وعبس أوديسيوس وبسرّ ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من الهـم ،  
وتهدج صوته فقال : « إياك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم  
تبال أن تطلق فيّ اسانك بهجر القول كأنني رجل لا اعتبار لي ... على  
أن الآلهة — جأت وعلت — لم يتفق أن منحت أحداً من العالمين كل  
آلائها في وقتٍ معاً ... بساطة الجسم ورجاحة العقل وقوة البيان ...  
فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدّماً محطاً في حين قد وهبه جوف بيانا متيناً  
ولساناً مبيناً حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في نفوسهم إلى  
مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك الرجل كأنما تتدفق في عضلاته قوى  
السماء وهو لا يحسن أن يقول كلمة .. مثلك ... مثلك تماماً ... فلقد  
أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في ذلك أن تكون مثالا تقيس  
عليه الآلهة ، إذا أرادت أن تخلق مارداً جباراً . ولاكنك — واأسفاه ! —

لم تَوْتِ بياناً ولا حكمة ! فلقد أثرت ثأرى بكلماتك الغلاظ .. العجاف !  
 إني — أيها السيد — كما ذكرت — لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً  
 ولا كثيراً .. ولكي كنت فتاها وفارس حلبتها أيام كنت شاباً يافعاً  
 غص الإهاب ريان الشباب .. أما أنا الآن ! فوا أسعاه ! ! إن حدثان  
 الزمان لم يُبقِ مني .. ولا علي ! لقد ذبل شبابي في تقع الحروب وسوح  
 الوغى .. وفي هذا البحر اللجى يغشاه موج من خلفه موج .. كالجبال ..  
 بيد أننى .. على الرغم مما ينقض ظهري من ويلات ، سأثنت في سجل  
 شجاعتي قوتي ! فإن لما هرفت به من قول السوء لأنياباً تعضني وتهشني ..  
 أو أدلّ على قوتي وجبروتي ... » .

وكان إلى جانبه قرص القذف الذي يستعمله أبطال الفياشين في  
 مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المقتولة ثم دفعه دفعة هائلة  
 كان لها هزيم وقصف ، واستهولها بحارة الفياشين الشجعان فحفصوا  
 رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم ... وهنا بدت مینرقا بين اللأ في  
 صورة أحدهم ، وهبت عجلانة تقيس مدى القذبة ، ثم قالت : « ألا أيهذا  
 الغريب ! الأعمى نفسه لا ينكر برهاتك الدامغ القوى ! إنه مدى  
 لا يستطيعه أحد غيرك ، فته على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع  
 أن يباريك في أى من هذه الألعاب فادعهم إليك وما عليك من بأس » .  
 وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين سمع هذا الهاتف من صميم  
 الفياشين يطريه ويثني عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد  
 انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدفوا هذه القذفة ، أقذف أبعدها وبقصر  
أكرورنا !! هلموا !! ليأت أقوى ملاكميكم فإني له ! وليقف أضري  
مصارعيكم فأنا أخوه ! وليجر معي أسرع عدائيكم فإن يالحق غباري !  
لقد هجتم ثأري فهلموا ! إني أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق  
وصاحب قرأى ، وليس لي أن أنارل من أكرم متواى في دار عرستي ؛  
وليس من البرق ما يحملني على شيء من ذلك .. أما غيره فأنا له ، وسيعلم  
منازلي هما يكن مبلغ قواي ... إنه ليس من ألعاب الناس ما يعجزني ..  
فأنا رب القوس ، وطالما صرعت الألوف من الأعداء تحت أسوار  
طروادة ، وأندا مارمي أحد سهماً كما رميت إلا فيلكتيتس يوم حاز  
قصب سبيها دوني . على أنه من ؟؟ إني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ  
هرقل أو يوريتوس الذي نفس عليه أبوللو مهارته في الرماية فقتله ...  
هذا . وإلى الرمح السهمي ، فإني أبلغ به المدى الذي لا تدانعه سهامكم !!  
على أنني لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم — فلقد قاسيت من  
الأرراء ما قصم ظهري ، وصارعت موج هذا الخضم حتى حطمتني وأوهبني ،  
ولقيت من الطوى ما راني ! ! » .

وصمت العياشيون ولم يندسوا . ثم تكلم الملك فقال : « عمرك الآلهة أيها  
النازح الكريم لقد جلبلت في آذاننا كلماتك ، فدأت على شجاعة  
وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذي حرح عزتك وأهان كبرياءك أمام  
الجميع ، ثم سكت عن تهديك ... ولكن تعال فانظر إلى ما نريك من  
ضروب الخفة وفنون الرقص وفنون الغناء والسبق في العدو » ومهارتنا

حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج ورعاء التبج ، كيما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك وبين ظهراى قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله أيها الغريب المكرم إنه لا نخر لنا فى ميدان اللكم والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب مَوْشَى ، وطعام ملوّن ، وقيثار مُسرّنة ، ورقصة خاطفة ، وحمّام دافئ ومرّاش وثير ... والآن ... هلموا أيها الفياشيرن فاهلوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه من رقصكم وشنفوا أذنيه بغنائكم ، فلسوف يتحدث بكل ذلك فى الآفاق ، وحسبكم أن يذكركم أنكم أمة من ركب البحار ! هلموا ... ليحضر أحدكم دمودوكوس الإلهى ... يعزف على قيثاره ويلاعب قلوبنا بغنائه .. ابحثوا عنه فى بعض ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب الإلهى ، وانطلق آخر يعد قيثاره ، ثم نهض تسعة فياصل يمهّدون أرض الملعب ويهيئون الحلقة ، ويزحزون الجماهير ... وأقل المنادى والمطرب يسعى بين يديه ، وجلس فى وسط الحلقة حيث أهدق به الولدان اليوافع اليوانع يمسون ويرقصون بسيقان تخطف كمثّل خطيف البرق ، بين دهش أوديسيوس وتدة تعجبه والمطرب فيما بين ذلك يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالية ... وفرغوا من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس ومعشوقته الآئمة سيتريا<sup>(١)</sup> إذ أغواها رب الحروب المستهتر بمسول الكلام ومطلول الغرام فلانت له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما من مركبته الذهبية فى علياء السماء ، فطار بالفصيحة المشثومة إلى الزوج

(١) فيوس . (الأسطورة فى كتابنا أساطير الحب)



التعاس ... قلـكان .. الذى استـطير وثار ثـائره ، فراح يصنع أنـشـوطـة  
كبيرة كالشرك من حلق الحديد للمفرغ الذى لا يقوى عليه أحد ، حتى  
إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألمّ بالمنعرج النجس  
حيث أوى مارس إلى قينوس — الزوجة الآثمة — وكان مارس يغالب  
فى عينيه أخريات غموة الضحى ، فلمح قلـكان يطوى الرحب إلى أرض  
لمنوس — أحب المدائن إلى قلب الإله الحداد . وطرب مارس أيما  
طرب ... وأيقظ معشوقته قائلاً : « هلمى قينوس . انهضى أيتها الحبيبة  
لقد ذهب زوجك إلى لمنوس أرض البرارة ... هلمى إلى البيت ...  
إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ... إلى نعيم الهوى !! » وهبت  
قينوس ... وانطلق الأثيمان إلى سرير فلـكان ، وفى قلب مارس غلة ،  
وملء جوانحه غواية وإثم ... وفى دمه شبق إلى هذه الفاكهة يكاد يقتله ...  
ولكن ... وأسماه ! إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى  
انطرحت فوقهما الأنشطة الهائلة .. وأمسكت بهما إمساكاً شديداً ...  
لم يجدا منه حولا ، ولم يجدا منه مخلصاً ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،  
وقد حدث قلـكان بما رأى ... فعاد الإله الحداد على عجل ، ولم يكن  
قد بلغ شطآن لمنوس بعد ... وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه  
يكاد ينمخاع فوقف فى البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوية يستصرخ  
بها الآلهة : يا جوف العظيم ! يا آلهة الخلود جميعاً ! أنظروا ! إشهدوا كيف  
تفضح قينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولِمَ ؟ لأنه وسيم قسيم  
قوى ولأننى محطم موهون اخـذب من ؟ إنهم — جريرة من أنسلونى

وجاؤوا بى إلى الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الأحبشان الأفسقان فوق فراشى ! لقد تثلجت مشاعرهما فهما لا يباليان أن يأكلنى الغيظ أو يقتلنى الحنق . ولكن لا ... حسهما هذا الشرك الذى لن يفلتها حتى يرى جوف فيهما رأيه . جوف الكبير المتعال ... والد فينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا الزوجية التى قدمتها باسم ابنته العاهرة كشروط لإطلاق سراحها ! » .

ولم يكذب بمرع من صرخته حتى اجتمع فى بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة .. وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه هرمز رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو .. ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولمب واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود هذه الفضيحة ! ثم هاهم الآلهة يتفهقون ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ، ويقول « بعضهم لبعض : « يا اللأثم ساق إلى أوحى المواقب ! ويا للأعرج الأكسح ، يشائى <sup>(١)</sup> السباق الجلى !! لقد استقطاع فلـ كان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... ! مارس ! أسرع العدائين ! إن عليه أن يؤدى الغرامة الفادحة للاله الأعرج ... » .. ثم خاطب أبوللو — رب الشعاع الوضاء — هرمز فقال : « يا ابن جوف ، يا رسول السماء ، ألك فى هذه الغفوة الحلو فى حضن فينوس ، على أن تقع معها فى هذا الشرك ؟ » وأجابه هرمز عابساً : « يا رب الرماة ! بنفسى بنفسى !! منذ الذى يأتى حضن فينوس فى شرك هو ثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن

(١) يسبقه ويسبقه .

يرمقه سكان الأرض والسماء ؟ ! » : وتصاحك سكان السماء ، ولكن  
 نيقيون الذى ساءته هذه الحال خاطب ملكان فقال : « هلم فلـكان ففك  
 هذه السلاسل والأغلال ، وإني رعيم لك ، كفييل أنه ، يؤد إليك كل  
 ما تعرض عليه من غريم ! » . ورخص فلـكان أن يطلق فريسته ...  
 « لأنه من يصمن ألا يمطلق مارس وهو لا يلوى على شىء ، غير عالى ،  
 بكل ما عساه أن يعد ؟ » . وقال رب المحار : « ليطمئن قلبك يا فلـكان  
 هو عرتى وجلالى إلئن لم يف مارس لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته !! » .  
 فأجاب رب الحديد الصماع : « إذن ، فلن يخيب رجائك ، وإن يرد  
 ظلمك ! » وتقدم ففك الأغلال عن العاشقين العاسقين ، وانطلق مارس  
 إلى مأواه بأرض تراقيه ، وانطلقت فينوس إلى مرتعها الجميل بأرض  
 بافيا — حيث تلقاها ربر من أترابها بالبشر والترحات ، فغسلنها ،  
 وضمخها بالطيوب القدسية ، وأسطن عليها شفوف الصبا وأردية الشب .

\* \* \*

وفرغ دومودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسيوس وتلهف البحارة  
 الفياتيين ، ثم أوما الملك إلى أنثائه فوثموا وسط الساحة ، وأخذوا يرقصون  
 فى حفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع بوايب ، فكان أحدهم يرسلها  
 عالية حتى تدنو من السحب ، فيثب الآخر فيلتقطها وهو معلق فى الهواء ،  
 ثم يتقاذفها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتيان وتصميةهم الشديد .  
 وسر أوديسيوس ممبا أبداه أبناء الملك فى الرقص ، وأننى عليهم لأبيهم ،  
 ورجاء فى الذى رجاء فيه من تهيئة عودته ، فتوجه الملك إلى زعماء شعبه

وقال : « يا زعماء الفياشين وأشياخ الأمة ! حرى بنا أن نكرم مثوى هذا الضيف الذى بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشيء الكثير؛ هلموا إذن ... إنكم إثنا عشر زعيما ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بكرة من الذهب وصداراً مَفَوْفاً فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به . ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون البدر والصدُر ؛ ثم نهض يوريالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفاً بُجراً له مقبض من فصّة ، وقرباً مطعم بالعاج ؛ ودعا له أن تكلاهُ الآلهة بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد كل الذى احتمل من عناء ونصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجرار فوق كاهله الصخم .

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أريتا الملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التى خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلاة بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « ليذكرى بها ، كلما أفرغ منها الخمر تقدمه للآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تعطيه الأثواب والأكسية كما يتدثر بها .

وأمرت الملكة خدمها فأعدن الحمام ، وأحضرت هى ثوباً فضفاضاً

فوضعت فيه بدر الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فخلق هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت في السعينة » . وليي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحبل طويل عقده تعقيداً . ثم دعت ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألفت عيناه حين رأى الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ فارق كليدسو ... ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن الطيوب ، وبرر كأحد آلهة الأولمپ ... وبينما هو يطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذرغنة يهتف به .. وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود وهي تقول : « س . س . أيها الغريب الفازح اذكرني دائماً ، أنا ، أول من لقيك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ ! لك الله الألو حق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام ووصلت سالماً إلى بلادى لظلت آخر الدهر أعبدك عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ا . » وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسي بجواره ، واجتمع الفياشيون سرّة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الإلهى ، نخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد النادل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دومودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل ثقفت موسيقاك عن عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبوللون نفسه ؟ لقد أنشدت ما كان من جيش الآخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو

كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمرك ! تحدث عن الحصان الهولة  
 الذى صنعه إيموس بإرشاد مينرقا ، والذى حمله أوديسيوس الجبار هو  
 وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم احتبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول حراب  
 اليوم ! ! نحن ! إني سوف أحمل اسمك فأنشره فى الآفاق أيها المطرب  
 المعجز الذى لا يماريه إلا عازف موسيقى السماء ، أبوللو ! تقدر اسمه .  
 وتبرل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية مذكروا اليونانيون  
 معسكرهم ، وبعد إقلاعهم من شطآن اليوم ، وذاك الانقسام فى الرأى بين  
 الطرواديين بسبب الحصان الهولة أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه  
 تذكراً لهذه الحرب وبصباح لآله ... على كل حال لقد نقلوا الحصان داخل  
 أسوارهم ليكون القاضى عليهم بمن فيه من هذه النخبة إلى القوة من أبطال  
 الإغريق ... وهكذا قدر عليهم فى الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...  
 تغنى الشاعر المفتن بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على أوديسيوس الذى كان  
 يكر كأنه مارس ، ومنلوس الذى كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية  
 الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر فى ظل باللا — مينرقا — ربة  
 الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب وإنشاده ، ودموعه  
 تنحدر غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقاً . كأنها  
 آهات تلك الأم الرؤوم التى وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تمكيه  
 وتنعيه ، وقد سقط فى الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من  
 خلفها أبناؤها خضراً يتامى كأفراخ القطا . ثم يقبل الأعداء فيخمدون

أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتنظر مرة إلى زوجها الثقيل ، ومرة  
إلى أبنائها التاعسين ! كذلك كان أوديسيوس ، وكذلك كان يخفى دموعه  
في طرف ردهائه فلا يراها أحد إلا ألكينوس الملك الجالس قريباً منه ..  
وقال الملك متحدناً إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ العميائيون ، أولى  
المنشد ثم أولى أن يفرغ من إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه  
مما يسمع من هذا القصص الحزين ! لقد أحببناه كأخ ، ووهبنا له محبتنا  
وودنا وصافي أحوطنا لا ليحزن أو يأسى .. والآن ! هل يسمح ضيفنا  
بذكر لنا اسمه الذي يعرفه به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل  
ولد أحد ولم يحمل اسماً ؟ من أنت أيها العزيز ، وما بلادك ؟ وإلى أين  
تحملك سفينتي ويبحر بك رجالى ؟ لقد منحنا نبتيون — رب البحار —  
الأمن في ذلك اليم وذلل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشق عليه من أن  
تحمّل سفننا أغرائاً مثلك لا نعرفهم ، فنبحر بهم إلى بلادهم ! ! إنه يغصب  
علينا ، وقد يغرق سفننا تشغياً وانتقاماً حينما تعود أدراجها إلى بلادنا ،  
فتموى إلى الأعماق ثم يسحرها إلى جبل نائي فوق العباب ، قبل شيريا !  
تكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من أنت ؟ ومن أى البلاد قدمت ؟ وأين  
ضربت بطون الركائب ؟ وأى الأمصار شاهدت ؟ وماذا يفجر هذا الأسى  
في أعماقك كلما سمعت عن جنود الآخيين ، وكلما ترددت في أذنيك أغنيات  
طرواده ؟ إن الآلهة تحيك من حاضر المرء طيلسان الموم لعدده ! أقتل  
أولئك ثمة ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟ أم قضي حوك في ساحاتها ؟

أم أودى أصدقاء لك أحياء في حلبتها ، كنت تعدهم كبعض أهلك ،  
أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! » .

## في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تساءل عنه الملك فقال : « أيها الملك  
تعالى جدك ، لشد ما يَطرَب ما تغنى هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ما تعدل  
الدنيا بأسرها هذا المجلس الشاذى ذا الأضياف والآكال والأشرار !  
على أننى مجيئك على ما بدهك من دموعى وهمومى ، وما لقيت وما سوف  
ألقى مما قسم لى من أشجان وأحزان ! إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد  
الذى لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللائد بكرمك ، المستذرى بحماك ،  
المتشبث بك ليصل فى ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهما نأت ... أنا أيها  
الملك .. أوديسيوس ... أجل .. هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ،  
المعروف فى السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليرتيس رب إيثاكا ،  
وملك نريوس ذى الشعاف السامقة ، والجزائر الآهلة حول ساموس ودلخيوم  
وزاسنتوس ، أم الجزائر التى تصافح تباشير الصباح بكل روضه فيحاء  
وخميلة لَفَاء ، وجنات ذوات شجر وثمر ، صِبْغاً لأبنائها الأوفياء ...  
هناك ... حيث احتجزتنى عروس الماء كليپسو فى كهفها ، وراودتنى لأكون  
بعلاها ... وهناك ... حيث أغرتنى سيرس هى الأخرى ، سيرس صاحبة  
جزيرة إيايا ... التى حاولت أن تتخذ منى خليلاً فأبيت ، ولم أقبل أن  
أضحى أهلى ووطنى ، ولو أصبحت زوجاً لإحدى الربات الخالدات ...



ولكن لا ، هلم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت  
إليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلت بما الفلك إلى بلد السيكون ( إزماروس <sup>(١)</sup> ) ، ( فبدالى  
أن أزيد فى ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت  
عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار <sup>(٢)</sup> ) وسرعان ما تم  
لنا ذلك ، فقتلنا العسكر وملكنا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب  
على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فعصوا أمرى ، وعثوا فى المدينة  
مفسدين ، وعاقروا من الحجر ، وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ،  
وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن جيرانهم ،  
وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يغننا أنا قاتلناهم حتى مطلع فجر  
اليوم التالى ، بل ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قذفوا  
بنا فى البحر ، فوقفنا فى سمائنا نفاوشهم برماحنا .. وصمدنا لهم حتى  
توارت الشمس بالحجاب فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعد إذ  
انتزع السيكون فخار النصر . وعدت إلى الجند ... فوا أسفاه ! ...  
لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا فى المعركة الخاسرة !  
وأجئنا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلى ؛ وما كدنا نفعل حتى  
سخر علينا جوف رب السحاب الثقال — ريحاً صرصراً عاتية أثارت البر  
والبحر ، وعصفت بمراكبنا فأطاحت قلاعها ومزقت شراعها ، ففزعنا إلى  
المجازيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستعميتين ، حتى نجونا بعد لآلى

(١) على التامىء شمالى البحر إيجه .

(٢) ما بين القوسين من شرح الأساذ جرير وليس من متن الأوديسة .

إلى البر ، حيث تلبثنا ليلتين طويلتين في أين وإهيا ، وشكاة وشقاء ،  
نصلح القلاع ونرتق الشراع . . وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر  
ونام هائجاً ، فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرسأها .  
وما كدنا نلمح شطآن ماليا ، حتى هبت روية عنيفة تلاعبت منا ،  
وحملتنا إلى جزيرة سيديرا . . . وطفقنا بعدها بذرع العباب تسعة أيام  
أخرى ، حتى بلغنا بلاد ( لوتوفاجي ) ، هذا الشعب الغريب الذي  
يقعات بالفاكهة فحسب ، من دون ما تلت الأرض وما يدب عليها . . .  
ورسونا ثمه ، وأمرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت  
اثنين من أوثق رجالى ، وجعلت عليهما ثالثاً رئيساً ووجهتهم إلى سكان  
هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلفوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي بالبشر  
والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب ، الذى ينسى آكله  
ما سلف من حياته ، ويذنب ما بينه وبين وطنه من وشيعة فما يفكر  
فيه ، وإذا فكر فيه فما يؤثر أن يرتد إليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل  
ويأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب ، وأن يعيش أبد الدهر بين  
أولئك اللوتوفاجي السحراء . . . وبنظرت عودة رجالى ، بيد أنهم لم  
يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث سحروا ، فحمتهم قهراً إلى  
الشاطئ بين العويل والضجيج ، وقذفت كلا منهم فى قمر مغلول مكبلا  
مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل  
بعضهم من اللوتس الملعون فيضلوا ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا فى  
فى هذه الأرض جائعين .

«وما عتَمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة - السيكاو پس - الطفاة العتاة ، الذين لا يَخضعون لشريعة ، ولا يَأتمرون بقانون ؛ الذين تَوْنى أرضهم أَكلها رَغداً من غير كد ولا عناء حَبّاً وأَبّاً ، وحدائقُ عُلْباً وقضباناً وعنباً ، تُسقى مما يفيض عليها جوف من مائه المعين ... يعيشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيَراتٍ سحيقة ، في قلال الجبال وأحيادها ... يُعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريضة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهماء<sup>(١)</sup> مُضلة ، لم تطأها فيما غبر قدم إنسان ، ولم يُرْش إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلو پس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سامت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضر السندسية .. وثمة ، في جَوْن هادئ جميل ، ألقينا سراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرق أورورا تنضر بالورد بمشرق الأفق ، فنهضنا نحووب الجزيرة ، ونتفياً ظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال

---

(١) مضلة لا يهتدى فيها .

كل من رجال سمائنا الإثنتى عشرة تسع أعنز ، بعد أن تخيرت عشراً  
 لنفسى ؛ وابتدنا يومنا هذا نقتدى بكل شواء حنيد ، ونكرع كل كأس  
 روية ، فى غير تخمة ولا شجى<sup>(١)</sup> . والآلهة تلك الحجر السلاف  
 السيكونية التى افترعناها من زقاق أزماروس ! ثم نظرنا ناحية الغرب ،  
 فما راعنا إلا دخان كثيف يصاعد فى الأرض القريبة ، ورغاء وضوضاء  
 كالرعد تنتشر فى جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلوپس المردة ينتشرون  
 فى الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام . أعداد لا حصر لها ...  
 عليها إذا عدّ الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا سرورين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا فى  
 صعيد واحد ، ثم قمت فى رجالى خطيباً ، فقلت : « أيها الإخوان ! لتبقى  
 غالبيتكم فى هذه الجزيرة ، فإنى ذاهب فى نفر منكم نرود هذه الأرض ،  
 ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضيع  
 ونضال أم هم ربيون يهشون للمكرمات ، ويخبتون للآلهة ؟ »

« وأقلعت فى نخبة من رجالى فوصلنا طرفاً من الجزيرة ناتئاً فى  
 البحر ، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا  
 إلى كهف عظيم ضارب فى الصخر ، وقد نما الغار الجميل على بابه الضخم ...  
 ودخلنا ... وأثار دهشنا هذه الحظيرة الكبيرة فى وسط الكهف ، تتسع  
 لقطعان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا العناء العظيم  
 المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، متّرس بجذوع الحور

(١) الشجى هو العصم بالشراب

والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق بهذا الطرف من الجريرة يعسف ويظلم ويملؤه نغياً وعدواناً .. ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مربد عبوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصحر تحت منها ناطور فوق ناصية الجبل .. ؛ ... وتوغلنا<sup>(١)</sup> وكان معى رق من خر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيقانت ، قس فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجته وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... يا له من كاهن سمح طيب القلب ؟ ! لقد نفخنى بأكرم الله<sup>(٢)</sup> وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حيت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الإثنتى عشرة من الخندريس الصنف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يغديها بنعسه وماله ، فلم يكن يعرف مخبأها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه اللدامة تمزج بعشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذاك سكر ولذة وروح علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا رُكز<sup>(٣)</sup> به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذاك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع فى قلوبنا فزع ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المسكان ، الذى لا ينحشى فينا شريعة ، ولا يردده عن أذانا قانون ... ثم توغلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى

---

(١) توغل : صعد فوق جبل ..

(٢) العطايا .

(٣) الركز ( الخرج ) بضم الراء ١٠ يحمل فيه الراء .

مقام السيكلوب ومنامة من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجدده عندها ، فقلنا  
ربما انطلق بقطعانه يرعاها في المروج القريبة . ورددنا الطرف في المغارة  
فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير<sup>(١)</sup> منها ههنا وههنا ، فعرفنا أن  
السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سيما وقد امتلأ المكان بدواط  
كثيرة مفعمة بالحصير والخميص . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة  
لصغار الشاء والحملان والماعز ، وقد قسمت فرقاً حسب سنها ... وقد بدا  
لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان  
إلى سفائننا ، غير ألى — وأسفاه ! — تأييت ، لأننى آثرت لقاء  
السيكلوب ، رجاء أن ينفخنى من كنوزه ، ويسبغ على من آلائه ؛  
ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبدته ، وأشعلنا ناراً تستدفئ ،  
ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال  
وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب  
ألقاها فى بطش فاهترت الأرض ودوَّى المكان ، واحبس وصيد  
الكهف ، فانقذف الرعب فى أمثدتنا ، فهرولنا مذعورين صعقين ،  
واختبأنا كالخفافيش فى زوايا المغارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل  
قطعانه ، واحتجز ذكرانها فى الفناء الخارجى ، ثم أخذ فى حلب الإناث  
فى الرحبة الداخلية .. ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر  
واحد كبير لو وضع على عريبتين عظيمتين لم يستطع عبثرون ثور ضخيم  
أن ترحزحه من مكانه ... وجلس يحلب النعاج والماعز ، وكلما فرغ من

---

(١) الماء يسقط من الجبن .

واحدة أرسلها إلى جذعائها<sup>(١)</sup> ترضع ما تبقى في ضرعها .. وكان يقسم  
لننه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشرايه ، ويمخض الآخر لزيد وجبنه ؛ ثم  
فرغ من هذا كله وأضرم ناراً عظيمة ما كادت تلتهم حتى رأنا معلقين  
فوق نوى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟ وى ! من أتم أيها الغرباء ،  
ومن أى البلاد زحتم وفيم خضتم هذا العباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم  
تجار ؟ أم قرصان تعيشون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزلاً عظيماً ، وكان  
صوته الأجلح الخشن يلقي الرعب في قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً .. ثم إلى  
جمعت ما تبقى من وعي ، وما أتى عليه الروح والهلع من إدراكى ، فقلت  
أجيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرعنا البحر اللجج شرقاً  
ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ، منذ بارحنا اليوم التى فتحها الله  
علينا ، لأننا من عساكر أجامنون الملك ، ابن أترىوس الكريم ، قاهر  
طروادة ، ومبید الطرواديين ... وها نحن أولاء ، قد لئنا بك بعد طول  
النصب ، فنضرع إليك أن تنقنا علينا مما آفأ جوف عليك ، وأن تردنا  
عالمين ... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأغراب في كنف جوف  
أبدآ ، وأينما نول فإنه معنا » .

وتجههم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً : « حسبك أيها الأخ  
المغفل ما حوت من جوف ، فنحن السكلوپس لا نبألى جوف ، حامل  
إيجيس<sup>(٢)</sup> ، ولا سكان السماء قاطبة ... أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا  
نفسى ، لن آبه لأيماء نذير من جوف كبير الأبواب ... ولكن حدثنى

(١) جمع جذع بفتح الحين كل حيوان صغير غير مفترس .

(٢) درع .

قبل كل شيء متى ألتفت سفينتكم مراسبها في أرضنا ؟ وأين هي ؟ أقرينة أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف عني سيئاً » ... وأجبتة في حيلة ورفق ، وقد عرفت ما رمى إليه : « لقد نسف نيتيون رب البحار مركنا في اليم نسماً ، وسلط عليها الزوابع فخرت بالواحها بعيداً .. بعيداً من ههنا ... وبحجوت مع هذا النفر من رفاق فقط إلى شاطئكم » ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة ... بل أقبل نحونا ، وانقض على رجالى كالصاعقة ، ثم أمسك باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات النفوى ، فتهشم رأسهما ، وانتثر المنخ فوق الحجارة هنا .. وهنا . وألقاهما بعد ذلك في الجمر المتأجج حتى نصبا ... واستوى كالسبع الرثيال ، وطفق ينهشهما ... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة ؛ أما نحن فيا لآلهة السماء ... لقد كان هذا المنظر الفاجع يعصف بنفوسنا ، ولم تملك إلا أن نرفع الأكف ففتبهل إلى جوف أن ينجينا . وأن يرحمنا ؛ ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة !

وبعد أن أشبع الجبار نهمة من هذا اللحم الآدمي الغريص ، وبعد أن شرب من اللبن شرب الهيم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في الكهف شخيراً مزعجاً .. وقد حدثتني نفسى أن أنقص عليه فأحوض في لَبَّتِهِ بجرازي ، ولكن مسكرة سوداء طافت برأسى ، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذى لا يطيق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت الموتة الجاهلية المفرعة التى سنموتها إن فعلت . فقتنطت قنوطاً



شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير العجر، ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من السكوى الصغيرة ، فهب السكلوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب إناثها ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى صغارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالى وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آنية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بهمه ، وبقينا نحن ندعو ثبورا ... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بمينرفا أن أستطيع ... وانعرجت أسارى برى فجأة ، وأشرق وجهى بنور الأمل ... ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسى : « ولم لا يكون فى هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إنى أمرت رجالى يهرى أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً ... فأقبلوا عليه ينحتون ويهرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده ... ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى فى الكهف ، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيداً وقوة ، وأشدنا استعداداً للحملة وغرزه من طرفه المحدد فى عين السيكلوب ... وانتهينا من ذلك إلى أربعة ، وكنت أنا خامسهم ... ثم عاد الجنى فى موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه ، وجلس يحلب الإناث ويقسم اللبن ويمخضه ، ويرسل كل جذع إلى أمه ؛ ثم نهض إلينا فبطش

بائنين منا وتعشى بهما ، وقبل أن يستلقى على الأرض ليستريح أفعمت  
 كأساً كبيرة مما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول :  
 « ألا أيهذا السكلوب ! هالك كأساً من الخمر إذا تحسيتها بعد أكلتك  
 الهنية من اللحم البشري عرفت أى خمر فقدنا في سفينتنا المفرقة . لقد  
 كنت أحضرتها تكرمه لك إذا أنت أكرمت مشوانا وأطلقت سراحنا  
 وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين ! ولكن ! أواه ! إن سورتك  
 طامية أيها القاسى الجبار ، وإن أحداً من البشران يجسر على أن يقترب من  
 جزيرتكم بعد اليوم ! » . وأخذ الكأس فعبها عباً ، وسر بها سروراً  
 كبيراً ، ثم سأل أخرى فقال : « أيها الفتى ما اسمك ؟ إعطنى كأساً أخرى  
 وإنى متيذك عليها . إن لدينا خمرأ صرفاً من أكرم ما تعصر العناقيد ،  
 يسقيها جوف من شآبيب ، ولكنها أندأ لا تبلغ هذه الخمر البكر جودة »  
 وأعطيته ثانية وثالثة ، وراح المجنون يشرب ويشرب ، ولما شهدت النشوة  
 ترقص برأسه قلت له في ظرف : « أيها السيكلوب لقد تساءلت عن اسمي ،  
 ألا فاعلم أنه أوتيس<sup>(١)</sup> ، وبه اسمي في بلادى ! ولكنك وعدت أن  
 تثيينى على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك مانحى ؟ » فاستهزأ  
 السيكلوب وقال : اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل  
 من خوانك .. هذا هو جزاؤك ! « وتشاء وتشاء ، ثم انطرح وسط  
 قطعانه يغط في نوم عميق . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتنتقذف من بلعومه

(١) أوتيس Outis معناها ( لا أحد ) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها ،  
 لأنها تعنى ( ذو الأذنين الكبيرتين ) ولم تؤثر ترجمتها كذلك .

شوائب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشرى ؛ وقفزنا إلى  
 جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى في الجمر المتأجج حتى تأجج مثله ،  
 وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قواهم ، ثم  
 استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من  
 مئة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكاوب المقفلة ، وحركنا  
 الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان علٍ ، كما يفعل السَّمان الصنّاع  
 ممتقاه في خشب السنديان ... وانبجس الدم من عين السيكاوب العمياء ،  
 وجحظ إنسانها كأثمة عين حمئة من دم وعَازٍ . وقصاراى : لقد كنا  
 كالحداد الماهر الذى يطفىء سلاحا محمى في ماء بارد !! ولقد صرخ  
 السيكاوب<sup>(١)</sup> صرخة ردد أصداءها الكهف . ثم رددتها الغيران  
 والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجنى  
 الجبار يخبط في ظلام العمى بعسده إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ،  
 وهرول كالجيل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ،  
 ويدعو جميع إخوانه السيكاوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج  
 عنيق ... وقال قائلهم : « ماذا دهالك يا پوليفيم حتى تروعننا هكذا في ظلام  
 الليل وحتى تقض مضاجعنا بصراخك العظيع ؟ هل خِفْتَ أن يستاق أحد  
 قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال پوليفيم وهو  
 يتصدع : آه يا أصدقائى ! إني أموت ! ولقد قتلنى أوتيس ! » فقال

(١) يحس أن تلفت نظر القارىء إلى طبيعة السيكاوب وأنه لا يملك إلا

قائلهم : « إن كان أوتيس — الذى هو لا أحد — قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا يتيمون ليساعدك ، يأتك من أعماق اليم » ثم تركوه وانصرفوا لشأنهم ، وضحكت أنا فى سريرتى لأننى استطعت أن أعمى عليهم بهذا الاسم الملفق المفترى : وما برح يوليعم يبكى ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذى يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه لينع أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب بعض أنعامه ... إنه يحسبنا بلهاء مثله !!. وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط تلو الخطط لنجائنا ... حتى تاحت لى فكرة حسنة ، أيقنت أنها تعلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شىء مستطيعاً أن يطلق سراحنا منه ؛ لقد فكرت وفكرت ، فبدالى أن لدى السيكلوب كباشاً كنازاً تستطيع أن تحملنا إذا رُبط كل منا تحت بطن واحد منها . لقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فورى فجذلت من أغصان الصفصاف التى كان السيكلوب الشنيع ينم فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلا واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذى يحمل رجلا بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكبش الأخير ، وبقيت ساكناً صامتاً ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر المقدس الرهيب ، بعيون واكفة وقلوب واجمة ... حتى بزغت أورورا مهرولات الذكرات كعادتها للعرى ، وبقيت الإناث لى تحاب ، وتهادت الكباش بالأثقال المعلقة تحتها وهى تسكاد تنوء بها ، وكان السيكلوب

لا يزال يعول ويشكو بـه إلى غير سميع ، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش وهو لا يدري ما تحتها ، حتى إذا رز كبشى ، زلزلت زلزالا ، وسمعته يقول له وهو يتحسس : « يا كبشى الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائما سباقا إلى المرعى على رأس القطيع تقصم السكلا الحلو . سباقا إلى الغدير ذى الحرير تنهل من مائه السلسبيل ؟ بل كنت سباقا كذلك إلى مأواك هنا . فى كل مساء ؛ ويحك ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد أسيت لى ، وحزنت من أجلى ، وشعرت بما دهى صاحبك من التعس الرجيم أوتيس ، وأتباعه اللؤماء المفلوكين . أوتيس الذى سحرنى بضمرة . . . ويل له ؟ إنه لن يُفكّ من الموت اليوم ! آه لو كان قلبك مثل قلبى ، وآه لو كان لى بصرك الحديد بيدانى أين احتبأ أوتيس التعس ! إذن كنت أحطم رأسه فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد ... الذى اسمه لا أحد !! فهو لا يساوى شيئا ؟ » .

ثم أفلته المغفل فانطلق الكبش فى إثر رفاقه ، حتى إذا كنا بعيدين من الكهف ومن صاحبه قفزت من مكنى ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى ، وسقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا المختبئة فى الجون الهادى . فى ظلال الحور والسنديان ... وأبحرنا من فورنا فوصلنا إلى إخواننا فى الجزيرة الأخرى ، الذين هناؤنا بقدر ما ذرفوا الدموع على ضحايا بوليميم ! ! واعتزمنا الإبحار فاستعد كل فى سفينته ، وأقلعنا لا نلوي على شىء . حتى إذا كنا على مبلغ الصوت من الشاطئ ، نهضت وجعلت أهتف بالسكوب بوليفيم هكذا : « بوليفيم ! لقد بؤت بما صنعت يداك ، وكان جزاؤك وفاقا ، أيها الفذل الخسيس ! لقد حسبت أنك تغتال رجال

قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش بلحم ضيوفك الذين لجأوا إليك وتغيأوا ظلك . فاهناً الآن أيها الهولة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت حتى ثار نأثره وغلت مرأجه ، وانتزع صخراً كبيراً من شعاف الجبل ، وقذف به في قوة وعنفوان ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد يهشم سكان السفينة ؛ وقد انفرج البحر ، وانشطرت أمواجه ، وارتدت السمينة نحو الشاطئ حتى لكادت أن تغوص في رماله وتتحطم على أواذيه ، لولا أن أمسكت بالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى عادت السمينة إلى مكانها في البحر . وابتعدنا قليلاً .. وجاهد رجالى بمجاذيفهم حتى كنا على مسافة هي ضعف المسافة الأولى . وهنا ، حاولت أن أصبح بالسيكاوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « ويك أوديسيوس ! لم تهيج الجنى بكلماتك . وقد كاد الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا على الشاطئ » ؟ أما محمد الألهة التى أنقذتنا من ساعديه الجبارتين ، وهو لو سمع ركزاً من أحدنا لهشمننا جميعاً قبل أن تغادر غاره ؟ » على أننى ما أصيخت لهم ، بل هتفت بالمارد الجبار أقول : « أيها السيكاب الطاغى ! إذا سألك أحد عن عمالك فقل له أعمانى أوديسيوس ابن ليرتيس الإيتاكي ! » وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ويلي منك ! لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد النبي الذى شب بيننا وطالما تحدث إلينا معشر السيكابس عما حباً القضاء في صحف الغيب لنا ؛ لقد قال لى إننى سأفقد بصرى على يد

رجل من البشر يدعى أوديسيوس ، فظلات أنتظره ، وكنت أحسبه مخلوقاً  
طويلاً عظيم الجسم بادی القوة ... فإذا هو أنت أيها القزم — اللاشيء ! —  
الذي قهرتني أولاً بالخرثم أذهبت بصري وأطمأت النور من عيني ! أوه ...  
ولكن . عد إلى يا أوديسيوس وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم  
مشواك .. وأصل من أجلك لأى ... نيتيون .. الفخو ، نى ، أن يمهّد  
لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده  
هو اللطيف نى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن تشفينى وترد  
على بصري ! » فقلت له : « بنفسى لو استطعت فقذفت بك من حلق  
إلى قرار جهنم فلا يقدر أحد على رد بصرك إليك — حتى ولا أبوك هذا ! » .  
وغيظ السيكاوب وحنق ، ورفع كفيه إلى السماء يصلى لأبيه هكذا :  
« أبنا نيتيون المحيط بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشمر  
اللازوردى ، إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بينى — وتنى  
فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن إيرتيس الإيثاكي من العود إلى  
بلاده ، إلا أن يكون هذا قضاء فى الأزل فأقم العقاب فى طريقه ، وشرده  
طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه ، واقبر فى الأعماق أصحابه ، وأحوجه إلى  
ذل السؤال وطلب المعونة من الناس ليمدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد  
فلياق الهم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولجى نيتيون ، ورفع السيكاوب  
حجراً أضخم من الأول ، وجعل يهوم به بكلمات يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ،  
فذهب يرتق فوقنا ، وسقط وراءنا بمقرنة من السكان ، فانشطار البحر  
فرقين كل فرق كالطود العظيم ، ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ .

مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ الآحر الذى أرست  
عنده سفائننا الأخرى ، حيث أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة  
ويجزعون ... ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نعاج السيكلوب  
بيننا وكان من نصيبى ذلك الكبش القدى الذى مجانى ، فذبحته على  
رمال الشاطئ قرباناً لـجوف المتعالى ... وأسماء ! إن أكبر ظنى أنه لم  
يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت فيما بعد ... وأكلنا هنيئاً ،  
وشربنا الخمر الممتقة ، وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنمنا  
حتى نضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، ونهضنا ... ونشربا الشراب  
وأصلحنا القلاع ، وأبحرنا ، بـقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الملح ،  
لأنذين بالفرار .

## أودسيوس يروى قصته

١ — إبولوس وجعبة الرياح الأربع

ب — فى جزيرة الجبابرة

ج — غرام سيرس

« وبلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك إبولوس بن هيوتاس ،  
حبیب الآلهة . وهى جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسى  
الهائل ، وأواذيتها التى يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه  
الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم فى قصره المنيف ، فى قىء وارف  
من حب الملكة ، فى بُلَهْمِيَّة ورغد ، وعيش واسع مُخفِرج ، ونعمى



طائفة ، ولذائد شتى ... يقضون وقتهم في لهو برىء ومرح ، ويأوون  
إذا أجهم الليل إلى سرر موضونة ، وزرائى مبتوثة ... وأرائك من  
حرير .

ولقد لقيتا الملك بالبشر والإيناس ، وأقمنا في كنفه شهراً كاملاً ،  
ناعمين طاعمين ؛ ثم سألتى فقصصت عليه قصة ( اليوم ) وكيف سقطت  
في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الآخيين بعد ذلك ، وما تم من  
رحلتنا في ذاك العناب ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إنى  
ضرعت إليه أن يعيدنى في خفارته إلى بلادى ، فأجاب سُولى ، وأمدنى  
بكل ما ييسر رحلتى ، ثم تفضل فشئى معى إلى البحر ، حيث قدم إلى  
جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسدٍ ، خيل إلى أنه ذبح في سن  
التاسعة ، وهى جعبة من صنع جوف سيد الأولب ، حبس فيها عظيم  
الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضى متين ، حتى لا يفلت  
منها نفس واحد إلا بإذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب  
النسيم الحلو - فلائشراعنا ، وهب بين أيدينا ... وا أسفاه ! لقد كانت  
هباته اللطيفة الرخية عبثاً ، وضاعت في غفلة من رجالى سدى ! فلقد  
جرت بنا العلك آمنة مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم بدت لنا  
شطئان إيتاكا نخفقت قلوبنا فرحاً ، واستطعت أنا نفسى أن ألمح مواطنى  
الأعزاء يوقدون النار فى شعاف الجبال ... بيد أنى كنت منهوكاً موهوناً  
من كثرة العمل ووعشاء السفر ، وطول السهر والمراقبة ، فداعبت عيني  
سنة من الكرى ، لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،

ولم أكن آمن أحداً من رجالى على الاضطلاع بها خشية الوانى ، ومخافة التأخير ... وبينما كنت نائماً ، لعب الوسواس فى صدور رجالى ، زاعمين أنى أحمل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على "إيولوس الملك ... قال قائلمهم : « يا للآلهة ! أبدأ ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تهالكوا عليه ورحين معجبين مكبرين ! وهو اليوم يعود من طروادة ومعه من طُرفها وسكها الجم الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد شاركناه تلك الرحلة المشثومة ، وها نحن نرضى من الغنيمة بالإياب ، ونعود منها أصفار الأيدى ، لا أمامنا ولا وراءنا ! وها هو أيضاً قد فار دوننا رفق ملك الرياح ، إيولوس العظيم ، هلموا يرافق ! البدار إلى هذه الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ، وأعطيات وهبات ... وأهـى ! » ، وأقبل بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجعبة فخلوا رباطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح الحبيسة ، وزجرت العواصف الهوج من كل صوب ، وطفقت تكسحنا فى شدة وعنف .. بعيداً ... من إيثاكا ! ولقد قفزت من غفوتى خائفاً مذعوراً ... حتى نخليل لى أن طوفاناً قد غمرنا ! ... وظللت برهة فى ذهول ودهش ، وطفقت الأحزان على قلبى ، ورائت الهوم على نفسى ، وفنت اليأس فى عضدى ... ولكنى لم أجد من الصبر بداً ؛ فتحمملت الكارثة فى هدوء وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت فى قمرتى ... وراحت العواصف تدفع الأسطول فى غير هواده ، حتى بلغ شطآن الأيوليين مرة أخرى ... وهنالـك بكى صـحـبى ... ولات حين بكاء ! وهبطنا الشاطئ ، وكان هـمنا

أن نرتشف من ماء إيوليا المذب رشقات ، ثم جلسنا نعد أكلة محلى  
ونلتهمها ؛ وتوجهت أنا وصديق إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجاس  
لوليمة كبيرة هو والملكة الحسناء المصون ، وأبناؤه الغر الميامين ... واشد  
ما بدهه أن يرانا بعد طول النأى ، فحذجنا وقال : « ويلك أودسيوس يم  
عدت أدراجك ؟ وأى سلطان مشثوم لوى عنانك بعد إذ أرسلناك مزوداً  
بخير زاد لتصل إلى بلادك ، وتلقى آلاك ؟ أو أى آل آخرين ؟ ! » ،  
وكان فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك ! لقد حاننى رجالى  
اللوماء ، وخاننى معهم طائف من الكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر  
ما انصدع منا ، وهو لا يزال صاحب الحول والطول ! » ... وهكذا  
شاءت المقادير أن أقف ضارعاً إلى هذا الملك مرة أخرى .. وقد تلمث  
أبناؤه صامتين لا ينبسون .. واكنهه روجه الملك وقال : « أيها الرجل  
انطلق . أغرب عن جويرتنا هذه يا أتعس الناس ! إنطلق فوالله إلى  
لأستغفر الآلهة أن أكرمت مثوى رجل مثلك عدو نفسه ، ممقوت من  
الأرباب ، مغصوب عليه من السماء ! » وهكذا طردنى الملك شرطردة ،  
فخيت على وجهى ، واقيت أصحائى ، وأبحرنا نذرع اليم المصطحب  
بمجاديفنا ، ونسكب فى هذه الأعماق المضطربة قوانا ، لا أمل لنا فى  
الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء فى الخلاص من هذه البؤوس ! ووصلنا  
مدينة ليستريجونيا بعد نصب ستة أيام بلياليها ... تلك المدينة الوحشة  
التي بناها منالاموس العظيم ... والتي ( تغزو الحشرات مروجها نهراً ،

فيمخرج الرعاة قطعان للغنم ذات الفراء الكثنة التي تحمى الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها غائلتها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهم ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بآمن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه النعاس<sup>(١)</sup> . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألفيناها محصنة بسور عظيم من الحجر الصلد ، ينفجر قليلا قليلا إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، ولا يتحرك فيه الماء ... وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوعاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتى عند فمه مما يلي البحر ، فألقيت مراسى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظرى في الجزيرة ... ولم أقف لأنس أو حيوان على أثر ، وبذت الأرض جرداء بلقعا ؛ بيد أن دخانا كثيفا كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث نائنين من رجالى جعلت عليهم ثالثا رئيسا ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها ... وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ ولقوا عند مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك آنتيپاتاس ملك هذه البلدة ... ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيتهم من

(١) كلام هومر ما غامض شديد الغرض ولذلك انكنا في إجابته على شرح

الفرع وكانت هذه هي الملتكة ، التي صاحت ، عند ما لحمت رجالي ،  
 بزوجها ، فأقبل يهتز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلمح هؤلاء  
 الغرباء حتى أمسك واحد منهم وخبط به الأرض فخطمه ... كأنما أقبل  
 ليخوض معمة .. ؛ وانطلق الآخرون لا يلويان على شيء ؛ حتى بلغنا  
 سمائننا .. ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ،  
 فأقبلوا إليه من كل حدب ، مردة جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ،  
 ولا تقع العين على أبشع منهم ... ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى  
 سفننا ، فجعلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كمصف  
 مأكول ، وجعلت مراكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء  
 الجبابرة ينشلون قتلانا بحرابهم ليعودوا بهم إلى بيوتهم فرائس سائفة  
 يملأون بها بطونهم ... وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية . وكنت  
 واقفاً في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأسرعت إلى حبال المرساة  
 فقطعتها به ، وبادر رجالي إلى مجاذيفهم فأعملوا فيها أيديهم ... وبذلك  
 نجونا من هذا الروع برغم الحجارة الهائلة التي كانت تتطاير فوق رؤوسنا  
 وتهاوى عن شمائلنا وعن أيماننا ، فتشيع في فرائصنا خطر الموت ...  
 وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذاك ، فقد  
 كانت تعتلج قلوبنا هماً وأسى على إخواننا ... ثم رسونا آخر الأمر عند  
 جزيرة إيايا ، حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات الشعر  
 الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها الشمس ، وأمها پرس ابنة

أوشيانوس<sup>(١)</sup> . وكأنا مشت عناية السماء بين أيدينا فرسونا في حون هادى ساكن في غير جلبية ولا ضجيج ، ثم هبطنا إلى الساحل فتلبثنا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح مما بنا من أين وجهد ، وكلما فرائس لما في أضالعنا من شجو وهم وشجن . ثم إني تسلمت ربحى وسيفي وحثت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه الشاهقة ، ووقعت ثمة أنظر وأتحسس ، فلمحت في البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهر من قصر سيرس . وبدأ لى أن أتوجه إليه من فورى عسى أن أجده عنده خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً وكدت أعود أدراجى إلى السفينة لأرسل نفرًا من رجالى يكشفون لى الطريق إلى القصر ؛ وما كدت أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الآلهة ظبيًا غريراً شرد من المرج للعشب الحلو ليستقى مما ألح به من ظمأ فأرسلت إليه ربحى فقسم ظهره ، وسقط يتخبط فى دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف وحدثت منها حبلاً ، وأوثقت الغزال من أياطله واحتملته على ظهري ، ومضيت قدما إلى رفاقى متوكئاً فى كل خطوة على ربحى إذ لم تعد شيخوختى تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير ! وهتفت برجالى فى مرح وظرف : « هلموا يارفاق فلن نقضى قبل أن تحين آجالنا ! هلموا إلى ظبي فنيق » . فخر عتيق ، واطرحوا ما بكم من هم وضيق ... » وأقبلوا فرحين وشمروا عن سواعدهم وهم يستهلون من جدل هذا القنص الغريز ، وظلالنا يومنا هذا نطعم ونشرب ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ

---

(١) لم يتعرض شراح هومر لهذه الفقرة ولذا أنبأها كما هي .

تفط في سيات هادىء ... وذرت أورورا ابنة المعجر الوردية فهتفت برجالى  
فهبوا ، ثم جلسوا ساعة تتشاور ، وأنا أقول لهم : أيها الرماق ! يا إخوان  
الشدائد! ها نحن أولاء قد لصقنا هذه الأرض ولسنا ندرى أيان نذهب؟ هل  
نشرق ، أو نغرب ، أو نظل هنا أبد الدهر؟! ولكن هلموا ننظر لأنفسنا  
مخلصاً مما نحن فيه : فإني حينما تسنمت ذروة هذا الحبل أجات الطرف  
في أرجاء هذه الأرض وعرفت أنها جزيرة تتراعى إلى مدى البصر ؛ ثم  
إني آنست دخاناً يعلو في الجو من وسطها ، ينبثق من سروات طوال فيها ،  
فروا لأنفسكم أثابكم الله ! — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حاقت  
هم ذكريات آتياتنا وقومه اللستريجون ، وما اقوا من هول السكاب  
أكله اللحم البشرى ، فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث  
لا يجدى البكاء ... ثم قسمتهم فريقين ، جعلت على أحدهما يوريلاخوس ،  
قرن الآلهة ، وجعلت نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقترع على من  
يذهب لارتياذ الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتى ، ثم كانت القرعة على  
يوريلاخوس ، فمضى ، وتحت إمرته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا  
جميعاً يذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا إليه ، وكنا نحن نبادلهم دمعاً  
دمع وبكاء وبكاء ... ووجدوا قصر سيرس في بطيحة<sup>(١)</sup> منخفضة ،  
فإذا رأوا ؟! قصر منيف ممرّد تحديق به تمانيل حية من سباع وذؤبان  
سحرتها سيرس بعقايرها ذات القوى الخارقة الخفية ... ولم تؤذهم تلك  
الوحوش ، بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف ، ثم تبصّبص

بأذنانها كأنها كلاب السادة العظماء حينما تتملقهم في وليمة من أجل لقيات ...  
وتسمعوا ، فإذا سيرس تقغنى بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ،  
مشغولة بنسيج سابري عبقرى عجيب ، ليس يقدر على مثله إلا الآلهة .  
وكان في رجال الفريق أمير عظيم هو عندي أربطهم جاءت فقال :  
« أسمعون أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنبات القصر ؟ إنه  
لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على نولها ، ولست أدري أربة خالدة  
هي ، أم من بنات حواء ... وعلى كل هلموا نهتف بها » . وتنادوا ، وأقبلت  
سيرس فهشت لهم وبشت ، وأذنت لهم أن يدخلوا . . فدخلوا ، وأسفاه ،  
إلا يور يلاخوس فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أحبولة . قادتهم إلى  
بهو كبير صفت فيه عروش فخمة من ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى  
أقبل الساقى بخمر وعسل ثم جىء بجبن وطعام آخر ، مخلوط بعقاير سحرية  
تذهب وعى آكلها ، وتنسيهم ما سلف من أمورهم ، بل تسلمهم ذكريات  
أوطانهم ، ثم ضربت كلابعصاها السحرية بعد إذ أكلوا ورووا ، واستأقنهم  
إلى حظائرهما حيث مسخوا فكانوا خنازير ، وإب أبقى السحر على  
ألبابهم . أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها مباشرة ،  
فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط والكريز<sup>(١)</sup> الكلابى . وما  
إلى هذا وذاك من أكل الخنازير الخسيسة السائبة .

وأقبل يور يلاخوس ينتفض من الذعر ، وينعقد لسانه فما يكاد  
يبين ، ثم هدأ روعه قليلا فطفق يصعقنا بأنباء ما رأى : « أوديسيوس

---

(١) الكريز : وجمه الكراز بالغم الأقط ، والمراد هنا فاكه الكريز .



ياذا أُلحد ! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا ، ونرود هذا الوادي الأثب ،  
فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة عالية ، وسط بطيحة منخفضة ، ذاقبة  
سامقة جلست تحتها امرأة أوربة — لا أدري — وهي لا تفنأ تعمل على منسج  
بخفية وصنعة ، وترسل أحيانًا حنونًا حلوة ؛ وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت  
فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعًا — حاشاي —  
فقد أوجست حيفة ، ووقر في قلبي أن نمة شركًا نوتك أن نتردى فيه ؛  
وقد راقمت رفاقي إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم هالني ألا أراهم فجأة !  
وما كاد ينتهي حتى قفزت إلى سيفي فتسلحت به وأخذت قوسي وسهامي ،  
وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قبل ، ولكنه ركم أمامي وتعلق  
بساقى وجعل يرجو ويلحف في الرجاء ألا أذهب ... « فإنك لن تفشل  
في إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل في أن تنجو بنفسك . فانطلق بمن  
بقي منا ، ويا حبذا لو استطعنا الفرار ! » ولكنني أجبتة أن له أن يبقى  
هو فياكل ويشرب في السفينة ، ويكون بنجوة مما فزع منه ، أما أنا ،  
فلم أر ضرورة لبقائي .

وانطلقت لا أُلوى على شيء ، ولكنني قبل أن أبلغ البطيحة التي  
بها القصر ، لقيني هرمز الحبيب إليه العصا السحرية . وكانت محاليل  
الصبا ونداوات الشبات تندفق في بردتيه ، وحمرة الورد تلتهب في خديه ،  
لقيني فصافني متلطفًا وقال : « أيها التعس أيا ن اضطرب وحدك في هذه  
الأرض ، وقد حبست سيرس من أرسلت من رجالك في حظائر هابعد إذ  
سحرتهم إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجيهم ؟ أم جئت لتحتجزك

معه إلى الأبد ؟ ولكن اصغ إلى ؛ إني سأحبك ما فعلت ، وسأحبيك وأحفظك . خذ هذا العقار<sup>(١)</sup> ولا يهملك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينقذك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب مما عندها من رجس ، وستصع لك منه في طعام تقدمه لك فكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة العجيبة التي أعطيتك ستحبك كل ما تحب لك فلا تقدر على مسخك كمن مسخت من رفاقك ... فإذا عالجتك بعصاها السحرية فاجم عليها بسيفك غير هيب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ، وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفات الهوى ، فإياك أن تنصاع لها حتى تعطيك موثقها أن تبطل ما أنزلت برفاقتك من سحر وأن تترفق بك فلا تمسك بأذي ، واحذر يا صاح أن تدنس فصل خيرك بما ركب في طبعها من شر . » وانحنى رسول الآلهة فانتقط عشبته من الأرض ثم وضعها في يدي وأخذ يكشف لي أسرارها ويقص عليّ قواها الخارقة . وذكر لي أن اسمها ( مولي ) ، وبه يدعونها في السماء وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رُقي السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كاللبن ... وودعني هرمز ، ثم رف ورف ، وعرج في السماء . وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل كما ذكر لي صاحبي علي نولها ... وصحّت صبيحة عالية ، فأقبلت تنهادي

---

(١) واحد العقاقير .

نحوى وفتحت مصاريع أبوابها ، ودعتنى ، فدللت وراءها ، حتى كنا  
عند عرش عظيم ممد فضى ، دى درج ، فاستويت عليه ، وذهبت هى  
فمزجت لى كأساً من الخمر بشىء من عقارها ، وقدمته لى فاحتسبته ، بيد  
أنى لم أنغير ولم أنحول عن صورتى ، فضربتنى بعصاها السحرية وهى تقول :  
« هلم إلى الحظيرة حيث تقرر مع رفقاءك » ولم تكذب تصمت حتى وثبت  
من مقعدى وامتشقت سيفى ، وهجمت عليها ، وفى عيني جحيان من نار  
الغضب ؛ فروعت ربة السحر ، وزلزلت زلزالاً عظيماً ، وجرت نحوى ،  
وركعت عند قدمى ، وتعلقت بساقى ، وأخذت تضرع إلى وتقول فى بيان  
رائع وكلمات بأكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك ؟  
تكلم ! أنت يا من لم تسحرك جرعى الهائلة التى لم يذوقها أحد وظل فى  
صورته لحظة واحدة ! ولسكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نفثات السحر ...  
هلم .. تعال ... إلى إلى أعرفك أحسن المعرفة . إنما أنت أوديسيوس  
الصناع ذو الذكر ، ولقد وصلت إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمز  
ذو العصا الذهبية أن يخبرنى بمجيئك ! ولكن اغمد سيفك ، وهلم ننع  
بالعناق فوق فراشى الوثير كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ نالك ..  
اطمئن يا أوديسيوس هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها : « سيرس !  
كيف تتصورين أن يفرخ روعى ويهدأ نالى وقد حبست فى رحابك  
رفاقى وشركاء رحلتى بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؛ ثم تخشين  
إفلاتى فتخادعينى وتبهرجين على بطلاسم الحب ، داعية إياى إلى فراشك  
لتشوبى صفاء فضيلتى برجس رذيلتك ... لا ... لا ، إنى لن أقاسمك

هذا الفراش حتى تقاسميني أغلظ الأقسام ألا تلحقني بى أذى ، وألا تحاولي  
الإضرار بى » وراحت تحلف وتؤكد الحلف ، وتقسم وتغلظ فى القسم ،  
ثم إنى انطرحت فى سريرها الفخم الديباجى . وأقبلت أربع من عرائس  
البحر ، حطرن من اليم وأقبلن من العيون والخرج المجاور ليهنن بخدمتنا ؛  
أما الأولى فقد أصلحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخرز ؛ وأما  
الثانية فقد صفت الموائد ورتبت الكراسى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم  
من خمر طيبة ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما  
الرابعة فقد أعدت لى حماماً ساخناً وضمختنى بأحسن الروائح والطيوب ،  
حتى انتعش جسمى الخائر ، وتأرجت روحى الفاترة ... ثم ألبستنى ثوبين  
غاليين من أندر الديباج ، ومشيت بين يدى إلى عرش عظيم مزدان بأحسن  
التصاوير ، مطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضعاً قدمى على  
درج من لباد ناعم . . . وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على  
يدى من إبريق من ذهب ، فى طست من فضة ، وجاءت بمائدة حاملة  
بأشهى الآكال فوضعها قدامى ، لكننى ما مددت إلى شىء من ذلك  
يدى ، لما كان يساورنى من الهم ، وما يشغل بالى من الانتقام ؛ فلما لحظت  
ذلك سيرس أقبلت تيمس ، وأخذت تلاطفنى وتقول : « مالك تجلس  
ساكناً هكذا يا أوديسيوس ، كالذى غشى عليه ، ما تكاد تمتد يدك إلى  
شىء ، كأن ألف وسواس يخامرک ؟ ألا تزال تخشى مكيدة فتخاف أن  
تتردى فيها ؟ ! ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك  
موثني وحلفت لك بأغلظ الأيمان ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدى

إلى طعام أو شراب ورفاق لا يزالون في إيسار سحر ك ؟ أبداً إن ذوق  
شيئاً حتى ترديهم إلى صورهم ، ثم ألتقى بهم « ونهضت تحمل عصاه  
السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاق ، وكأوا  
لا يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به ، فعادوا إلى  
صورهم البشرية ، وبدوا في أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا يحوى  
يلثمون يدي ، ودموع الفرح تبلل ماقيهم ، وطقوا يصيحون ويصخبون  
وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأت ،  
وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصنّاع ، هلم إلى مركبك فاشددها فوق  
البر لتسكون بمأمن من غوائل البحر ، سم خبيء كنوزك وأذخارك في  
غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك » وطربت لهذه العكرة  
فهرولت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاق الآخرين يندبوننا ويذرفون  
دموعهم علينا . وما إن رأوى حتى أهرعوا نحوى يرقصون ويطربون  
ويحيون كهذه البهائم التي تعود في المساء إلى حظائرهما فتتلقاها صغارها  
بالثغاء والرغاء والضوضاء . وهكذا تلقانى أولئك الرفاق . وبدأت دموع  
أحزانهم بعبرات المسرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم النائي المحبوب  
إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا ... قال قائمهم : « تالله  
لكأنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد ظفرت قلوبنا حين  
عدت إلينا فعادت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك  
إخواننا في هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولاً لنجركم علينا على هذا  
السيف الهادى ، ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران هذه الجبال ،

وانطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أمانةٍ وعز  
 وطعام وشراب ، ونعيم مقيم . وصدعوا بما أمرتهم إلا يوريلوخوس ،  
 فقد سُمِّرَ مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك شفتيه فقال :  
 « ويح لنا نحن الأتقياء الناسيين ! فيم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر  
 سيرس ، وقد تمسخنا جميعاً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى  
 الأبد يحرس عرينها مرعمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هوس  
 أوديسيوس وقلة بصره ، يوم حبسنا السيكلوب من أجل أطماع رئيسنا  
 الطياش<sup>(١)</sup> ! » وأوشكت أن تضرب رأسه بجرازي ، فيخر إلى الأرض  
 برغم ما يربطنى به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ، لولا أن هب  
 رجالى الآخرون يصرخون ويقولون : « أوديسيوس الكريم ! لتتركه  
 هنا ليخرس فلكننا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر سيرس ، ولو كان  
 مثله الفزع الأكبر ! » وتدفعوا من السفينة على الشاطئ ، وانخرط  
 يوريلوخوس بينهم منصاعاً لنظراتى المتأججة .. أما ما كان من سيرس  
 حينذاك ، فإنها أدخلت رفاقي إلى حمائمها ثم ضمختهم بأحسن الطيوب ،  
 وخلعت عليهم أفخر الملابس ؛ ولما وصلنا وجدناهم يطعمون ، فما إن  
 رأونا حتى هبوا يعانقون صحابهم ويبكون ، ثم جلسوا يستمعون إلى  
 قصة ما حل بإخوانهم ، وهم يصعدون زفرات الحزن ، ترددها قباب  
 القصر . ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول : « ابن ليرتيس  
 العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك عن أنفسهم ولا يستسلموا هكذا

لغوبة الحزن ، واسترقاً دموعهم جميعاً ... إلى لا أجهل ما تحشموا من أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من فواح في كل أرض ، كتب لهم في لوح القضاء ... واسكن ، تعالوا جميعاً . أنعشوا نفوسكم الخالدة بكنؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم الذي كنتم تستشعرونه يوم عادرتم شيطان إيثاكا العزيزة ... إنسكم إن لم تتناسوا آلامكم فإنها تفت في عصدكم وتوهي من قوتكم وتكون أبدأ حلفاً لكم وإلباً عليكم ، ولا تعودون تشعرون معها بلذة العيش وبهجة الحياة ! » ، ووقعت كلماتها في قلوبنا فأقمنا على الطعام والمدام ؛ ثم إننا أقمنا عندها عاماً بأكله في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه نعيم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف بنا فانون الأزل ، فدعاني رجالى إلى جلسة خارج القصر فقالوا لى : « تذكر يا مولانا لوطنا الأول ، فإننا نحن إليه ، ونتمنى لو ساقفنا المقادير إلى شطئانه » ، وكأما نبهوا منى عافلاً ، فتلبثنا يومنا هذا على مائدة ربة السحر في بلكهنية وعيش محفرج وخمر ، وأقبل الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس فداهبتها ولاطفتها ، ثم قلت لها فى رجاء وظرف : « سيرس ياربة ؟ حبدا لو وفيت بعهدك فأرسلتنا فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقضى حاجات الوطن ، ولتنقطع شكاوى صحابى التى مزقت نياط قبي » . وفالت سيرس : « أوديسيوس العزيز ، المعروف بأصله الرأى ورجاحة الفكر ، إنى لن أقسرك على البقاء هنا ، لأنت ، ولا أحداً من رفاقك ، ولسكنك قبل أن تفكر فى شد رحالك إلى بلادك ينبغى أن تذهب فى رحلة شاقية بعيدة المدى ...

إلى هيدز<sup>(١)</sup> ... دار يلو تو<sup>(٢)</sup> وبرسهونيه ... حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيرزياس ، الذى احتفظ وحده فى عالم الموتى بكل أسرار وقواه الغيبية الخارقة ، والذى يشوى فى رحاب مليكة الفناء يتنبأ لها وتسوحيه وتشتيره فيعرف<sup>(٣)</sup> لك عما يهتك ويقفك على ما ينطوى لك من صف الغيب » وما كادت تنتهى حتى انحلت الدنيا فى عيني وتدفقت الهوم فى نفسي ، بأجهشت وأجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل . وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها : « أنى لى ياربة أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذى يحدوني إليها ، ولم يسقنى إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت تجيبني : يا سليل ليرتس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك إلى هيدز من دليل . بل هلم إلى سفينتك فأصلح قلاعها وانشر شراعها وستهب الصبا سَجَسَجاً فتدْهَديكم رويدا ، فإذا جزتم هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ النز<sup>(٤)</sup> الذى تنمو فوقه أشجار الحور والصمصاف الباسقة ، ثمّة باسم برسهونيه ، فادفعوا اليه بسفينتكم ثم تهاوؤا إلى مَشوى يلو تو السحيق الذى يبتدىء عند الصخرة الهائلة التى تتكسر فوق أواذيتها أمواه أشيرون<sup>(٥)</sup> وستيكس وكوكيتوس فتركوا سفينتكم ثمّة ، واحفروا عندها حفرة ذراعاً فى ذراع صبوا فى جهتها الأولى قربانا من ابن وعسل ، وفى الثانية خمرا معتقة

---

(١) الدار الآخرة (٢) إله الموتى وزوجه

(٣) يتكهن — من العرانة بالكسر

(٤) الذى ينز الماء مصدر استعمل صفة oozy

(٥) تفاق الشين كافاً مشددة وقد آثرنا الشين فى كل كتبنا لتسهيل النطق .



من أحسن ماتمصرفون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فأنثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتى جميعا ، ثم انذروا لهم أن تذبخوا — يوم تعودون إلى إيشاكا سالمين — عجباً جسداً من أحسن قطعانكم : وانذروا كذلك لتيرزياس كبشا سموريا ليس في أغنامكم أسمن منه ولا أقوى جلادا ، وإذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم لجميع الموتى من كل الأمم فاذبحوا في الحال كبشا ونعجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلتقاء إربوس وعلى أن تشيخوا بوجوهكم تلتقاء الشاطئ ، فإذا صنعتهم كل هذا فسرعان ما ترون أرواح الموتى تقبل بحوكم من كل فج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخواها وألقوا بلحومها في النار مصابين ملبين داعين كما تهدأ نفسا بلوتو وزوجته پرسفونيه ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أضحياتكم ، وذودوهم عنها بأسيا فكم حتى تلمحوا تيرزياس فادما فيلقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأموج « وسكنت ، وانبلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفي عليها من شفوفها البيض كالندف ، وينثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالثلج . أما أما فنهضت كذلك ، واكتسيت صداري ودثاري ثم توجهت إلى رفاقي فأيقظتهم وحثتهم على الإبحار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلا قتي يافعا لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يعي شيئا وكان اسمه أليثور ، وكان قد غرق في سبات عميق فوق سطح القصر ، وقد أفرعه ما سمع من جلبة أسلحتنا فهب من

من نومه مخمورا متخاذلا وساقته قدماه إلى حافة السطح فزَلَّتْهُ  
وسقط إلى الأرض ، ودُقَّ عُنُقُهُ ، فسقط روحه إلى هيدز . وقالت  
لأصحابي لما اكتمل جمعهم . أتظنون أنا مبحرون إلى أوطاننا ! كلا  
يا رفاق ! فأمانا رحلة طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث ينبغي أن يلتقي  
تيرزياس النبي الصالح ليُعرِّف لنا ويقعنا على صفحة مما يطوى لنا  
الغيب ، بهذا رسمت سيرس ، وإنا لنصيححتها لسامعون ! » ، وحفقت  
قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون شعورهم من  
الحسرة ، ولكنهم صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا  
ينفعهم . وانقلبوا إلى البحر ، وكانوا لا يزالون يذرفون دموعهم ويصعدون  
حسراتهم . وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السمينة كبشاً  
عظيماً ونعجة ممتورية . وإن كنا لم نرها قط ، ومنذ الذي تستطيع عيناها  
أن ترى ربة كريمة رائحة أوجائية إن لم نشأ هي أن تكشف عن  
نفسها ؟ »



أوديسيوس يروي قصته  
رحلته أوديسيوس إلى العالم الثاني

« وذهبنا إلى الشاطئ وأزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع  
ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرايين على السطح ، وذرفنا من الدموع  
ما شاءت لنا الهموم والآلام ... وأقلعنا .. وأرسلت سيرس بين أيدينا  
ريحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه ، حتى  
لتركنا لها مقاليد الفلك ، وأنسَدَخْنَا<sup>(١)</sup> فوق السطح من غير ما عمل .  
ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم ، حتى إذا أوتسكت الشمس أن توارى  
بالحجاب ، وقارب الظلام أن يلقى أُرْدَانَهُ على الكون الهادئ ، أشرفنا على  
تخوم الحجر الأعظم ، حيث تنهض مدينة السمريين التي ينعقد من فوقها  
دَجَنٌ<sup>(٢)</sup> كثيف وظلمات داجية ، فلا تنفذ إليها شعاعة من نور ، ولا  
يحيطها رسول شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة ، التي يسطع في سماواتنا  
ركبها الفخم ، فهي أبدأ في ليل متصل مداهم ، لا تنجذب عنها غواشيها .  
وهنا ، ألقينا مراسيننا ، وأنزلنا الكبش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق  
سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس ، وتركنا يوريلاحوس بن  
برميد عند القربانين ، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع ،  
ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى ، فبدأت بمزيج اللبن والعسل

(١) انسَدَخَ : ام وفرج بين ساقيه .

(٢) السحاب الظلم .

المصفي ، وأتبعته بالخر المعتقة ؛ وثلثت بالماء القراح ؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير ؛ وصليت من أجل الموتى ، ونذرت — إن عدت إلى إيثاكا — أن أضحي لهم بعجل جسد ذى خوار يكون أسمن وأقوى ما فى قطعانى ؛ أذبحه وأحرّقه فى نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب . وخصصت الكاهن الطيبى ( تيرزياس ) فنذرت أن أضحي له بأحسن كباشى وأعظمها مئة ثم شمريت عن ساعدى ، وذبحت القربانين فتدفق الدم فى الوهدة ... وهنا ... أهرعت الأشباح من كل فج ، وأقبلت مهطعة كأسراب الدّبى<sup>(١)</sup> ... يا للآلهة ! هنا ، زرافات العذارى جو عن كأس الحمام فى ميعة الصبا ؛ وهنا ، جموع الشباب اليافع كأفواف الزهر غالهم عادى الردى ؛ وثمة ، عرائس سادرات تسربلن سواد الحزن ، فجأتهن المايا ليلة الزفاف ؛ وهناك ، أطفال كأكام الورد لما تفتح قطقتهم أيدي المنون ؛ وعن كشب ، وقفت كواكب المحاربين الذين لطخوا بالدماء وجه البسيطة .. والآباء والأمهات والأجداد ... أقبلوا يتدافعون نحو الوهدة صائحين صاحبين ، قاذفين فى قلوبنا الرعب ... ثم هتعت برجالى مشرعوا يحرقون القرايين ويصلون لرب هذه الدار — پلوتو — ولزوجه ، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفى أضرب به ههنا وههنا ، حتى لمحت روح رفيقى أليينور<sup>(٢)</sup> الذى تركناه فى أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لما كنا بسبيله من همرم .. لمحت روح رفيقى فتصدعت ، ثم ذرفت عبرات وعبرات ، وكلمته قائلا : « أليينور !

---

(١) الحراد .

(٢) الثمل الذى سقط من السطح هدى عنقه ( الفصل السابق ) .

يا صديقي ! كيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة ولم تحملنا إليها سميتنا إلا بعد لأى ؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء ؟ أم طويت إليها الرحب ماشياً ؟ » واهمرت من عينيه دموع ودموع . ثم قال يجيبني : يا ابن ليرتيس النبيل ، المعروف في العالمين بالحكمة ودقة الفهم ، لقد أودى نى السكر فسقطت من سطح سيرس فدق عنقي ، وأسرعت من ثمة على درج الظلمات إلى هيدر .. على أننى أستعطفك بكل عزيز عليك ، يفلوب ، بالنار المقدسة التى تتأجج عن قبسها حياتك ، بولدك الأوحد تليماك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعقادى إذا عدت إلى سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع أدراحك من عالم هيدر ، وأن تحرق جثامى فى نيران هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع إلى الآلهة من أجل حتى أقر هنا ، وتهدا فى تلك الظلمات روحى ، وأن تغرس فوق الكومة التى تشمل رفاتى ، مجدافى العزيز الذى عملت به فى السحرت تحت إمرتك ، وفى ذرى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرنى فى العالم الفانى الذاكرون . ووعدته أى فاعل . ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . ولجأة لحت بين أرواح الموتى تسبح أمى ! أمى المحبوبة أنتكليا ابنة الشجاع أوتوليكوس ، التى تركتها يوم يمت شطر طروادة قوية ، غريصة الصبار يانة الشباب . وما وقعت عيى عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم انهمرت من مقلتى أحر العبرات ... ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذبتها عن الدماء كذلك ، وبى من الهم لتلك الفعلة ما أوهننى وأضوانى . ثم أقبل نبي طيبة وكاهنها الجليل ، يتوكأ على عصاه الذهبية ؛ وما كاد

يحملق فيّ قليلا حتى عرفنى وحاطبني يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة  
المشرقة أيهدا التعس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتصرب في ظلمات  
هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن نَحْ هذا السيف قليلا حتى أجمع من تلك  
تلك الدماء ، وإني لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أحله » .  
وأغمدت سيفي ، وانحنى الكاهن فعب من الدماء ما شاء ، ثم قال لي :  
« أوديسيوس ! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك  
إليها مخوفة بالمسكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك فيها أعدوا لدودا يتأثر ،  
ذلك هو نبتيون الذي أسخطته بما سمات عين ولده السيكلوب (بوليفيم)  
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك إن كبحت جماح  
شهواتك ، أنت ومن معك ، فإنك واصل يوماً إلى شطآن تريناسيا ،  
وتكون قد أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة . فاحذر أن تمس  
قطعان رب الشمس السائمة في الجريرة بأذى إن كنت جد حريص على  
العودة إلى بلادك سالماً ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عذاب وعقاب .  
فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن فلـكك تغوص إلى  
الأعماق ، ويغرق رجالك أجمعون ؛ أما أنت فتعجو بعد جهد ، وتلتقطك  
سفينة عابرة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيما عناء ، إلى وطنك  
الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصر ك المنيف محتلاً بطفمة  
أشرار من عشاق زوجك الوفية لك ، يُريغون حيرك ويُذبحون شمالك ،  
ويغرون بنلوب بالعطايا والرشي لتختار من بينهم بعلاً لها . ولكنك  
ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستعيد جموعهم ؛ فإذا تم لك

النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذي لم ير البحرَ أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجداف عظيم يدلك عليهم فإنهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه مذراة مما يذرى به القمح ؛ فإذا عرفتهم فاغرس المجداف في أرضهم ، وضح لنبتيون رب البحار بعجل جسد وكبتس سمين وخنزير كينار<sup>(١)</sup> ، ثم تبتل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك وضح بأحسن ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصل لكل منها واخشع ، تعش آمناً غاماً ، وتمت بعد حياة هادئة مودة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ، وشيخوخة هائلة موفورة ... هذا من أنباء الحق عرفتها لك .

وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما كشفت لي من أنباء الغيب ؛ ولكن جعلت فداك : إني ألمح شبح أمي جاثماً باقرب من الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب . فمن ذا الذي يشعرها أني — أنا ابنها الأوحده — قريب منها ! » فقال : « لا أير من ذلك يا بني ! فإنك إن تركت أيتاً من هذه الأشباح يرشف رشفة من ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بما تشاء » . ثم غاب شبح الكاهن في ظلمات مملكة يوتو ، وسمرت أنا مكاني أنتظر شبح أمي ، التي ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتني ، وانطلقت تكلمني في ترفق وحنان : أي بني كيف أتيح لك الضرب في دياجير هذه الدار الآخرة وأنت لا تزال حياً تدب على رجليك ؟ ! ألا ما أشق هذا على بني الموتى من أهل الدار الأولى ! إن ههنا أنهاراً من حميم يدور بعضها على بعض ، وقد تعاني

---

(١) بالسكسر سمين .

على شطآنها بعباب حمىء ، وبحيظ بها البحر الأعظم الذى لا تشق  
أجباله فلك ، بله قدم سائر عابر ! أواه ! لقد ذرعت البحار شرقاً ومغرباً  
فى رحلتك من اليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيقاكا  
العزيزة ! » وسكتت قليلا ، فسألتها « الظروف القاسية وحدها يا أماه  
هى التى قادتني الى مملكة يلو تو ، ليعرف لى الكاهن الصالح الطبيعى  
تيرزياس ، ولقد تجشمت الأهوال الثقالة منذ توجهت مع أجا ممنون للقاء  
أبناء طروادة . وهأنذا منذ ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطنى ...  
ولكن ... نبئنى يا أماه أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سمك  
دمك أحد ؟ أم أصماك سهم من ديانا ؟ .. وحدثنى كذلك عن أبى  
السند الشيخ ، وعن ولدى تليماك ، وحدثنى عن ملكى وعنادى ، هل  
غلب عليها أحد من سادات البلاد ، حين يئس الكل من عودتى ؟  
وخبرى عن زوجى ، ألا تزال تعيش مع ولدى محبسة وفيه لى ، أم  
تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ ! » وقال الشبح الكريم يحينى :  
حاشا يابنى ! إنها لا تزال وفيه لك ، مبقية على ذكراك ، مبقية فى قصرى ،  
وإن تكن تقضى لياليها وأيامها فى حرن ممض عليك ، ودموع جاربة  
من أجلك ، وآلام ما تنتهى لبعذك . أما أملاكك فلا تزال لك ، وما  
يفتأ ولدك بغلها باسمك ، وما يفتأ يغشى الولائم فى أسهة الأمراء ، ورؤاء  
الأماثل العظماء ! ولم يزل أبوك مقياً فى مرارحك ، عزوفاً عن المدينة  
وبهرجها ، وأرائك القصور وزرايتها ، وهو يقضى أيامه يصطلى نار المدفأة  
فى الشتاء ، قابلاً على فروته الفقيرة المتواضعة ، غاراً فى أثماله ومزقه ، فإذا



جاء الصيف ، أو فجأه الحريف ، اعتكف في ناحية ، وانطرح على  
 الهشيم المساقط من الأشجار ، وراح يعالج من الحزن عليك ، والبكاء  
 بسببك ، ما يوهيه ويضنيه ، طوال تلك السنين السوالف ؛ وهكذا  
 هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك ، والتصدع من أجلك ،  
 فلا ديانا أصمت فؤادى بسهم ، ولا اعتدى على معتد ... بل الحزن وحده  
 يا أوديسيوس ، والوحشة والصنى ، وطول الوجد ، وذكراك في كل  
 حين ؛ كل أولئك يا بنى اختضر عود حياتى ، وعمل إلى ماتي ! » وما  
 كادت تفرغ من حديثها حتى أزرفت<sup>(١)</sup> إليها أود لو ضممتها إلى  
 صدرى ، بيد أنى فشلت سرّة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفتل في كل  
 مرة من بين ذراعى كما ينفتل الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على  
 ذلك صبراً فقلت لها : « لماذا تأبين على عناقك يا أماه وقد نتداوى به  
 ما بنا من شجو ، ولو كنا هنا في مملكة يلو تو ؟ أم يا ترى أرسلت إلى  
 پرسفونيه شبحاً يعيث بى ويتضاحك على ؟ ! » قالت : « أواه يا بنى ،  
 يا أتعس بنى الموتى ! أبدأ ما حاولت ربة هيدز أن تعيث بأحد ، ولكنها  
 طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهبت به النار  
 بعد الموت فى الدار الأولى .. بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام فى  
 حقتها وسرعة انقلاتها ... ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور ... فلقد  
 جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم همهمت حولي أشباح العذارى  
 والأرواح من بنات هيدز ، سعين من عند پرسفونيه ، فامتشقت سيفى ،

وظفقت أذودهن فلا يقربن الدم إلا بإذنى واحدة بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها . ولقد كملت تيرو<sup>(١)</sup> الحسناء ، كريمة المحتد ، طيبة الأعراق فذكرت لى أنها ابنة سالمون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينپوس إله السلسبيل ، أعذت أنهار الدنيا - قد كان مشغوفاً بها حباً ، وأنها طالما كانت تغشى شطآنه النضر ، وخمائله الخضر من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك ، فإذا شبّح جميل كأنه شبّح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم فيطويهما معاً ، ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعى نبتيون الجبار رب البحار الذى يشاكيها غرامه هو الآخر ، ويثبها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة ، ويعاشرها كزوجة ، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدى المقدس . . ويغوص فى اليم . وتعود هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزيرى جوف الأكبر - بلياس ونليوس - ويشب بلياس ويضرب فى الأرض ، فينتهى إلى صروج إياؤلخوس ويرعى ثمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن الملقع الجذب من أرض پيساوس ... وتزوج كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين<sup>(٢)</sup> ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كملت انتيوب ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين

(١) لم نشأ أن نعلل أحاديث أوديسيوس مع بات هيدز كما فعل بعض مترجمي هومر . بل آثرنا إثباتها كما هى ، ونحن نحل القارىء عن اللام لأن الأوديسة أعلى من أن تقل .

(٢) حذفنا هنا الأسماء مؤقناً

جوف — كبير آلهة الأولمب — من هوى وصباية وجب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وريتوس منشيء طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة ... ولقيت بعدها ألكمينة ابنة أمفثريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدي الجبار ... ولقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، وأنجبت له ابنته مييجارا ، زوجة ابن أمفثريون ... ؛ ؛ .. ولقيت الحسناء أبيقاست<sup>(١)</sup> أم أديوس الملك التاسع ، الذى تزوجها وهو لا يدري أنها أمه بعد أن ذبح أباه ، فصبت عليه السماء سياط عذابها ، وذهب على وجهه فى الأرض حيران ؛ أما أمه فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنت نفسها فى سقف بيتها ؛ تاركة ولدها لربات العذاب يسمنه الخسف ويجرعنه الأوصاب ... ولقيت الغادة الحُسان حلوريس التى هام بها نليوس ونترت تحت قدميها هداياه ، فأسلست له ورزق منها أبناء الثلاثة نسطور وخروم وبركل ، الميامين ذوى المجد ... ثم كلمتني ليذا روجة تندار ، أم كاستور الصديد وپوللكس الملاك العتيد ، إنهما ينعمان بنعمة زيوس أى الآلهة ، فهما يتبادلان الموت والحياة ، سنة فسنة<sup>(٢)</sup> ، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً ... ؛ ... ثم رأيت إفيمديا الحبيبة التى نخرت بهيام نبتيون والتى أنجبت له طفليه الجميلين أوتوس وإفالت اللذين بزا بجمالهما كل من دب على وجه الأرض ، باستثناء أوريون ... يالهما من طفلين ! ! لقد شبا نيران الحرب

(١) وردت عنهما أسطورة رائعة منتشرة قريباً فى الجزء الثانى من كتابه

أساطير الحب والجمال عند الأفريق . (٢) چوكستا

على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة الاولمب فجعلها يامون على أوسا  
ركاما ، وقد أوشكا أن يفلحا لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبولوايكونا  
عبرة لغيرهما ... فيا للموت ! هذا المعتدى على شبابهما الغض ، فأذبل  
الحدود وأذوى الورود !

ورأيت بعد ذلك فيدرا ، ولقيت آريادن المفتان وپروسير اللعوب ،  
أما آريادن فقد حملها ثيزيوس من كريت إلى مراديس أثينا ... ولكن  
وا أسفاه ! إنها ما تمتعت ثمة لا قليلا ولا كثيرا ، فقد أصمتها ديانا الغادرة  
بسهامها ، وشهد فعلتها المنكرة باخوس العظيم ... في ديا  
ورأيت ميرا ... وكليمنيه ... وإريغيل التاعسة التي قبلت أن  
تنال ثمن روح زوجها من الذهب

والآن ١١ وقد أوشك الليل أن يلقي علينا طيلسانه فما أحسنى  
أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال العظام وبناتهم اللاتي لقيت في  
هيدز ، فأرجو لو أمر الملك فانطلقت لأستريح في سفينتي ... أو هنا إن  
أذن .. وكلية ثقة فيكم ، وإيمان بالآلهة ، أنكم ستدبرون أمر إبحاري  
إلى وطني حتى الصباح ...

\*\*\*

وسكت أودسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في الردهة الملكية فكأن  
على رؤوسهم الطير من روعة ما حدث ، حتى نهضت أريتنا الملكة ،  
ذات الذراعين العاجيتين ، فقالت : « أيها الفياشيون كيف أنتم وهذا  
المهاجر النبيل الذي رادته الآلهة بسطة في العقل والجسم ، وأضفت عليه

هذا البهاء وذاك الرواء ؟ إنه ضيفي ، بيسد أنكم تشركونني في صيافته  
والاحتفاء به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل حري بكم  
أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ، وتقدموا له أطراف الهدايا وأعرس الآلهي ،  
وتفقيثوا عليه مدام حبةكم السماء ، فكلكم غني جم الغناء ، ثرى واسع  
الثراء . وتكلم البطل إحنيسوس ، أكبر أمراء فياشيا وأتقدم ذكرأ  
فقال : « إن مليكتكم ذات المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة  
نفسب ، بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني ، فخذوا لو أصحتم  
وصدعتم .. على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فليز إذن رأيته .  
وقال الملك : « إني أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا وسيدة  
البحار ؛ ليبق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحدوه من الشوق إلى بلاده ،  
حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي يُعنى بها الجميع » وكأما صادف  
مقال الملك هوى في فؤاد أودسيوس فنهض وقال : « ألكينوس ! يا ملك  
فياشيا العظيم ! بودى لو بقيت هنا عاماً بأكله ليم الملك نعمته على ،  
وليدبر أمر عودتي سالماً إلى أرض الوطن .. فما أجمل أن أعود بالعطايا  
والهدايا والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم وأنال محبتهم  
بعد طول النأى وفدح البعاد » .

فأجابه الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أودسيوس ! ويكأما  
حدثت بلسان ساحر عليهم يهرج القصص ويوشى الأخبار ، ويروى  
ويروى ، في زكاة وفطانة وحذق وترتيب ؟ ! أبدأ ما حملت هذه  
الأرض ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ؛ وأبدأ ما تسكبت

الموسيقى والنعم الحلو من لسان كلسانك الدرب الحبيب ! ولكن ماذا  
عندك من أحبار الأبطال الإغريق ، الصيد الصنايد ، الزادة المذاويد ؟  
حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا أخبارهم ؛ أرأيت أحداً ممن شهد  
معك وقائع طروادة ؟ إن الليل لا يزال في -مفوان يا صاح ، وما بأعيننا  
من سمة فقاوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم فحدثنا ، فبنا من  
حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع العجر ، إن لم  
ينل منك وصب أو يُعَمِّك ملال .

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياشيا الملك ألكيموس ! لا يزال  
في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من  
الأحاديث عن أبطال الإغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوار طروادة ومن  
أُفلت من الموت ثمة فترصدته المنيا في أرض وطنه صبيهاً من كف زوجه  
الأنيم الزنيم ! إليك إذن ... وحينما هتفت يرسمونه - ربة هيدز -  
بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبيكن واثنين عني إلى ظلمات  
دار العناء ، بدا لي طيف أجائمنون - ابن أثريوس - ومن حوله كوكبة  
من أَسْمَاح الدين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس . أهرع إلى الدماء  
فرشف منها رشقات ، ثم نهص فعرفتي ، وكأما شاعت فيه رعدة من  
الدهشة والذعر ، وتحدرت دموه الحرار السخينة فوق حديه ، ثم مد إلى  
ذراعيه يود لو عانقني ، ولكن ... وأسفاه ! وهل يعانق الشبح إنسياً ؟!  
ونال مني الحزن فبكيت من هذا المنظر الفادح الأليم ، وقلت أكله في  
أسلوب بئس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أثريوس يا ملك الدنيا العظيم

ماذا جرءك كأس المنايا؟ خبرني ! هل جرعتها في قرار اليم مغرقاً بيد  
 بتيون أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ، أم قتلت وأنت  
 تحارب من أجل نبات أخايا إذ هن محاصرات حلف أسوار مدينتهن؟! «  
 فقال يجيني : « أودسيوس الزعيم النبيل ، يا ابن ليرتس الحكيم أبدأ  
 ما من مغرقاً بيد نتيون ، ولا فوق ظهر الأرض في حومة حرب ربون ،  
 بل دبختي اللثيم إيجستوس بعد أن دبر غيلقي مع زوجتي الآثمة ، حين  
 ملق<sup>(١)</sup> لي وبالع جهده في الاحتمال لي ، ثم دبختي كما يدبح الثور في مودوه  
 وكر على رجالي فذبحهم كما تذبح الخنازير لوليمة في عرس أو في حفل لزعيم  
 عظيم . أوه أودسيوش ! لا جرم أنك قد شهدت ألف معركة ومعركة  
 جندلت فيها أبطالاً وراء أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك  
 الحديث الرهيب ! لقد هويانا نتخبط في دماننا التي قهرحت الأرض ،  
 تحت أخاوين<sup>(٢)</sup> حافلة بأطيب الآكال وأشهى الأشربات . ثم ..  
 حلجأت في أدني الصرخة الرهيبة ، صرخة ابنة بريام ، فكانت ما أروع  
 وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى جانب كاسندرا ، قتيطة بيد  
 زوجتي كليتمسترا .. ومع ذلك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت أن  
 أمتشق جرازي ، لكن الخائنة انسحبت كالأمي ، ولم تعبأ بي ، بل لم  
 تشأ أن تعض عيني ، أو تسند ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أن أطرق  
 فيها أبواب هيدز ؟ ! ويلاه ! وويلي على المرأة التي طاوعتها يداها فأنت  
 هذا الذكر ، وارتكبت إنهم قتل زوجها ورفيق صباها ! !

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخون وأخونة ، جمع خوان موائد الطعام

أفقد حسبت حين عدت أدراجي أننى سأفيل بالأهل وبالسهم ، من  
أبنائى وأهلى وحاشيتى ، ولكنها ... العاجرة الغادرة ، التى نزت  
بفجورها كل صنوف العجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار والخزى ،  
بل هى قد سحبت أذيال العار والحزى على كل أنثى لم ترالنور بعد ، وعلى  
كل الصالحات الطيبات من نبات جنسها .

وسكت أجاسمون ، فقلت بدورى : « يا سماء ! ! ما أقسى ما قصت  
يد ريوس على بيت أتريوس ، منذ البدء ! كاه من الأنثى دائما ! لقد  
قتلنا فى غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين<sup>(١)</sup> ؛ وتدبر لك كليتيمسترا  
تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين عريكتك لامرأة قط ،  
وإلا تجعلها موضع سرك ومحل ثقتك ، بل إن أسرت لها بشيء ، فخبئ  
عنها أتياء ، هذا وإن تسكن زوجك وفيه خالصة لك ، لا يخشى عليك  
منها رهق ، ولا غدر كهذا القدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ، ذات  
الحصافة واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها إلى اليوم ،  
وعلى صدرها الوفى ولدك الحبيب ، الذى شب ليحمل اسمك ، ويعلى فى  
الخاقين ذكرك ، والذى ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم  
تعود إلى إيثاكا .. وإنك إلى إيثاكا لعائد ، وبذا  
قضت الآلهة . . . أما أنا فوا أسفًا ، على أورست ، ولدى  
المسكين ، الذى قتلتنى الغادرة قبل أن أتزود منه نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ،

---

(١) التى فر بها باريس وكانت سببا فى حروب طروادة



إصنع إلىّ ، إني سأفء عليك من كنوز خبرتي وتجاريبي ، عليك بالسر في أوبتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان لأنه لا ثقة في امرأة بعد اليوم<sup>(١)</sup> ... ولكن اصدقني ربك ، أين يأوى ولدى الآن ؟ هل يقيم في بيلوس ؟ أم يشوى في أرخومينوس ؟ أم هو يستدرى بذري جدته ، أمى الحبيبة ، في قصرها المنيف بأسبرطة ؟ إنه لا يزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال هيدز . واعتذر إليه أني لا أعلم إذا كان حياً يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز » وظللنا نتحدث شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس العتيد ، وفي إثره شبح تيربه بتركوس العظيم وبمقرنة منه طيف أنقيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل المغوار أجاكس الذي امتاز ببسطة الجهم وجبروت المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده ... وعرفني شبح العداء الكبير إياسيدس<sup>(٢)</sup> فقال يخاطبني في خفة وظرف : « أودسيوس يارجل الدهاء والخدع أي تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السوائف شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار ؟ أضيف أنت ؟ أم هو طيشك وقلة مبالاةك جمالك تضرب في دياجير هيدز ؟ هيدز الرهيبة بيت الأرواح والظلال . والأشباح ؟ » فقلت : « أخيل ! يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء أخايا قاطبة ، لقد سعيت إلى هنا لألقى الكاهن الطيب تيرزياس ليعرف كيف أصل إلى شطآن إيثاكا الصخرية ، لأنى عييت بالزوابع والعواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى ...

(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بنلوب

(٢) قد يكون أخيل .

إني أغبطك يا أخيل من أعماق ! فلقد عشت في هناء وعز ، وتجاهك  
الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت ذا تحكم هنا وتنهي وتأمر على جميع هؤلاء  
الموتى ، فما أجدرك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى »  
وأجابني على الفور : « أودسيوس ذا الذكر ، لا تخالن عزاء يخفف من  
وطأة الموت ! لقد كنت أؤثر لو أعيش في الدنيا كأحقر الأحرار الأذلاء ،  
وأتبلغ بلقيات قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقيم هنا مملوكا  
في جميع هذه الأشباح والتهاويل ! ! ولكن تعال ؛ هلم فحدثني عن ولدي  
الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطلق  
المعصية ؟ وحدثني عن أبي بليوس الكريم ، ألا يزال يتمتع باحترام  
الناس وتبجيلهم وحب الميرميدون<sup>(١)</sup> وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة ونزل  
على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبته !  
لئس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؟ أو اه لو وسعني  
أن أعود إليك لحظة ، إذن أقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت  
كل جبار عصي على تمليقك وذل العبودية لك ، بدل الثورة بك ، وقلة  
الاحتفال بشيخوختك » . وقلت أجيبه : « أنا لا علم لي بما كان من أمر  
بليوس أبيك ، ولكنني ذاكر لك ما ترامي إلي من أخبار ولدك  
نيوبتلموس لأنى حملته على سـمائي من سكيروس إلى الجيوش  
الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كنا مجتمع للشورى<sup>(٢)</sup> تحت أسوار اليوم فما  
كان يتكلم إلا للمام ، وما كان ينطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا

(١) حنود أخيل في حروب طروادة

(٢) يحسن الفارسي أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

استندينا نسطور . و... وأنا... فما كان أحد ينهض إلى مقامه ، أو يقارن به من جميع الأبطال الإغريق .. وكنا نسكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أصدق فَرّاً ... ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سرّ دُ أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوربييلوس بن تلفوس البطل الذي أغرى ( بريام ) نساءه بالرشى ليقنعنه بخوض غمار الحرب إلى جانب الطرواديين ، فما زلن به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون ... لله ما كان أجمل وما كان أروع ! ! أبدا ما رأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أصفى جمالا ! وما أنس لا أنس يوم حصان إيموس الخشبي ، يوم قمت أتخير الصناديد المذاويد من أبناء هيلاس ليكونوا معي داخله ، وكنت على أن أظل عند بابيه السرى لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى ... لا أنس ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدر دموعهم من هذه المهمة رعباً وفرقاً ؛ أما ولدك ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط حاشاً ! ! إن عبرة واحدة لم تنسرق من عينيه ، بل إنه كان يحشني ويحرص جد الحرص على أن أحتره ، حتى إذا فعلت تقدم متبخترًا يجرح رجليه الظمى ، ويغلى صدره بنار الانتقام يود لو يصمها على طروادة وأبنائها جميعاً ! ! وما إن فُتحت علينا ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي حتى نظرت إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رميّة ، ولا يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه نلدش مما تصنع الحرب ، وما تسجل فعال مارس .

وزُهي أحييل من كثرة ما أثنيت على ولده فراح يتخايل ويدل  
 وسط شجر البرواق<sup>(١)</sup> ... وكانت جموع من أشباح الموتى تملأ  
 الرحب ، وقد جالس كلُّ أوهام على وجهه يبكي ويشكو بشه لغير سميع ،  
 وقد رأيت بينهم شبح صديقي التيلاموني — أچا كس — وكان يحادثني  
 في الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ أن يكلمني ! ! آه ! إبه لا يزال ينقم  
 على ما شجر بيني وبينه من نزاع على عُدّة أحييل ( بعد مقتله ) ، وما  
 كان من طلب ذيتيس<sup>(٢)</sup> ألا يلبس دروع ولدها سواي ، ثم ما كان من  
 تأييد مينرفا للأم الرؤوم فيما طلبت . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أؤثر  
 ألا يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أچا كس المغوار ، الذي لم  
 يكن فينا من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه .. ولقد وجهت إليه أليف  
 الخطاب لأقل من سورة غضبه . فقلت له : « أيها العزيز أچا كس ،  
 يا ابن تيلامون المجيد ، أما تستطيع أن تغضي ، وأنت في الدار الآخرة ،  
 عما شجر بيننا بسبب هذه العدة المشثومة ؟ اعنتها الآلهة من عدة كُتبت  
 فوقها صحيفة موتك ، نخمرنا فيك أشجع فرساننا وأعظم مقاتليننا ! إنا  
 ما نفتأ نبكيك ونشكورُ زُأنا فيك ، ونعد فقدك كفقداً أخيل نفسه !  
 ولكن لا تريب على أحد قط ، فجوف ، كبير الآلهة ، الذي ما ينفك  
 يصب لعنته على جيوش آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها  
 البطل هلم نحوى كيما تسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد أن أترضاك به ؛

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد ذكره الفيروزآبادي

(٢) أم أخيل وهي إحدى مرائس الماء .

أتخمد جذوة الغضب علىّ في نفسك ، ولنحسّم ما بيننا من حصام ! «  
 بيد أنه ما حرك شفّتيه . بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأسباح الهائمة  
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى تكليمه تنظفياً .  
 رويداً ... فقلبت نظري في الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً  
 فأتحدث إليه ، فلمحت بينها مينوس سليل جوف الأكبر ، وكان يجلس  
 على عرش ممرّد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه صولجانه الذهبي الثمين ،  
 ومن حوله زرفت جموع سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ،  
 ومنهم المنتصب يشرح للقاضي شكواه ، ويثنه بلواه ، بينما قد أهطعت  
 الرؤوس والمحبت النفوس ، وتكأ كأت الموتى عند البوابات الكبيرة  
 الهائلة تنتظر دورها ... ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون  
 الجبار يسوق قطعانه التي ذبحها بيديه في الدار الأولى ، وهو يرعاها على  
 أوراق البرواق . ورأيت فيمن رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه  
 الغراء ، وقد كان منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ؛  
 وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم يتغذى بمصغ من كبده الكبير  
 الدامى ، وينغب من أحشائه الغلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل  
 لاتونا اللعوب الطروب ، عشيقة جوف سيد أولمپ ، التي فرت من  
 وجهه في بطأح بيتو إلى فراديس نانوبيوس . ثم رأيت تانتالوس في  
 ضعف من العذاب ! رأيت يتخبط في عين حمئة من حميم ، وقد غاص  
 فيها إلى ذقنه ، والموج يضرب وجهه ويسفعه ، وهو مع ذاك يلهث من  
 الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو يطفئ جؤاده وصداه ! فهو إن حنى .

رأسه غمرته الحَمَم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأسرربها فهو في عذاب مقيم ... ولله أشجار الفاكهة دانية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما انتهى أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتيةً فذهبت الغصون عاليةً في السحاب !! . ثم رأيت سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشقى ويتعذب ؛ يدفع أمامه حجراً جاموداً عظيماً فيجعله في رأس جبل ، حتى إذا انتهى إليه عاضت الأرض من تحته بقوة حفية فكانت بئراً عميقة ، يهوى الحجر من عليّ ، فيعود المسكين إلى نَصَمِهِ عوداً ... على بدء ، ويتحدر عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من رأسه كأنما ينقذف من بركان ! ... ثم شهدت هرقل الحديدي القوى الجبار ... شبحه فقط ، لأنه هو قد منح بركة الآلهة وحلودها ، فهو أبداً يحضر ولأنها في شعاف الأولمب ... شهدته يحتصن ابنةُ جوف الجميلة المفتان ، هيب ، ذات القدمين الناصعتين ، والنعلين الذهبيتين ؛ رأيتُه وأشباح الموتى ترف من حوله صافات كالطير ، ثم يَقْبُضُ ... وراعى أن أراه عابساً كالحاكم كقطعة من الظلام ، وقد حلق عينيه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب ، وقد نقش عليه صور ميثاق من الدببة والذئابان والسباع ، ينقدح الشرر من عيونها ، دائبةً في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعةٌ معجزةٌ لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من بعد ... وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب في عينيه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس النبيل ذا المجد

ما أتعسك !! ما أظنك إلا معنياً ببعض الحارفات التي كمت أستغف  
 بها في حياتكم الدنيا .. ها أنت داتراى هنا ، فى ظلمات هيدز ، عبداً  
 رقيقاً لإله أحقر مى شأنًا وأقل قدراً ، لأننى وأنا ابن جوف الأعظم ، قد  
 كتب على أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها .. أتصدق أنه  
 يأمرنى أحياناً أن أسوق كلمه ، مع ما فى هذا الأمر من سخرية  
 وتحقير؟ ولكنى لن أنسى أنى جذبتة من مملكته هيدز إلى نور الحياة  
 الدنيا بمساعدة أحدى هرمز ، وبمعمونة مينرفا ذات العينين الزر حديتين «  
 ثم هام على وجهه فى ظلمات مملكة بلوتو ... ثم تلبثت أنا مكانى راجياً  
 أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرفتهم فى الدار الأولى ،  
 أولئك العظماء ذوى العزة والمجد ... وكم وددت أن أرى بيريشوس  
 وثيذىوس سليلي الآلهة ... بيد أن جموع الموتى الحاشدة التى أقبلت  
 تصرخ قذفت الرعب فى قلبي وخفت أكثر أن ترسل پرسفونيه مملكة  
 هيدز ، رأس الجرحون من ظلمات هيدز فتفعل بى الأفاعيل ... فآثرت  
 أن أسرع إلى مركبى ، وأمريت للملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على الظهر ،  
 وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن أعملنا المبحاذيف وقتاً غير طويل



## نما قصّة أوديسيوس

### ١ - السيرينات المغنيات

### ٢ - سكيللا الهولة

« والآن ، وقد احتملنا العباب ذو الثمّج ، وذرعنا اليم المتراحي ، وعتمنا نضرب في موج كالجبال ، فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا المرجانية حيث ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب ، وحيث مطلع الشمس وراء البحر المضطرب . . وألقينا مراسيدنا ، وتلبثنا فوق رمال الشاطئ . رقب انبلاج الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة من رجالى إلى قصر سنيرس فأحضر اثمان إينور (الذى خر من السطح فدق عنقه ) ثم إننا بكيناه أحر البكاء ، وجعنا له من الحطب والخشب ما وسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التى صنعناها من هذا الوقود ، وطرحنا معه سلاحه ، وأقمنا إلى جانبه مجداه العظيم ؛ ثم أدينا له الشعائر الجنائزية التى أرويناها بأزكى دموعنا ، وأشعلنا الميران بعد إذ أقمنا نصباً جليلاً ، تحية وذكري . ولم تغلم بعود تناسيرس ؛ بيد أنها مع ذاك أقبلت فى رهب من وصيغاتها الحسان الأثراب يتهادين نحونا ، حاملات دنائنا من أكرم الخمر ... ووقفت بيننا العروس الهيفاء ثم قالت : « ويحكم أيها الأشقياء كيف حسلاً لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت



جميع الناس مرة واحدة ؟ ولكن تعالوا ، هلموا إلى طعامكم ، وتحسّوا من هذه الحمر لتقصوا يومكم فوق رمال الشاطئ في شراب وآ كال ، فإنكم ضاربون في ظلمات ذاك البحر فجّر غت . وإني منبئةكم عما يروكم في طريقكم عسى ألا تصل بكم . ويا ما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر ! ولبينا دعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب روى طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذكاء بالحجاب ، وشمّلنا ظلام الليل ، تطرّح رجالى فوق الرمال النائمة ، ثم انتحيت أنا وسيرس فاحية ، وجلست قبالتها ، وراحت هى تحدثنى وتقول : « أما وقد أوشكت متاعبك أن تنتهى ، فاصغ إلى ؛ إفقه ما أقوله لك وتدبره ، فهو وحى يوحى إليك من السماء ينفعك إذا جد بك الجدد ، وأزفت حولك الآزفة ... ستصل أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة السيرينات الشاديات اللأئى يسحرن بغنائهن القلوب ، ويخلبن بحرسهن الألباب ، ويطّبن<sup>(١)</sup> كل من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريهن وجميل شدّوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله وأوطانه ، ولا يخطر فى باله أن يعود إلى بلاده لينأى بقاء زوجه الحبيبة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد مكانه من الشاطئ حيث يكون بسمع من السيرينات ، وتكون عن يمينه وعن شماله رفات الضحايا الكثيرين الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بغناء أولئك العذارى فحمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى ذووا ، وذهلوا وضووا ، وحق بهم الفناء ، بينا يخطر السيرينات بين شجر

---

(١) يطى القوم فلانا حالوه وقتلوه .

البرواق متهاديات فوق السندس الحلو الجميل .. فأوصيك أن تُفرغ  
 في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ أرضهن ، فإنهم بذلك  
 لا يسمعون تدوهن ولا يسجرون بغنائهن . أما أنت ، فلك أن تنصت  
 إلى ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رحالك وثاقلك في قلع  
 سفينتك شداً قوياً محكما ، فيربطوا ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ،  
 حتى لا يسبيك ما يُشغف أذنيك من غناء وشدو فلا ترضى إلا أن تنوى  
 بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد من سحر ما تسمع وطلبت إلى  
 رجالك أن يخلوا عنك لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وثاقلك أضعاف  
 ما فعلوا بك من قبل ... فإذا جُزِئتم تلك الجزيرة وغابت مناظرها عن  
 أبصاركم ، فلرجالك أن يطلقوا سراحك .. على أنني لا أدري أى السبل  
 ينبغي أن تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ، وأيسرهما  
 عناء وضر ، وإني واصفة لك كليهما ، وأدع لك كائنك أن يختار لك ...  
 إنكم بالغون في سبيلكم إلى صخور هائلة ناتئة في البحر ، تنكسر فوقها  
 أواذيه ، وترتطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه على أحيادها أمفترت  
 ( زوجة نبتيون ) الجبار . وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم  
 ( إراتيك ) وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن يقترب منها ، ولا  
 يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل طير أبينا چوڤ نفسه الذي يحمل إليه  
 غذاءه الإلهي المقدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم من سفر ؛ لما  
 يعلم من أنها مهلكة زلقة . ولم ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق  
 نتوئها وهوت إلى القاع بما حملت ، أو ابتلعها العواصف الهوج فغابت

حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سسمية جازت مهالك هذه الصخور  
إلا السمية ( أرجو ) التي حاطتها جوبو<sup>(١)</sup> برهايتها رحمة بجاسون وحمانا  
من لدن سميدة الأوب ، حين أفلعت من جزيرة إيايا ؛ وقوام تلك  
الصخور مضبتان شامختان شاهقتان ، تمثل إحداهما صنما هولة ضخما  
يضرب في السماء رَوْقِيَه وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التي  
لا يذيتها حريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تشر عليها أستعتها قط ...  
ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن  
يرق عليها أبدأ ، لأنها ملساء ناعمة كأما صقلتها يدا متال صناع .. وإن  
في سنده الغري لكهفاً سحيقاً نقر ثمة باسم إريوس<sup>(٢)</sup> ، وإني لأحذر  
أن تقترب منه حين تجوز به يا أودسيوس ، بل كن منجوة منه ، بعيداً  
بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على صرى سهم مرّاش من سميتك إلى  
وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيللا الخيفة التي تدوّى بصوتها وعوائها ،  
ويُفرق الناس والآلهة من وحها المسكّم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن  
لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل  
منها برأس كبير فظيع ، سلاح ثلاثة صفوف من أنياب حداد أصلها نابت  
وحشوها سم زعاف وهي ترض في غور كهفها السحيق ، بينما أروؤسها  
بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر  
ودواب الماء وجميع حيوان مملسكة امفترت ... وليس يجسر بحار أن يفخر بأنه  
نجا مرة من شرها فهي تنقص كالصاعقة على السفينة العائرة ، وتلتقم

(١) هي حيرا روج ريوس كبير الآلهة .

(٢) إله الطماء الذي نروح من أمه ( ليله ) .

بأفواهها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضا ... وتلقاء  
هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمى سهم يا أوديسيوس ، وقد نمت فوقها  
تيمة برية كبيرة ذات أفنان وعساليج حانيات فوق الماء ، وتحتها عين  
خارج بديس الحمئة التي يغيبض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتنبجه ثلاث  
مرات في اليوم . ويك أوديسيوس ! حذوا حذرکم ! فوالله إنكم إن  
دوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نتيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم  
وإني أرى أن تدوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيللا ستة منكم ، وهو  
خير لكم من أن تغرقوا جميعاً » وسكت سيرس ، وقلت أسألكم :  
« بحق الآلهة عليك يا ربة أن تخبري : أما أستطيع أن أقتذ رجالی  
المساكين من سكيللا إذا نجونا من خارج ديس ؟ » فقالت تجيبني : « أيها  
النعس ، أما تفتأ نحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إنه  
لا سلطان للآلهة نفسها على سكيللا ، وهي ليست مخلوقاً مما يجور عليه  
العناء ، بل هي غول سرمدى شديد المراس ، تنكس شديد الشراسة ،  
لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولذ منها بالهرار .  
وإياك أن تفكر في التسليح لها ، فهي لابد ملتقمة ستة من رجالكم ، وإذا  
حاولت مدافعتها فإنك منهم ! ! فإذا بعدت فاضرع إلى كرايس ، أم  
هذه الهولة التي هي إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا  
تتبعكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت ... وإنكم بالهون  
( تريناشيا ) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسنان : لميتيا وفيتوزا  
ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ، قطعان أيهما السبعة التي يشمل كل

منها خمسين شاة ذوات صوف ناصع كالثلج ... وكل هذه الشاة يرعى  
ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تشوفون لبلادكم ،  
وتعجرون شوقاً إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم  
إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالك أباديد . أما أنت ، فتنجوا  
بعد لآى وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً ! »

وتنفس الصبح الندى الرخي فذهبت تتبختر وتجرر أذيالها إلى  
قصرها اللئيف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجالى ، وأمرتهم فجروا  
السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ،  
وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هى إلا لحظة  
حتى أرسلت سيرس ، الربة المقدسة ، نسيماً رُحاءً كان خير رفيق لنا ،  
إذ كهانا عماء التجديف ، فتطرحنا في المركب ، واشتدت الريح في غير  
عصف فأسرعت بنا دِراً كا ... ثم كلمت رجالى وفي قلبى وجيب فقات :  
« أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ،  
فإيه سيات إن أفلتنا من العذاب أو تردينا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم  
على ما حبأنه المقادير لنا لتأخذوا حذرکم ، وتبرموا أمرکم ، ويكون كل  
على نفسه وكىلا . لقد حذرتنى أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات  
الشاديات وحلو تطريهين ، وأجازت لى وحدى أن أصغى إليهن ؛ بيد أنها  
أوصتنى أن أخبركم أن تشدوا وثاقى بأمتن الأمراس في سارية السفينة .  
ولا تطلقوا سراحى حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تخلوا عنى  
شدتكم وثاقى أكثر فأكثر ( هذا إن أردتم أن نكون بنجوة من الهلاك .

في تلك الأرض الملعونة ) « . وهكذا نهت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا بقرب من جزيرة السيرينات ، وعرفنا ذلك لما هدت الرياح فحاة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء ، حولنا ، كأنما مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرطب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتع تحتها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قِدر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قومته راحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجالى واحداً فواحداً . واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاقى في شراع السفينة شداً محكما ، وجلس كل إلى مجذاه ، وانسربت الفلك في المساء تشقه وتجرحر فيه .. وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنين هكذا :

« أودسيوس أيها الزعيم ! يا من لهج بذكره كل لسان »

« ألقى في جزيرتنا مراسيك يا فخر اليونان »

« تلتث عندنا أيها العزيز وشنف أذنيك بأغانيتنا »

« فما من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يترود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »

« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »

« ما خضت من معمعان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ،

وما اتى قومك في كل مكان »

« تعال تعال .. هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع العدارى يسكنن إرباننن الجليل فى قلبى ، ركأنا كن  
ينعنن فىه السحر فىصغى وىصغى وتلح علىه الرغبه فى الإصعاء ، ورحت  
أنا أضرع إلى قومى أن يفكوا قيودى ويطلقوا سراحى ويخلوا يدي و بين  
السيرينات المطربات ، فلم يسمعوا لإشارتى ولم يستجيبوا لتوسلاتى ، بل هب  
يوريلوخوس و پرميدىس فصاعفوا أعالى وشدوا على حبالى . ثم بعدنا ..  
وظللنا نبعء ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات  
شى ، نهض رجالى فأرالوا ما كنت قد جعلته فى آذانهم من الشمع ،  
ثم عمدوا إلى فأطلقوا سراحى ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت فى ظلام  
البعء موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخانا كثيفاً ينعقد  
فى الجو ، ثم إذا بى أسمع رعداً قاصفاً يصم الآذان ! وقد ذهل رجالى عن  
أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تعد تجددهم نفعاً ، ووقفت  
السفينة كأنها الأرجوحة على رأس الموج ؛ وذهبت أنا أشجعهم رحلا فرجلا :  
« أيها الرفاق ! ها نحن نلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد  
هولا من مصيبتنا يوم حبسنا السكلوب فى كهفه السحيق ، وكيف احتلت  
لمرارنا من وجهه ؛ وسيأتى يوم نذكر تلك الشدة المماجئة بمثل النبطه التى  
نذكر بها الشدائد السوالف ... هلموا إذن فاثبتوا فى أما كنكم ، واصمدوا  
لهذا الالج المصطخب ، واضربوا فيه فى جلد وصبر ، عسى أن يكلائكم  
چوف ربكم فىنجيكم منه . وأت أيها الرمان أصغ إلى ، إنك تقبض  
على ناصية الحال فتعاش أن تقترب من هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة  
إبتعد ما استطعت عنها ، وحذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف

بنا في حمأة الخطر .. « وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقلوا في مجاهدة الأمواج استقتالا ... وتسليحت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجعلت في يدي رحين طويلين ، ووقفت أرقب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقا فيهرجوا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يمسمهم منها أذى .. وشرعنا نعب البوغاز ، . . ولشد ما أفزعنى أن أرى سكيلا ترمقا وتماظ ، وقد انتصبت كالوت على الشاطئ القريب ، ثم أرى في الوقت نفسه خاربديس على الشاطئ الآخر تحشرج في حلقة الرحب الفظيع عباب الماء ثم تمجه ، فكأثما تقذف من جوفها ماء فائرا يعلو في الجو كالجميم ، ثم ينهمر وبله في كل فج ، وتعود فيفيض في البحر من بلعوها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك . . يا للروع ، ويا للفرع الأكبر ! تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خاربديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ثم ترسل رؤسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وأسفاه أشجعهم جميعا ، وكان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بي وينادونى باسمي وأنا كالذى أسقط في يديه ، ما أستطيع شيئا فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويُعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أفعل شيئا آخر ! واحزناء ! ما كان أشبه سكيلا المتوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ، حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل تترج هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللعينة التى جذبت إلى كهفها أشجع



رجالاً وزاحات تقعات بهم بين الصراخ والبكاء ، وبين التوجع والأنين ،  
وكلهم يمد إلى ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس !! أبداً ما وقعت  
عيناي في جميع مخاطراتي ، على منظر أبعث الأسي ، وأمض للنفس ،  
وأجرح للعواد ، من ذلك المنظر الرهيب !

وما كدنا نفلت من سكيلا وخاربديس بعد تلك المفاجعة حتى  
اقتربنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيريون<sup>(١)</sup> الجميلة  
الكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغاءها ورغاءها إذ أنا  
على ظهر سمينتي في عرض البحر. وسرعان ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطيبي  
الأعمى ، تيرزياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أذرتني به سيرس  
سيدة إيايا من وجوب الاعتماد على هذه الجزيرة التي كانت منذ الأبد  
غواية البشر ، حتى قت في رجالي فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق  
اسمعوا : هذه هي جزيرة الشمس المائلة التي حذرنا تيرزياس الكاهن  
الطيبي من الرسوبها أو الاقتراب منها . وكذلك حذرتني منها سيرس  
ربة إيايا ، فإن كان ما لقينا من أهوال ليس شيئاً إلى الهول الذي يحيق  
بنا إذا حللنا بها . فاسمعوا نصحي وسيروا بنا نذرع هذا البحر نسلم من شر  
مستطير ، وبلاء لا يجيرنا منه بحير » وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول ،  
وما كدت أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة وضيق :  
« أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد  
جلدك ! أمحلق أنت من حديد فما ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي  
بعضها أنه أحد سواس عربها .

الموهوبين المكشوفين أن يرسوا هذه الجزيرة الفيحاء المشعة ليرى عوا مما  
 بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بنزقك  
 وقلة نصرك نحمط طول الليل في هذا البحر الأجاج حبط عشواء مع  
 ما تكون الريح عليه حيثئذ من شدة وعنف ؟ خبرنا أيها الأحق ماذا  
 نصنع إذا عصمت بنا تكباء من الجنوب تحطم فلكنا ولا ينجبنا من  
 بطشها أحد حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو في هذه الجزيرة فتعفى  
 بها نيلنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقبلنا منها على هدى ؟ ! » .

وحمد الملاحون ما قال ، فدار في حلدى أن لا بد مما ليس منه بد ،  
 وأن لا بد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا خير  
 يا يوريلوخوس ! وليس بى من بأس أن أحصع لما ترى الجماعة ؛ واسكن  
 تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم ألا تذبحوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من  
 هذه القطعان ، مهما ألح عليكم السَّعَبُ ، وأضواكم الجوع ... بل يكون  
 حسبكم ما حملتم من آكالٍ من عند سيرس » .

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم يعموا بالملك في جون هادىء  
 ترتفع في وسطه نافورة رائعة ؛ فأرسوا ثمّ وتدققوا الشاطئ ، وراحوا  
 يعدون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان ما نسوا مسغبتهم حين تذكروا  
 إخوانهم الذين غاتهم سكيللا ، وراحت تغذى بهم أمام كهفها السحيق  
 فأخذوا ييكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى غلبهم الدعاس ، فناموا ...  
 وفي الهزيع الثالث من الليل ؛ حين عبرت النجوم فكانت في كبد  
 السماء ، ساق جوف رب السحاب الثقيل ريحاً جابت البر والبحر ،

وغمرتهما بماء مهمر ، ثم عقد في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدحج بعضها في بعض .. ثم أشرقت أورورا الوردية ، فنهضنا من مراقدنا ، وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر يرقصن به أو يستروحن فيه ؛ وما كاد شملنا يجتمع ثمة حتى نهضت في رجالي أقول : « أيها الرفاق إننا ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فمعنا من ذلك الشيء الكثير ، فإياكم أن تمسوا هذه القطعان بأذى ؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أينما كنتم » وهكذا أيقظت في نفوسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في هذه الجزيرة شهراً ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛ ذلك لأن الدبور<sup>(١)</sup> ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفاً . لم يمسا قطعان الجزيرة السائمة بأذى ما دام لم ينفذ ما كان معهم من طعام . فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر ، أما أنا فكنت أجوس خلال الجزيرة غشى أن ألقى إلهاً أصرع إليه فيجعل لنا من أمرنا مخرجاً .. وبينما أنا أحوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً عن رفاقي ، فدا لي أن أسكن إلى منعطف دافئ هادي على سيف البحر ، فأغسل<sup>(٢)</sup> يدي مما علق بهما من قدر ، ثم جلست أصلي للآلهة ، وأدعو واحداً بعد واحد أن تهين لنا من شدتنا مرفقاً ، ولسكنها جميعاً — وأسفاه — أصمت آذانها عن دعائي ، ثم أرسلت على طائفاً من الكرى ... فذمت نوماً عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التعس يوسوس إلى رفاقه فيقول : « أيها

(١) ريح الجنوب ضد العسا

(٢) كان غسل اليدين كالوصوء عندما شرماً لا تصبح الصلاة اليونانية بدونها .

الأحلاء : أما أحوكم في البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أستمع من الموت إلى النفس ، ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف منها الإنسان ... هلموا ... لنذبح من هذا الشاء والنعم ، ولنضج الآلهة أضخم ثيران الشمس ، ولنسذر أن نبنى للرب المبارك هيبريون هيكلًا عظيمًا حالما يصل سالمين إلى إيثاكا ، ولنسذر أيضًا أن نجعل في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الإله ويكفر عن سيئاتنا . أما إذا آثر أن يغرق فليسكننا وتضافرت معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد من قطعانه ، فإني أول من يجاهر بقبول الموت مرة واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت هذا الموت البطيء جوعاً ١ » ويزين لهم ما قال ، فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب قريباً منهم ، ثم أطعموها أنفصر أوراق الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير ، ثم صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم سلبوها ، وفصلوا الأنفاذ والشحم ، وقذفوها إلى النار مقدمة للآلهة وقرباناً .. ولم يكن معهم خمر ليقدموا بها الشعائر القدسية ، فقذفوا في النار بدلاً منها ماء قراحاً ... وجلسوا بعد هذا يعدون شواءهم من الحوايا<sup>(١)</sup> والكبد وما إلى ذلك مما في جوف البهيمة ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا في مراقدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت لأنطلق في طريق صوبهم . وما كدت أشرف عليهم حتى ملأ خياشيمي قنار<sup>(٢)</sup> ما فعلوا ، فوجت وجوماً شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل وضرعت إلى الآلهة وطلت أقول . « أهكذا

(١) الامعاء

(٢) ربح الشواء .

يا أرباب السماء تاتقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل أصحابي .  
 ما فعلوا إذ أنا أخط في نوم عميق ؟ » . وطارت لميتيا بالخبر المشؤم إلى  
 إله الشمس فثار ثائرة وطلق بصخب ويهتف بالآلهة ويقول : « يا خوف  
 العلي ، وأنت يا آلهة السموات ! إثاري لما فعل السفهاء من رجال أوديسيوس .  
 لقد احتراؤ فجزروا من نعمي وشأني التي هي بهجتي وأنسى والتي أرمقها  
 أبداً من علياء السماء ؛ فإن لم تلتقي لي فوعزتي لأهبطن بشمسي إلى  
 إلى هيدز فأنير آفاقها وأصفي أضوائى على الأشباح ثمة ( وأدع هذا العالم  
 المشرق الجليل يضرب في دياجير ما مثلها دياجير » . وأحابه رب السحاب  
 الثقال فقال : « يا إله الشمس على هيئتك ؛ بل ظل مشرقاً على بني  
 الموتى الدائبين في تلك الأرض ، وإني مسخر صواعقي على سفينتهم في  
 ملح العصر فتذهب بها وبهم أباديد » ... أما من أحبرني هذا فقد حدث  
 به هرمز رسول الآلهة . ثم وقعت فبهم أتهمهم وأنى عليهم ، ولسكن ...  
 وأسفاه ! أى اتهار وأى نى وقد سبق السيف العذل ؟ ! ثم حدثت  
 المعجزة !! وبدأت السماء تشهد آياتها فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض  
 وزحمت بحونا ثم سمعنا مضغ اللحم الغريض سواء ما ظل منها دون أن  
 يمس وماعلق منها بالسفافيد ، وقد أرسل ثغاء وخواراً كأنها لا تزال على قيد  
 الحياة . . . وهكذا ظل رفاقي يجزرون كل ثور حنيذ من ماشية إله الشمس  
 ويقتذون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع أمر خوف  
 العاصفة همدأت ، والبحر فتطم من ، فأهرعنا إلى الفلك فأنزلناها في اليم ،  
 ونشرنا الشراع ، وأقلعنا حيث لا ندرى ماذا يراد بنا ! ! ثم غابت الأرض

عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا وعن شمائلنا وآياتنا ...  
ثم السماء من فوقنا ... ثم شرع زفيروس<sup>(١)</sup> يهب ويهب ، ويقبل  
الاج من حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحا عاصفاً هوجاء ، كسرت  
قلاعنا وحطمت سكاننا ، وذهبت بقلب الربان المسكين فلم يعد له صدر  
ولا جلد ... ثم سلط علينا جوف صواعقه فقصمنا ، وحطم سفينتنا فترنحت  
أول الأمر ، ثم عاصت إلى الأعماق ، وطفونا على سطح البحر الغاضب  
بلا أدنى أمل في أى شيء ، بله العودة إلى بلادنا ... ولقد كنت أرقب حطام  
الفلك يطفو معنا ويغوص ، حتى عنى أن أعلق بالهراب القريب منى ،  
فطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجعلته لى ثماماً لصقت به ، بينا  
نامت الشمال لسوء حظى ، وأخذت الجنوب تهب فى غفوان وبأس ،  
وتدفعنى بقسوة وقوة حتى خيل لى أنها ستنتهى بى إلى عين خاربديس  
الحمئة ... يا للهول ! لقد مضى على ليل أياما ليل ... حتى إذا أشرقت ذكاء ،  
رأيتنى ويا للأسف عند صخرة سكيلا ، وعلى مسافة من عين خاربديس .  
ولحسن حظى كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ ... ثم دفعتنى  
موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية  
فوق صخرتها ، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكننى أن أهبط أو أن  
أتسلق اعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتمتد من حولى ، ولأنها  
كانت تعرش من فوق خاربديس ، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عندما  
كنت أبصر تحتى فأرى العين الحمئة الملعونة تبتلع الموجة إثر الموجة ؛ ثم

---

(١) إله العوا .

رأيت الهرب وقطعة الشراع التي كنت عالقاََ بهما ينفذان محوها ويكوانان  
تحتي فطربت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى ربيع قلبي ووهنت قواي ؛  
وغمرني شعور الذي انفرجت أزمته ، وكشفت عنه غمته ، فهو يت إلى الماء ،  
وتعلقت بهما بقبضتين مستميتتين .. ويلاه عليّ !! أواه ! لو لمحتني سكيللا  
الهائلة طافياً هنالك ؛ إذن ما استطاع إنقاذي رب الأرباب نفسه من  
مخالها وأنيابها !! ثم بقيت هكذا تسعة أيام بلياليها . يصرعني البحر  
وأصرعه ، ويناضلني الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة لحالي فساقفني في  
العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس الماء كلييسو ، فرسوت ثمة في ليلة  
ليلاء ، مظلمة طغياء ... وقد نالني من كرم العروس وجميل معروفها ما رد  
إلى قواي ، وأثابني عما لقيت من شقوة وأرزاء ...

ولكن لم هذا ؟ لقد سمعتم قصتي مع كلييسو من قبل ، إذ رويتها  
الملاك ولزوجه أمس ، ولاني لأكره الحديث المعاد .



## أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظللي  
مسهوهين مشدوهين من روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى  
تكلم الملك فقال : « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفنا بالك وطاب حالك  
واستذريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أذى  
بعد اليوم ، وإن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ،  
وإن يكن مثلك لا يبالي الحدثان ، ولا يأبه لصروف الزمان ، بعد إذ رضع  
لبانها ، وتقلب طويلا في أحضانها .. وإبه والله ليس أحب إلينا من أن  
تقيم آخر الدهر عندنا فتتجسسى معنا من أكرم هذه الخمر وتشف أذنك  
بما يتغنى مطربا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه  
أذخار الهدايا وأعز اللهى ، من مطارف الذيباج ، ومكنون الذهب  
الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا معاشر الفياشين فليحضر كل  
منكم للنازح الكرم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أحل التحف ،  
ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب في هذا ،  
ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها <sup>(١)</sup> » .

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشين ؛ ثم  
نهضوا فتفرقوا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بطيب المنام ؛

---

(١) في الأصل : إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب لسداد الثمن ولا بدري  
كيف يسير ملك أن يقول ذلك



ونفرت أورورا ابنة الفجر جبين المشرق بأفواف الورد وهب الزعماء  
العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف الملك .  
وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيديه  
فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدين حتى تكون بدرجة من ضرر  
يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله  
من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع  
الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع العاحرة وقد قرب إلى جوف الكبير  
المتعال ، رب الأرباب ورب السحاب الثقيل ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد  
من غذيه شواء شهى أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون<sup>(١)</sup> ، بينما  
يسكب في آذانهم غناء ديمودوكوس مطربهم الخدق الحبيب . وكان  
أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى  
خدرها ، وكان يصجره منها جريانها الوثيد ، فهو دائماً يرقب مغيبها بعيني  
الزارع الشقي الجوعان الذي أجهدته طول النصب في حرث حقله ، فعلق  
بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة في المغرب ليلوى أعنة بهائم إلى  
كوحه ، وليتبلغ هناك بلقيات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه  
الخطاب لزعماء الفياشيين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل  
ألكينوس ! يا نحر شيرا وعماد الفياشيين ! تمهيت لو أدبت الصلاة الخيرية  
يا مولاي وتفصلت فأذنت لي في وداعكم ، ما دمت قد أعددت لي الهدايا  
واللهي ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأضرع

إلى الآلهة أن ترعى فى رحلتى فى اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها  
آلى وعشيرتى سالمين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاكم وأن تقر  
أعينكم جميعاً بذويكم ، وأن تفىء عليكم من نعمائها ، وتحفظ بلادكم من  
عاديات الزمان وملهمات الحدثان » وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا  
الملك أن يأذن له فى السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم  
يا بُنْتُون فأدهق الزق واحمل الخمر إلى جميع أضيافنا ليريقوها خالصة لوجه  
سيد الأولب ، كي نتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولجى المشير ،  
وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى المملكة  
المجاعة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً  
يا مولاتى للملكة أحر الوداع ! وداعاً إلى آخر العمر ! وليكن عمراً موفوراً  
مُخْفَرَجاً تقرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبنائك المحبوبين  
وتسعبك » وحيّاً وبيّاً ، ثم أهرع إلى المرفأ ومشير الملك يسعى بين يديه ،  
وثلاث من وصيفات الملكة يتهادين فى إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل  
الثوب الديباجى الموشى ؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين  
ذا الأذكار ؛ وحملت الثالثة مثونة حافلة من أسهى الآ كال وأطيب  
الشراب ... حتى إذا كن عند السعينة ، سلبن ما حملن الملاحين الشجعان  
وانثنين من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد فراش وثير  
فى قرة خلعية من أجل أوديسيوس ... الذى آوى إلى منامته واستغرق  
ثمة فى سبات لذيذ ، بينما كان الملاحون دائبين فى فك الحبال ورفع  
المرساة من صخور الشاطئ ، حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا

وبها أيديهم ، فهمت الغلاك واحتواها الماء ، وأقلعت تشق الأمواج ،  
وتأخذ سبيلها في البحر سرباً ... هذا بينما كان النائم البريء قد امتسك  
لحائف من الكرى يشبه ظائف المنون .

وعمر ك الله هل رأيت أربعاً من صافات الجياد قنبارى في حلبة ،  
وقد أذن المؤذن فاندفعت تنهب الرحب ، وأرسلت في الهواء أعرافها ؟  
أمد كانت السفينة تتوالب على أعراف الموج مثلها ، والعباب الزاخر  
يصطخب من ورائها ، واللجة من بعد اللجة تجبى وتضطرب تحتها ،  
كأنما تتحدى اليم في طمأنينة وثبات ، أو تسابق في الجوابواشق  
البنزة ! وكيف لا ، وقد حملت رجلاً لا كالرجال ، وبطلاً بـ الأبطال ،  
وحكماً ترمياً<sup>(١)</sup> للآلهة في المكرمات وعظيم العمال ، وقرناً ليس كمثل  
قرن في يوم كريمة أو نزال ؛ لم يخف من قبل هذه الغفوة الناعمة التي  
باعدت بينه وبين ما نجشم من آلام وأحزان وأتجان ...

وتلألأت في الأفق الشرق نجمة العجر الصادق ، حينما كانت الغلاك  
قبالة الأرض الموعودة ... إيتاكا ... بعد إذ أتمت رحلتها الخاطفة في  
جنبح الليل ... وهناك في شاطئ المدينة ، أنشئ مرفأ أمين نامم  
فورسير رب الأعماق يُدخل إليه بين حازى أمواج ممتدين على مدى  
الجون الجميل ، بين ذراعى الميلاء ، فما تستطيع ربح أن تعبت بما فيه من  
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ وامتدت امتداداً هائلاً  
إلى كهف حريز تأوى إليه طائفة من عرائس البحار يقال لها القياد .

(١) التوب بالكسر اللدة أو المشبه

وثمة ، أى فى هذا الكهف للقدس ، صفت أباريق من حجر وحرار كثيرة ، يأتى النحل فيودع فيها شهبه ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن عرائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدى إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس يضربون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس .

ويم البحارة بفلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا فيه ، وجنحت السفينة بنصف حيزومها على رماله ... وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقفوه ، ووسدوه على فراش<sup>(١)</sup> وطأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل متاعه وأذخاره فجعلوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة ، حتى لا يعث بها عيار إذ هو مستغرق فى نومه العميق ... وركبوا الملك بعد هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا . . وأحس نبتيون الجبار رب البحار وعدو أديسيوس الأكبر بما فعل الفياشيون فثار ثأره وقال يعتب على زيوس : « أيها الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأتوا أن يحقرونى أو يبالوا بى ، فقد كنت عوات على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكنهم حملوه على فلصكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه إلى

(١) فى نسخة أنهم حملوه بفراشه

الشاطئ، الإيتاكي بما معه من المطايا والأذكار، وطُرف المدحس،  
وتحف النضار، ومطارف الديباج، وما حل من كنوز لم يكن يحمل  
شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة! وا أسفاه! «  
وقال يحبيه رب السحاب الثقيل: « ماذا تقول يا مزلزل الشيطان والخالجان  
يا ذا الملكوت والجبروت، يا أيها العظيم نتيون؟! لا عليك يا أخى!  
لا عليك، فإنه إن تحقرك الآلهة ولن تستخف بك! فإذا استخف بك  
ملاً ضعيف من نبي الموتى — عبادنا الشر — فما يصيرك؟ أنيس في  
يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم؟ أربيع عليك يا نبتيون،  
وصِلْ ملاذك، فانك لست عبداً لأحد» قال نبتيون: « جوف يارب  
السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت، ولكني  
لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق، وإني أرجو أن أعصف  
بسفينتهم في دأمانى اللجى حتى لا يحملوا ضارباً في البر والبحر مثل  
أوديسيوس مرة أخرى، وإني مقتف آثارهم الآن، مضارب فلسكهم  
اللعين، فساحره في الحال إلى طود عظيم ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى  
ليحبسها عن كل سارب في البحر فلا يراها أحد أبداً! » فقال جوف  
يحبيه: « هلم يا أخى فاصنع ما بدالك، وافعل فعلتك التي رسمت،  
وليسكن ذلك حينما يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل  
بسفينتهم لتكون لهم آية! ». وانطلق مزلزل الأعماق في أثر الفياشين  
حتى إذا كانوا فاب قوسين من الشاطئ أرسل يده تحت فلسكهم  
فضربها ضربة هائلة أرسلتها في الهواء وهوت بها إلى اللج، ثم تركت

مكانها جملاً عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ملسكه الرحب .

ووقف العياشيون — ملوك البحار — على شاطئ البحر مسبوهين دهشين يسأل بعضهم بعضاً : من ذا الذى أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العائرة في اليم ؟ والتفت الملك وكان واقفاً بينهم فقال : « يا الآلهة ! لقد ذكرت نبوءة قصها على والدى فيما غير من الزمان ... فلقد ذكر لي أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن يحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تناءت . وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستغرق في اليم ويبسق مكانها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر .. وها قد تحققت النبوءة ، فها هموا قرب الإله البحار نبتيون باثنى عشر رجلاً جسداً تسكون أعظم عجولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرثى لنا فيكشف عنا هذه النعمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا هذا الطود الكبير الراسى » وتوزع زعماء الفياشيين ، وبادروا إلى عجولهم فجزروها باسم نبتيون ، وتككبوا حول مذبحه فصلوا له ، وسبحوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد هب من نومه وهو لا يدري أين هو ؛ ومع أنه كان ينام ألد النوم فوق شاطئ بلاده ، فإنه لم يعرفها لطول ما شطت به النوى ولأن مينرفا الكريمة ، سلبلة جوف العظيم ، كانت قد أقت حوله ظلالاً تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل أن تلقذه من حكمتها ما هو ضرورى له في حالته هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه ولا من أصدقائه

وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى بأعشاق الفساق الذين استباحوا  
عرضه واستحلوا بغير الحق زاده وخيره ، وعمروا كالشياطين داره . لذلك  
موهت مينرفا كل شيء في عيني أوديسيوس ، فالطرق مستقيمة مستطيلة والوادي  
رحبة مترامية ، والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح يسطو على الجوزاء ، وكل شيء  
ليس مما عهد البطل في بلاده ... ووقف يقلب عينيه في المشاهد المحدقة به ،  
ثم تهاد من أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في برم على  
نخذه ، وأنشأ يقول : « ويلاه على وألف ويل ! أي شعب من الشعوب  
يقيم بهذه الأرض يا ترى ؟ أجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخيار يحببتون  
الآلهة ؟ ليت شعري أين أخبي هذه الكنوز والأحراز ؟ وحي ! بل أيان  
أذهب أنا ؟ لعمري لقد كنت أوتر ألا أنال شيئاً منها من هؤلاء العياشين  
على أن أكون قد حلت بأرض ذي نخوة وذى نخوة من ملوك الأرض  
غير ألكينوس هذا ، مكان يرسلني آمناً سالماً إلى بلادى ! ماذا أصنع  
يا ربى ؟ أترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أدعها فريسة حلالا لغيرى من  
الناس ، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى ؟ وا أسفاه ! أهكذا يغربى  
بيلقونى في شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا بى صرماً  
إيثاكا الأمين ؟ اللهم يا خوف العظيم ، يا من إليه يجأر أبناء السبيل  
والمهاجرون والمساكين ؛ أنتقم لى يارب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلين !  
ولكن ... يجدر بى قبل كل شيء أن أحصى أذخارى لأرى هل سلمنى  
منها هؤلاء اللصوص شيئاً ؟ » ثم راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئاً  
منها ناقصاً أو غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب حظه ،

ويبكي على ما أتى من زمانه ، وينشج نسيجاً مؤلماً لهذه الهجرة الظالمة  
عن أوطانه، وجعل بروح ويغذو على سيف البحر المضطرب، وحيداً مُعَنَّى،  
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آحر الأمر مينرقاً في صورة راع صغير  
غص الأهاب عجب الثياب جميل الحياء ، كأناء الملوك ، ملتفعاً حول  
عنقه ومن فوق صدره بشفيف<sup>(١)</sup> صهيق طوى حولها طيتين وفي قدميه  
نعلان متواضعتان ، وفي قمضته حريرة ناعمة لامعة . وكانت مفاجأة  
سارة فوجيء بها أوديسيوس نخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :  
« مرحباً أيها الغرائق الجميل ! لقد كنت أول إنسى ألقاها هنا ، فبحق  
هذا عليك أن تحمينى وتحمى أذخارى هذه ، وألا تلحق بأينا أدى !  
إلى أتوسل إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقنى فيما  
أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون فيها ؟ أهى جزيرة آهلة ،  
أم حدور من بلاد مترامية ؟ أخبرنى بأربابك أيها الفتى . »

وقالت مينرقا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه : « أيها الغريب  
اللاجئ كم أنت ساذج ! كيف تسأل عن هذه البلاد كأنك لست من  
أهلها ؟ إنها بلاد ذات ذكر فى المشارق والمغارب ، ومنها وإليها تصدر  
الركبان إلى كل فج ، ثم هى ليست يهماء مجهولة ، بل هى جنة مأهولة ،  
زاخرة الخيرات موفرة البركات ، ففيها أنصر سهول القمح ، وأبهج  
عرائش الكروم ، وأخصب المراعى الخضر الحافلة بقطعان النعم والشاء ؛  
تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون ... هذه يا رجل إيثاكا ... إيثاكا

(١) الثوب الرقيق .



التي استطالت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملأ الحافين ،  
وجاوز طرودة ذات الحد ، التي لا تبعد شطآنها من أخايا .

وتساع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع الراعي الجليل يؤكد في  
لهجة قاطعة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما  
رأى من زهو الشاب وافتخاره بها . بيد أنه مع ذاك راح يتجاهل ،  
ويُئذي عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يخدع المعنى عن نفسه ،  
وما يخدع إلا نفسه هو .. قال : « أجل .. لقد سمعت عن إيثاكا في  
أقصى البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم  
بعتادي هذا ، تاركاً فيها أبنائي وذوي رحى ، فاراً بنمسي من الفعلة  
الهائلة التي فعلت .. يا ويح لي ! ! لقد قتلت العداء المعروف أرسيلو بن  
أيدومين العظيم الذي لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد . لقد خدثته  
نمسه أن يسلبني ما غنمت من كنوز طرودة وأسلابها وما حصلت عليها  
إلا بعد قتال شديد وظلي جرب ، وركوب أهوال في ذلك اليم ... وذاك  
لأنني أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً  
من الجند فظمرت وانتصرت ، فكبرت عليه هذا ، وحفظها لي ، وأضمر  
في نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقني  
كنوزي ، فأقصده <sup>(١)</sup> رمحي فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبحته ،  
واستعنت عليهما بدجي الليل ودُجَّتته ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام  
بأحرازي إلى الشاطئ ، حيث حملتني سفينة بياشية رجوت ملاحها أن  
يجروا بي إلى شاطئ بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم وأسفاه

اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحاً عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا  
برغمنا في جنح الليل البهيم ، ونقينا عناء عظيماً في النزول بالمرؤا الأمين ؛  
ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركوني وحدي ،  
وأبحروا على عجل ، بعد إذ تمت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا  
إلى هنا متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ... وهأنذا وحدي  
هنا ، لا أعرف أيا ن أذهب ، ولا أين أمضي !! » .

وسكت أوديسيوس ... ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ ينحول  
في فتون وسحر إلى صورة حلابة أخرى .. لقد أصبح امرأة حسناء  
هيما ... وها هي ذى ... تلك المرأة الحسنة الهيفاء ... تبدو في صورة  
مينرفا — ربة الحكمة — التي اقتربت من البطل في تبسم وظرف ،  
وأخذت تعبت بلحيته الكثة الشعاء في دلال وسخرية ، وراحت  
بدورها تجيبه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى !! ما أحسب  
أن أحداً — أحداً من الآلهة — يفوقك في مكرك وراعة حيلتك  
يا ابن ليرتيس !! أما أن تقلع عن سراوغاتك التي حذقتها مذكنت يافعا  
وعن توشية الأحاديث الملفقة التي حذقتها واشتهرت بها في العالمين ؟ !  
ولكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، مكلانا  
بارع في ذلك صناع ... أنت بمصاحتك . ودقة فهمك وطريف حيلتك  
بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة تدبيرى بين الآلهة ... وما أحسبك تجهل  
مينرفا ابنة جوف الأكبر ، التي كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق  
بك من مكروه ... فقد كنت أقذف الشجاعة في قلبك في مواقف شدتك .

كما كنت أثير الحمية في أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا ، وهأنذا طويت إليك فدافد الرحب لأخاؤ ساعة بك ، ولأن لي حديث نصح معك ، بودى أن أمحضك إياه ... وقبل هذا ينبني أن تحبى كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتى ... ثم إنى محدثتك عما يتحيفك من أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتى أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ، رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيثاكا وحيدا شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت به يد إليك » . وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يده : « لله درك يا ربة ! ما أبرعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكيل في أى صورة شئت ! بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعهدى بك دائماً ؛ ألا كم نصرت أبطال أخايا المداويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولسكنى لن أنسى منذ أقبلع أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تظهري لنا قط ، ولم تبادرى مرة إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بى والتي كنت أحتملها بقلب جديد ، وصبر شديد ، حتى رثت الآلهة لحالى فجعلت لى منها مخرجاً وأنقذتنى إلى بر فياشيا ، حيث أثرت فى صدرى النخوة ، وأوليتنى الشجاعة ؛ وكنت دائماً دليلى ورائدى .. ولكن ... أصدقينى بأبيك يا ابنة جوف ، هل وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا فى صقع سحيق عنها وإنما أنت تسخرين منى وتعبثن بى ؟ أصدقينى بأبيك يا ربة ، هل هذه

بلادى العزيزة إيشاكا ؟ هل هى حقاً ؟ » وفالت ذات العينين الزبرجديتين  
 تجيبه : « دائماً حَذِرْ يا أوديسوس ، وإلى الأبد يملأ الوسواس صدرك ،  
 رغم ما أوتيت من حكمة وتبيان ورجاحة فكر وسلامة جنان ! بيد أنك  
 معذور يا صاح ، إذ أى رجل يتشوف لرؤية زوجه وأبائه ولا يتحرق  
 شوقاً للقيام ، بعد هذا النوى الطويل ، والبعد الممص ، والأنهوال الجسام  
 الجمة ؟ غير أنه أفصل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شىء حتى تلمس  
 بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة الوفية المخلصة التى  
 ذهب شبابها عليك حسرات ، والتى ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل  
 وأطراف النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة . إني  
 لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم أنك راجع دون ما ريب  
 إلى بلادك ، وإن فقدت كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشق ...  
 غير أننى أشفقت أن أثير حنق نبتيون ، عمى وشقيق أبى ، الذى يحز الأسى فى  
 قلبه من فعلتك التى فعلت بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هلم ... إني  
 سأقطع شكك باليقين ، وسأدلك على علائم تؤكد لك أنك فى إيشاكا ...  
 فهذه هى ميناء فورسير حكيم البحار ، وهى الزيتونة الكبرى عند رأس  
 المرفأ وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى تأوى إليه  
 عرائس البحر المعروفة باسم الفياذ ، وقد طالما كنت تجزر القرايين والأصاحى  
 باسمهن عند وصيده ، وهالك جبل نيريتوس وأولئك غاباته الشجراء ... »  
 ثم رفعت ربة الحكمة الغشاوة عن عينيها فعرف دياره ولم ينكر شيئاً منها ،  
 وهكذا شاءت العناية أن يشهد البطل المكدود بلاد الحبيبة مرة أخرى ،

وهكذا خراً أديسيوس جاثياً يقبل ترى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى لعرائس الماء كسابق دأبه : « يا عرائس البحر ، يا بنات جوف الأعظم ، لقد قنطت قبل هذا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف ندر وألف تحية وسلام ... وآكن القرايب الغوالى إذا مدت أختكن — مينرقا الحكيمة — فى أيامى وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامى » .

وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أديسيوس لا طائل لهذه الوسوس التى تعذبك ! هلم ! البدار ، البدار ! لنحجى هذه الكنوز فى أغوار ذلك الكهف السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث ، ثم هلم أدر الأمر معك » وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف تتكشفه بينما حمل أديسيوس أذخاره فوضعها حيث أشارت مينرقا ، ثم حملت بيديها الجبارتين صخراً عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند أصل زيتونة باسقة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكمان التدبير لهلاك العشاق الفساق المعاميد ، فقالت مينرقا : « أديسيوس ، يا ابن ليرتيس الحجيد ، هلم وأعمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبديد بها أعدائك الذين لا يستحيون ، أولئك العشاق الذين استبدوا بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا حماك ، وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها بالرهود ، وبزخرفون لها الأمانى ، ويعساون لها كلمة الفسق ، وهى ما تزداد إليك إلا تحرقاً ، وما ترقأ دموعها من أجلك ، فتحتال لهم ، وتعد هذا وتوشى التى لئلا ، معلة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً » واستعبر أديسيوس قليلاً وقال : « أوه ! كأن القضاء الذى أسكت نامة أجامنون يكاد

يحيق بي أنا الآخر في صميم داري ! ولكن .. وى ! اضرع إليك أيتها  
الربة أن تشيرى على وتنصحي لى وتلقينى كيف أثار من هؤلاء الطغاة ؛  
وأتوسل إليك أن تقذفى فى قلبى الشجاعة كما قذفتها فيه تحت أسوار طروادة ،  
فإنى بعونك أدوخ المئين من أهدأى ، وما دامت يدك فوق يدى ، فإنى  
مستأصل شأفتهم جميعاً » قالت مينرقا : « اطمئن يا أودسيوس ، فسأكون  
معك وإن لم يمتد إلى طرفك حتى تغتالمهم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس  
أكثرهم على أرض قصرِكَ ... ولكن تعال ، ألق باللك إلى ، إنى سأغير  
من هورتك ، وأحور من شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد ؛ فهاتان  
الوفرتان <sup>(١)</sup> تستطيلان حتى تغطيا كتفيك وحتى تتصلا باللمة <sup>(٢)</sup> ، وسأدرك  
بدثار مرقع رث يشير التقرز فى نفوسهم فلا يمدون أبصارهم إليك ،  
وسأحدث أوراماً حول عينيك تزيد فى تفكرِكَ ، حتى ليحسب من  
يرى إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين الذين لا يفتأون  
يضربون فى الأرض ... على أنه ينبغى أن تلقى راعيك الأمين ( إيبومايوس )  
الرجل الوفى الذى لا يزال يخلص لك ، وينى لابنك ، ويؤثر بأصنى وده  
زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل كوراكس المطل على نبع أريشوزا ،  
تجد قطعانك ترعى العشب الحلوة ، وتسقى من السلسبيل المجاور ؛ وتجد  
راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه واجلس إليه ، واسأله عن  
كل ما ترى أن تعرف من أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى  
أعود إليك بابنك من أسبرطة ... إبنك تليماك الذى ذهب يذرع الرحب

· (١-٢) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللثة ما ألم بالنتكب منه .

سائلاً عنك ، متحسساً أحبارك حيث حل ضعيفاً كريماً على الملك مغلوس ،  
الذى أرسله إلى ليسديمون ايرى هل لا يزال أبوه حياً يرق ؟ » قال  
أوديسوس : « وأسماء عليك يا ولدى !! ولم أيتها الربة المحيطة بكل شيء  
لم تخبر به أنني حى أرق وأننى لابد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء  
الرحلة في تيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستنزفون ثروته وماله ؟ »  
فقال تيجيه : « لا تأس على ولدك هكذا يا أوديسيوس ؛ لقد أرسلته أنا  
ثمة ينشد الشرف وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنقاً هناك ،  
بل هو ينعم بالرعاية في قصر أنريديس ! واعلم أن فريقاً من عشاق بنلوب  
يترصدونه ، ويتصدونه في طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض  
الوطن .. ولكن لا .. خاب فألم .. إنهم لن يمسه بأذى حتى  
تكون الأرض قد رويت من دمائهم ، وغيبوا جميعاً في بطونها ؛ أولئك  
السفلة الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسّته بعصاها السحرية  
مدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتاه ولته  
قد استطالت حتى بلغ شعرها قدميه ، وهما هي ذى تضي عليه الدثار المرقع  
الرت ، وهما هي ذى تحدث الأورام حول عينيه وتزوده بمزق قدرة  
علق بها التراب والسخام<sup>(١)</sup> وهما هي تضي عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم  
غليظ وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود<sup>(٢)</sup> تدلت مفه  
أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد عتيق ...  
وافترقا ... فهو إلى حيث يلقى راعيه ... وهى إلى حيث تلقى تليماك  
في مملكة ليسديمون .

(١) الفحم أو ما يعرف بالعامية بالهباب .

(٢) خرج .

## مسح السرى

وسلك سبيله فى طريق وعر محفوف بالأشجار الباسقة إلى مرمى  
صديقه الراعى الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده فى مدخل الحظيرة  
الشاسعة القائمة وسط المرج المعشوشب النضير . ولقد سورها يومايوس ،  
إذ سيده غائب فى أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجارة قوية  
نحتها من محجر قريب ، وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وحذوفاً  
من سنديان ، حتى صارت أمانع من عقاب الجو . . كل ذلك دون أن  
يساعده أحد ... ثم قسمها اثني عشر زرباً<sup>(١)</sup> جعل فى كل منها خمسين  
خنزيرة كمنازاً ... أما ذُكران الخنازير فقد تركها سائبة فى الخارج  
ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون منه وما يريغون . . وقد بقي  
منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلاثمائة . وربضت لدى الباب كلاب  
أربعة كسباع البرية ، تلاحظ الحظيرة بأعين كالجر ؛ وجلس الراعى يعمل  
لنفسه نعالاً من جلد ثور مدبوغ ، بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة  
يعملون ويدأبون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر  
إلى المدينة ، حاملاً لحم خنزير حنيذ يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق .  
ولحت الكلاب أودسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتذبح ، وترغى  
وتزبد ، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن ذهب يومايوس فكسر شرتها

---

(١) الرب : الرابية للغم .



بما رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكاره يسقط  
من يده لأن السكلاب لا يغيظها إلا أن يُمسك لها أحد عكازاً ... قال  
الراعى : « أيها اللاجئ العجوز سلمت ! خطوة واحدة ، وكانت هذه  
السكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت قد لحقت بى سبة لا تنيد ! ألا كم ترسل  
على الآلهة من كروب ! كم ترمينى به من آلام ! أنا ، هذا العجوز  
الهالك ، الذى أمضى الحزن ، وشفنى الأسى من أجل سيدى ومولاي !  
هاأنذا أَسْمَنُ قطعانه وأرعاها لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يحب  
الآفاق ويشتهى كسرة يتبلغ بها ، إن كان لا يزال حياً يرقق ! أوه !  
تعال أيها الصديق ، هلم فاتبعنى إلى دارى أطعمك ما تيسر ، وأسقلك  
كفايتك من الخمر ، وتخبرنى بعدها من أنت ، ومن ابن أقبلت وماذا  
وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعى الكريم حَشِيئَتَه التى كان يجلس  
عليها ، والتى اتخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ، ودعا  
له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعى يجيبه : « أيها الصديق  
ليس أمقت إلى من أن أذود لاجئاً إلى دارى وإن يكن أرث منك حالا ،  
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب وأنا مع ذاك  
أعتذر إليك إذا لحظت أن زادى قليل وأن حالى رقيقة ، فلقد مضى زمن  
العز والعيش الواسع الخفرج وأصبحنا نعاني القُلَّ والفاقة والعيش الضئيل  
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاي يا زين الحياة ومؤدب  
الناس أين أنت وأين أيامك وخيرك الوفرة؟ أيتها دامت ، وإيتك ظالت فعشنا  
فى كنفك ... وليت هيلين وكل من فى بيت هيلين مداؤك ... هيلين

التي قتلت سادات هيلاس<sup>(١)</sup> يَمْنُ أبحروا مع أجائمنون لينيلوه النصر في  
ميدان طروادة ! » . ثم لَم دثاره وذهب إلى الزرب الأول فجاء بخنزيرتين  
سمينتين فذبحهما وسَلَخ جلديهما ، وجعلهما إزباً لإزباً ؛ ثم أشعل  
ناراً عظيمة فسوّى على جمرها السفايد المثقلة باللحم ، وجاء بالشواء فوضعه  
أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من الدقيق ، وأحضر زق الخمر ، وجلس  
قبالته وقال : « هلم يا صيفى العزيز فكل وارو ... لا تؤاخذنى إذا رأيت  
الشواء لا سميناً ولا حنيذاً ، فكل سمين وحنيز يذبح أولاً فأولاً ويرسل  
إلى العشاق السفلة الذين لا يرعون فى الآلهة إلا ولا ذمة ، ولا يخافون  
سماء ولا بشرأ ... يا لله من هؤلاء الفجرة .. ألا يلمون شعثهم ويغيرون  
بخيلهم ورجلهم على بلد قاص فيثوبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم  
ترام أوحى إليهم بموت مولاهم فهم هنا قائمون ما يريمنون ، ولزاده آكلون  
ومن خمره شاربون ، حتى فرغت الجرار ، وخَوَت الدار ، وضَوّل الزرع  
وجف الضرع !! أبداً ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي ! لقد كانت ثروته  
تعدل ما يملك عشرة أو عشرون أميراً ؛ ولا أزال أذكر مما ملكت يده  
اثني عشر قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب فى مروج الشاطئ<sup>(٢)</sup> .  
المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام وأرعال<sup>(٣)</sup> الخنازير وأسراب الماعز ،  
عليها أجراء وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون فى حقوله  
الشاسعة ويحصدون ، ورجال يحملون من قطعانه كل كناز للذبح ...

(١) اليونان وتسمى أخايا أيضا .

(٢) لعله شاطئ آسيا .

(٣) جمع رعيلى ويجمع على رعال أو أراعيل وهو فى الأصل للغيل والبقر .

أما أنا .. فقد عهد إلى هذه الأفعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ،  
و ... وأسفاه ؛ وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها .

وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصغى ويلتهم طعامه ويفكر  
ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير لسحق هؤلاء العشاق المغاليك . حتى  
إذا انتهى ، قدم إليه يومايوس كأسه دهافا ، فتقبلها وشرب ما فيها وقال :  
« ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً  
ذا ذكر ، لما وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه . لقد  
قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجاممنون ، فهل تتفضل فتذكر لي اسمه  
عسى أن أقص عليك من أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ثمة ، وسافرت في  
بلادتي ، ومحال ألا أعرف العظماء الذين جاهدوا مع أجاممنون . »  
فأجابه الراعي : « وأسفاه أيها الأخ العجوز ! أبداً لا تنطلي الأنبياء  
الملففة عن مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق مثلك ،  
محتاج إلى لقمة أو سروال ، قد لقي الزوجة المسكينة فلفق لها قصصاً  
مكذوباً عن رجالها ثم دلت الأيام على كذبه وزحرفه ، والزوجة في كل  
ما تسمع تذرف الدموع وتصعد الآهات كأحسن ما تصنع زوجة وفية  
من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد . وأكبر ظني أنك تطمع في  
كساء تخلعه عليك هذه الزوجة المفئودة الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل  
قد قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها قد اغتذت به  
أو أنه قد غرق فأكله السمك ، ولفظت عظامه على سيف البحر  
اتذروها الرياح ، تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلبي .

تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ أحقاب كما أتشوف  
اليوم إلى رؤية هذا الرجل . . آه يا أوديسيوس ! أين أنت . . إنك مهما  
تتطت النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذكرك وأسبح باسمك وأوقرك  
بما أحسنت إلى وعنيت بشأى ، يا من فراقك عندى آلم لى من فراق  
أعز إخوتى وأشقائى ! »

وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق لم تتيأس من عودة  
مولاك هكذا ؟ ولم يخامرَكَ الشك فى أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟  
إذن فأنا أقسم لك قسماً لا أحث فيه أنه عائد لا محالة ، ومعاذ الآلهة أن  
أقسم وأؤكد الأيمان لأنال القميص الذى ذكرت أو الدثار الذى أنا فى  
شدة الحاجة إليه ، بل ليبقى القميص والذثار حتى يتحقق قسمى ونهر  
يمينى فأتسلهما منك ، فإنى أمقت الكاذب الخائن فى يمينه كما أمقت  
أبواب الجحيم ، والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ، وثق  
أن أوديسيوس لا بد عائد هذه السنة إلى إيثاكا بل ربما عاد هذا الشهر ،  
وان يمضى شهر آخر حتى يكون قد ثار لعرضه من أعدائه وبطش بهم  
جميعاً ... أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حماه ،  
وإهانة روجه ، وعدم المبالاة بولده ! » وسخر الراعى وقال : « أهكذا  
تقسم وتؤكد القسم يا صاح ؟ أبداً لن تنال الرهان أبداً ، فقد أودى  
أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم ، تحس كأسك الروية ودع هذا  
الحديث فإنه يحزننى ويثير شجونى ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس  
فى خيالك أوفى الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ... كلنا نشتهي ذلك

ونتمناه على الآلهة .. يا ويح لك يا تلميذك الحبيب ! لقد كنت أرقص  
طرباً كلما رأيتك تنبت كما نبت أنوك ، وتشب على المضائل التي شب  
عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك ييلوس تتحسس أخبار أبيك ،  
وهام العشاق يترصدونك ويترصدون بك ليغتالوك في الطريق . ألا  
طاشت أحلامهم ، وحمالك جوف الأعظم من مكرهم ، وحفظك ابنت  
أرسسياس يا أغر الناس ... ؛ ولكن تعال أيها الضيف الكريم ...  
قل لي بربك واصدقني في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين أقبلت ،  
وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أنوك ؟ وأي سفينة حملتك إلى  
شاطئنا ؟ فلمعري إنك لن تدهى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! »  
فقال أوديسيوس بحميه : « سأقص عليك من أنبأى التي لا يأتونها الباطل  
مالواثبت عندك عاماً بين هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكذب الآخرون من  
أجلنا ويجهدون ، ما فرغت من قصصها عليك ... وهى أنباء باكية وآلام  
متصلة ، شئت السماء أن أقاسيها ، وأن أجرع غصصها . إذن فأنا ابن  
كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سرّيته المحبوبة التي كان يعزها  
كزوج . ولم يكن أبى يفرق بينى وبين إخوتى من زوجته ، بل كان  
يولينا حبه على السواء ، وكان الناس يبجلونه كأحد آلهتهم لثرائه الواسع ،  
وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ما ترك ،  
وكان نصيبى منزلاً متواضعاً ، ومالاً كثيراً ، وزوجة غنية ذات مال  
وجمال . ولم يحاول إخوتى أن يدعوني أو يأكلوا ترائى ، لما كنت عليه  
من كريم الخصال وحيد الفعال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر — لا كما

ترانى الآن — وا أسعأ على ما فات من نضارة الشباب ! تالله لن تستطيع ،  
وان يستطيع أحد ، أن يتحدث كم شقيت وكم بليت ، وكم من الآلام  
والصنك وأضرار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أهرب الردى ، وكنت  
دائماً أحوض أخبار المعامع فى حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعداى  
وأبهر القادة والزعماء بجلائل الأعمال ... ولم يكن من دأى أن أتسغل  
نفسى بأكلاف البيوت ومشاكل الحياة المعيشية الدنيا ، التى هى بالأحداث  
والعلمان أولى ، بل كنت مشغولاً أبداً بركوب البحار وخوض غمار الوغى ،  
وملاعبة الأسنة ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً  
وفزعاً فى فؤاد سواى — والناس كما تعلم فيما يعشقون مذاهب .. ولست  
أرسل القول على عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش ظفرت  
بميالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيلاس .. ولقد  
حزت الثراء الجم والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين  
شعب كريت المفضل المبهجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التى قتل بسببها  
مئات من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاخترونى أنا وصاحبى  
إيدومين قاندين للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع سنين حافلات  
مُثقلات ، وفى العاشرة سقطت المدينة فى أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوى  
اليم لا ندرى ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمّة بدأ جوف يرسل صيِّباً من  
الزوايا فوق رأسى ، حتى إذا وصلت إلى كريت سالماً لم ألبث طويلاً  
هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلمت فى  
نخبة من رفاقي بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولت لهم وقربت القرابين .

وقد أرسلت العناية لنا ريحاً جرت بسفننا رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لأى من جوارينا سوء حتى بلغنا شطآن مصر فى اليوم الخامس ، واتخذت سفننا سبيلها فى النيل عجباً ... ثم حدث ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالى بعد خُلفٍ فى الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم .. بيد أنهم لم يسموا مع ذاك من شر المصريين ! إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى ونصويت النساء فأقبل أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف البتار أو الرمح السميرى ، فأعملوا فينا ضرباً وتقيلاً واستنقذوا السبي كله ، وشفوا حرد صدورهم منا .. أما أنا ... فىا لينى قتلت فيمن قتل واسترحت من هذه الدنيا التى جرعتنى ضعف هذه الآلام بعد ! لقد كنت أشهد رجالى يهونون إلى الأرض ، وأعلم أن جوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً ؛ فلما رأيت أننى لا محالة شارب بالكأس التى شرب بها رفاقى ، ألقيت سيفى ، وجريت أعزل من السلاح إلى حيث الملك الكريم ، فركعت بين يديه ، وقبلت الأرض إجلالاً له ، وبكيت ما شاء جوف أن أبكى ، ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لى ، ورثى لحالى ، وأمر بى فأخذنى فى جملة خدمه وخوله إلى المدينة . وقد رام رجاله أن يقصدونى برماحهم لولا أن صدمهم مخافة من الله الذى أمّن اللائذين به ، المستذرين بظله . ثم لبثت فى أهل مصر سبع سنين هانثاً سعيداً محبوباً من الجميع . وحدث فى السنة الثامنة أن قدم إلى المدينة رجل فينيقى جواب آفاق ، ما زال بى حتى

أقنعني بالفرار معه إلى بلاده ، وأغراني بأن له ضياعاً وأملاكاً ومالاً ، ففعلت ،  
ولبثت معه حولا بأكماله ، ثم حدث أن كلمني بعد هذا الخول في رحله  
لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو والقرصنة ، أو على الأقل  
لأباع في بلد قصي بيع الرقيق ، فينتفع شئى ... ورحلنا .. ولكن  
عاصفة جبارة هبت علينا وتلاعبت بنا ، وعبست السماء ، وكالح الدأماء<sup>(١)</sup>  
وتمرد من تحتنا الماء ، ثم أرسل جوف صواعقه على السمينة فقصمها ...  
وغرق الملاحون جميعاً ! ... وأكرمني الله العلي اللطيف فبعث إلى بقلع  
السمينة الأكبر فتعلقت به ، ولبثت الصبا تقذف لى نحو الجنوب أياماً  
تسعة ، وفي ظلام الليلة العاشرة ، دفعتنى على شطآن تسپروتيا حيث  
أكرم مشواى ملكها العظيم البطل فيدون ، وعنى بشأى . وذلك أن  
ولده رآنى طريحاً على الشاطئ ، أكاد أموت من البرد والجوع ، فحملنى  
إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت دثاراً وصداراً ، وخصصت  
لى غرفة فسيحة ذات أرائك ... وهناك سمعت عن مولاك النازح ،  
البطل أوديسيوس ، ورأيت به بعينى رأسى وقد ذكر لى عن فضل الملك  
وإكرامه مشواه ، ما برهنت عليه أعماله ؛ ثم أرانى أوديسيوس كنفوزه  
من الذهب والذخاس وطرف الحديد التى جمعها فى أسفاره ، والتى تكفى  
للنفقة على أسرته عشرة أحياب ... وكان الملك يحفظها له فى غرف  
كثيرة فى قصره إعزازاً له وتكريماً ؛ وذكر لى أنه ذهب إلى ددونا  
النامئة بين أحضان الحور والسنديان ليستوحى كاهن چوف الأكبر عما إذا



كان حيرآ له أن يذهب إلى بلاده متنكرآ ، أوفى صورته الصريحة الحقيقة بعد هذا الغياب الطويل عن أهله . وقد أكد لى الملك أن المركب الذى سيجمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — معد فى المرفأ ولولا أنى أبجرت قبله لشهدته بعينى يركب الفلك ، ذلك أن فلـكا آخر الملاحين من جزيرة دلشيوم كان راسيآ فى الميناء ، فأمرهم الملك أن يحملونى معهم ويذهبوا بى بأقصى ما يمكنهم من السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم — وأسماء تآلبوا على فى عرض البحر ، وتآسروا بى ونزعوا صدارى ، ونضدوا دنارى ثم انتهزوا فرصة المد فأرسلوا بى إلى شاطئ إيثاكا ، بعد أن ألبسنى تلك البرة القبيحة التى ترى . ولكى لا أقاوم أدنى مقاومة ربطوا ذراعى وساقى وشدوا وثاقى فى السارية فلم أبدا حرا كا . بيد أن الآلهة رأفت بى وحلت وثاقى فقفزت بنفسى فى الماء وسبحت إلى الشاطئ حيث وجدتـهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعا .. وقد اختبأت فى الأدغال الكشيفة فلم يرونى .. وهالهم ألا يجدونى حيث شدوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عى حتى إذا لم يقيموا لى على أثر ، أقاموا عمـلين ، وبجأنى الله منهم ، وساقنى إلى الرجل الصالح الطيب الذى وصل حياتى وأكرم مشواى ... »

فتبسم يومايوس وقال : « تآله لقد أثرت فى فؤادى مقاتلك أيها الضيف الكريم ، وأشجأبى ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لى لم تكن جادا فيما رويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ وعليك من سىما النبـل ومخايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما وآله إنه إن يكن قد نجا من الموت فى ساحة طرواده مما ألب عليه من سخط

الآلهة أجمعين ، فأكبر ظني أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشعرهم ...  
 وأسفاه عليه ! ألا ليتته قتل في سبيل بلاده في حرب عوان يحمي في وغاها  
 بيصة الوطن ! إذن لبكاه جميع الإغريق ، ولاجتمعت هيلاس كلها تتنافس  
 في صنع لبنات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث ولده الجدد والخلود ! هاأنذا  
 يا صاح ثاو في هذا المسكان ، لاصق بذلك البيت العتيق ، يقد على في كل  
 آنة غرباء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلفقون الأحاديث عن مولاي ،  
 فبعضهم يبكيه ويتحسر عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب ليغنى بعض  
 الرغد وينال بعض المطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة الكاسفة ،  
 ينلوب ! وامرئ ما انطلت على يوماً أحاديثهم ، ولا خدعت مرة بما روقوا  
 وزوقوا ! ! أفتحسبني أصدق ما رخرفت أنت الآخر عن أوبة مولاي  
 مثقلا بأحمال الذهب من كريت ، واهماً أنني بهـذا أنالغ في إكرامك ،  
 وأحرص على التلطف بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفقت بك  
 الآلهة ، وهدتك إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنما أكرمتك حباً ايجوف  
 ورهبة من بطشه ولما جاش في صدرى من الشفقة عليك والرثاء لك ،  
 والتألم من أجلك . » وقال أوديسيوس يجيبه : « لشد ما أوتيت قلباً أفعمته  
 الوسوس ، ونفسا ساورتها الشكوك أيها الشيخ ! هبها أنباء ملفقة ، فما  
 يمينى التى أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم نتقاسم يميناً تكون آلهة الأولمب  
 عليها شهداء ، إنه إن آب مولاك إلى بيتك هذا في أقرب ما تظن من  
 الزمان ، فيكون لى عليك صدرار ودثار أصلح بهما شأنى حين أعود أدراجى  
 إلى دأشـيوم ... فإن لم يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك

وتقذفوا بي من رأس قلة عالية سامقة يخشى أحقر الآفاقيين أن يتربع عليها  
وأجابه راعي الخنازير : جميل والله أيها الغريب اللاجئ ! تكون ضيفي ،  
وتؤاكلني وأؤاكلك على ما نُدتي ، وتطمئن إلي ، وتأتعنني ، ثم أذفُّ  
بك من حالق ؟ جميل والله هذا أو تضع صلواتي ونسكي لدى جُوف العلي !  
صه ! هلم هلم ، المشاء يا صاح ! لقد آن وقت العشاء ... البدار قبل أن يدهمنا  
عمالنا فيزحموا المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم »

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين ؛ ثم وصلت رجال الخنازير  
وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع قُبَاعُهُمَا<sup>(١)</sup> وعلت ضوضاؤهما ... وهتف  
الراعي بأحد غلمانه فأمره أن يحضر واحداً من أسمنها لعشاء الضيف ولعشاء  
الرعاة ... » ... ألما نستحق واحداً منهم ! مما تلتمهم بطون غيرنا الذين  
ينعمون بثمار كدنا ونصبنا ؟ »

وجيء بخنزير جسد ، وأججت الفيران واتقد الجمر ، وصلى يومايوس  
للآلهة ، ودعا لمولاه بالخير ! وتمنى له العود أحمد العود ، ثم أهوى بشاطوره  
على عنق الحيوان فخر يتلبط في دمه ؛ وسلخوه بعد ذلك ، وهم به يومايوس  
فقطعه ، ووضع إرب اللحم على صبغ الشحم ، ونثر من الدقيق على كل  
ذلك ، ووضع الجميع في الجمر ، وكلما نصج شيء وضعه الغلمان على المائدة ،  
حتى إذا فرغوا تولى الراعي المعجوز توزيع الأنصبة ، فجعل لابن مايا<sup>(٢)</sup>  
سبعة أسهم ، ولعرائس الماء سهماً واحداً ؛ وجعل لكل من عماله نصيبه  
بعد أن أحف أوديسيوس بأجزل الأنصبة جميعاً ، ثم كان يعمده بعد ذلك

(١) القناع بالضم صوت الخنازير ،

(٢) هرmez .

بإمدادات جمة ! ! مما أطلق لسانه له بالشكر وعليه باثثناء ... ورد عليه  
 الراعى فى أدب وافر : « إن الله هو مانح كل شىء يعز من يشاء ويذل  
 من يشاء ، ويعطى ويسلب ، له الملك ، لا شريك له » . ثم أداواصلاتهم  
 الخمرية فهاقوا المدامة للآلهة ، وكذلك صنع أوديسيوس ؛ وهم ميسولوس  
 مولى يومايوس وخادمه الذى اشتراه بماله — فوزع الخبز ، ولبث يخدم  
 ويسقى ، ويجىء ويروح ، حتى إذا فرغوا نظف السائدة وأعاد كل شىء  
 إلى مكانه ؛ وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة شديدة  
 القر ، عظيمة البرد ؛ ونام أوديسيوس قريباً من مضيفه ، ولم يكن عليه  
 من الغطاء ما يقيه هول القرس<sup>(١)</sup> فلق هذا الحديث للراعى الشيخ ولمن  
 نام معه من عماله : « لله ما تصنع خرمك بالألباب يا قوم ! لقد أوشكت أهذى  
 وانتفض وأملأ شدى بالضحك ... ولولا هذا القر لقت فرقت ، ولكنى  
 محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثرثرة ، وفيه من حيا  
 سلافكم ما فيه . ألا ما أحلى أيام الشباب وما أروعها لو رجعت ! ! إن لها  
 لصدى فى نفسى يتردد ، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة القارسة  
 الشاتية التى قضيتها فى صدر الشباب وريمان الصبي مع صديقى أوديسيوس  
 ومنلوس فى كمين تحت أسوار طروادة ، فى مستنقع آسن ذى قصب ،  
 رقب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه ، مقنمين فى الحديد  
 والزرد ، صابرين لما يصفعنا به بوريس<sup>(٢)</sup> من ربح عانية وبرد ،  
 ويسفعا به من قر وبرد ، حتى انعقد الصقيع على دروعنا ، وكدت أنا

(١) القرس البرد الشديد جداً .

(٢) ربح الشمال أو الصبا .

أحمد ويحمد الدم في عروقي ؛ لأنني والسفاه استهنت أول الأمر بما أُنذرت به الحال من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطفي ولم ألتفع رباطي<sup>(١)</sup> ، بينما قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل ... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني بأربابك فإنني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معي معطفاً ويكاد يقتلني البرد ويهرؤني الصقيع » . وأسكتني أوديسيوس خشية أن يسمعنا أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الإخوان ! رأيت رؤيا وبودي لو يذهب أحد إلى أجامتون فيطلب لنا مَدَدًا فلقد بعدنا عن الأساطيل ، ولسنا بنخير لما ترون من قتلنا ! » ، وانبرى لها أندريمون ، فخلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى ، ملبست المعطف واستدفأت به ، وحدثت الآلهة « أفليس فيكم أيها الأجوايد رجل رشيد ، فينزل لي عن معطفه أتقى به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سنى وأنتم في ميعة شبابكم ؟ ألا تفعلون ! لتكن لكم هذه اليد على تقضلا أو تادبا ! » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك يا ضيفنا العزيز ... إنك لن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا ... وليس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباهي به ، ولسوف يعود تلياك بن سيدنا ومولانا فيخاع عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؛ ولكن رويداً فساً كفيك عادة القربى رغم هذا ... وبرغم ما غمزت في

(١) الربطة تشبه الكوفية .

حديثك ولمزت ١١ » . ثم نهض فجمع شيئاً كثيراً من فراء النعم وجعله  
للماعز فجعله ركناً بالقرب من المدفن ، ثم جعل عليها ظهارة<sup>(١)</sup> من الصوف ،  
فصاحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ،  
فام فيها فاستراح ، والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابتهاج يغمر نفسه  
لما رأى من حرص راعيه على ذكره ، وحنينه للقياء ، وعنايته بقطعانه ...  
أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأنما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهم  
فالتقى عليه سلاحه ، وأضفى على كاهله دروعه ، بعد أن خلع معطفه ،  
وأنزله بمجده عند ؛ ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل  
حربته التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في العراء ،  
حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ..  
غير عابئ بقرص الرياح ولا وحشة الليلة الليلية ...

---

(١) ظهارة الفراش ونمطه ما يفرش عليه كالملاءة .

## عودة تليماك

ثم رفت مينرفا رفّتين أونحوهما ، سكّات في وادي ليسديمون  
الخصيب حيث حل تليماك ضيفاً كريماً على الملك منلوس ، وحيث  
وجدته يتقلب على مرّاش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض عينيه  
من هول ما يفكر في أبيه ... بيدنا نام ابن الملك نسطور ملء عينيه نوماً  
هادئاً عميقاً على سرير مقابل لسرير الفتى المحزون .

ووقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له : « إلام تظل هنا في  
مُهاجرك بأقصى الأرض نائياً عن وطنك يا تليماخوس ؟ أو هكذا  
رضيت أن يأكل العشاق الفساق ترائك ويذهبوا بنعماء السماء عليك ،  
ثم لا تلبث أن تثوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة  
من رجاء ! هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد ألح  
جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من الأمير يوريم ، لما اتفق عليه  
من مهر ضخم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ما وعد الآخرون ... هذا فضلاً  
عما يوشك أن يسلب من القنى العزيزة عليك من بيتك ، التي تنقص من  
هنا لتزيد فيما هناك ، فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي  
سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها  
الثاني الذي تود لو تهبه كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدرأجك  
إلى بلادك لتحفظ تراث أبيك ينفعك حين تكون لك روجة صالحة

وذوار أنجاب ببركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرَكَ يا تليماك ، فلقد  
اختبأ زعيم العشاق في ثلة من رجاله بين ساموس وإيشاكا يتربصون بك  
ويترصدونك ليفتالوك قبل أن تصل إلى شاطئ الوطن ... وإياهم فألم  
لخائب ، ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ... ألا فارحل  
يا بني في ظلام الليل ، واجفُ سفينتك أن تسلك سبيل ساموس ، وابد  
ما استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ، ويسخرلك  
ريحاً رخاء تسارع بك إلى بلادك فإذا بلغت أول الشاطئ الإيشاكي  
فانزل إلى البر ، وتسلك الفلك سبيلها من دونك ، ولتذهب أنت إلى  
يومايوس راعي قطعانك الذي يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينها  
بأوبتك « وما كادت تفرغ حتى زفت<sup>(١)</sup> إلى الأولب . وهب تليماك  
فأيقظ رفيقه من بومه قائلاً : « هلم ييزاستروس ! هلم فأسرج الخيول  
ولنرحل من فورنا ! » وقال له ابن نسطور يجيبه : « هلم إلى أين يا صاحبي ؟  
كيف نخبط في هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء ، وحتى  
يلفك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك ، لتظل ذكراء الحسنة ماثلة  
إلى الأبد في روعك ؟ »

وانبلج الصبح ، فهض منلوس الملك من حصن هيلين الدافي ،  
ريتم شطر الغرفة التي نام فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يلمح في غبشة  
القجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طيأسانه الفاخر ، وأترز  
فوقه بمنزلة آخر ، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه ورأسه .



وتعالى جده اتالله لقد آن لى أن أعود إلى إيشاكا ، وبودى لو أذن الملك بذلك »  
فقال الملك : « إنا لا نستطيع أن نحجزك إذا كانت رعمتك أن تشد  
رحلك يا تليماخوس ؛ وإنه إيس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ،  
أو أن نَعْجِلَه على الرحيل من عندنا ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلا  
حتى نهينى لك أنخر الهدايا وأعز اللهى ، وحتى نعدّها لك فى عربتك ؛  
وسأمر ندّامى فيعدون لنا فطوراً يلىق بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ،  
لا بد له من إكلة حافلة تصبر لسفر طويل يزعمه . فلو أن سفرك هذا  
كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقاً لغرب ،  
إذن اسافرت معك ، ولجزت لك مدائن شتى ، ولأهرع إلينا عمال الأقاليم  
يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحائف الذهب وركائز الإبريز وكل  
كأس ثمينة ، ومن كل دابة مطهّمة وحواد كريم » وأجاب تليماك فى  
أسلوب الفطين الحذر : « مولاي أتريدس ، منلوس العظيم ! نالله إنه  
لأثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت ورائى بيتاً لم أدعه فى صيانة  
أحد ، وحطاماً است آمن عليه أحداً . وأخشى يا مولاي أن أفضى فى  
رحلتى هذه وراء أبى ، فلا أكون قد أبقيت على نفسى ، ولا رعيت تراثه  
الذى تركه لى » وأمر الملك خدمه فهبأوا الخوان ، وزودوه عما بقى من  
عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إيتون ناراً أسخن عليها ما ينبغى أن  
يكون منها حاراً ... وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجه وولده ؛  
فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما

الملكة فنهضت إلى خزانها فأحضرت ساجاً<sup>(١)</sup> عملت فيه يدها الصناعات  
 فزخرفته وزركشته حتى بدا كسواء التمتع فيها بنجوم ... وعاد ثلاثهم إلى  
 حيث ينتظرهم تليهاك وكله الملك فقال : « ذاك تذكاري إليك يا ابن  
 أودسيوس بودى لو تقبلته ؛ وهو كأس عجيبة من صنع فلـسكان أهداها  
 إليّ البطل فيديم ملك سيدون حين حلت عليه ضيفاً ؛ هذا وأنا أدعو  
 لك أن يكلاك خوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب لك السلامة  
 والتوفيق » ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذاك فعل ابنه ؛ أما هيلين  
 فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألد من أقحواة ، وقالت له : « وأنا  
 أيضاً أدعوك يا بنى ، وأقدم إليك سدوساً<sup>(٢)</sup> من أنفـس الديباج حبذا  
 لو جعلته قفيةً تذخره لك أمه حتى تقدمه بدورك لعروسك ليلة زفافها  
 إليك » وكان لكلماتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناولـه ابن نسطور ،  
 الذى عنى به ووضعـه بمكانه من العربـة . ثم يـمـمـوا المائدة الكبرى ، وصبت  
 الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في  
 فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا  
 فرغوا نهض تليهاك ورفيقه فسـلـما وردعا ، وركبا العربـة الفخمة المشـقـلة بأثـمن  
 الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ فصـبها  
 صلاة للآلهة من أجل الراحلين وقال : « لكما الصحة والصفاء أيها الشابان  
 اليافعان . تحياتي إلى نسطور أخى الذى كان يرعاني كأحد أبنائه تحت  
 أسوار طروادة » فأجابه تليهاك : « لا تغروا أيها الملك ، فسـنـقـص عليه آية

(١) الساج الطيلسان .

(٢) هو الساج أيضاً .

كرمك وعظيم سخاؤك ... وأرجو لو وصلت إلى إيثاكا فلقيت أبي  
أوديسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة  
وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهى من كلمته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم  
يحمل فى مخالبه إرزة كبيرة بيضاء ، وقد حلق فى الهواء ، وجرى حوله  
الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسرفاتهم جميعاً ... وقد زعج  
الملاّ الواقف لتوديع تليماك ، وبدا الهلع فى وجهه بيزاستراتوس ، فسأل  
الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من  
أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يجر جواباً لفرط دهشه . فلما  
لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملاّ اسمعوا وعوا ،  
إني أحدثكم كما علمتنى الآلهة ... تالله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك  
النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الإرزة البيضاء ، فهى له ، فكذلك  
يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيبطش بأعدائه  
الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجه ، ويخلو له وجهه بنلوب » وانتفض  
تليماك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « الأحبذا أن يتم هذا !  
اللهم يا خوف المتعال حقق النبوءة أعبذك ، واكتب لأبى السلامة أخبت  
لك ، واكتب لى أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دائمة  
وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حمى الملك ، وألهب الجياد فانطلقت  
تذهب الرحب ...

ولم يزالا على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب  
الشمس ، فضيّفهما وباتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضّر جبين

الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلتا  
رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى  
لكانتها تسابق الريح ... ولما بلغا أبواب بيلوس قال تليماك  
لصاحبه وهو يحدثه : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أنت  
تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلي بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر  
على أن أرفص نُزُلُه ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة  
إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ لك في أعماقي ذكرى خالدة  
لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة جمالا ، وعقد أواصرها ما بين أبويها  
من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل الإخاء » وتردد  
ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلجى رجية تليماك ، فثنى  
أعنة الخيل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها متاعه ،  
ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم مينرفا ، وصلى لها الجميع وسبحوا  
سبحاً طويلاً ... وإتهم كذلك ، إذا شاب طويل مفتول العضل يتقدم  
إلى تليماك ، فيخبره أنه قاتل آبق<sup>(١)</sup> ، وأنه يلوذ به ، وأن اسمه تيوكليمين ،  
وأنه يرجوه في أن يسافر معه . فمش له وبش ، وأخذ سلاحه فألقاه في  
السفينة ، وأذن له في الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر  
السفينة ، في حين كان الملاحون يهيمئون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم  
أقلمت الفلك ، وأرسلت مينرفا بين يديها سَجَسَجاً تدفعها في رفق ، وتطوى  
تحتها الماء في حذب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل

---

(١) انصرف سافراً من قصة هذا الرجل امدداً عن الموضوع .

يلقى سدوله فوق الكون . . وما هي إلا عشية حتى صرت السفينة بهيريا ،  
ثم باء بليس ، وجوف في كل ذلك يحرسها ويرعاها  
هذا ما كان من أمر تليماخوس القتي . . أما ما كان من أمر  
أودسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتهمان في هذا الوقت طعامهما ، وما كادا  
يفرغان من ذلك حتى أحب أودسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعي  
قد ضاق به ذرعا فينطلق من لدنه ، أو هو كريم ذو نخوة وبخوة فيبقى  
عنده ، فنهض يقول : « أيها الراعي يومايوس . . وأنتم أيها الأصدقاء  
الرعاة اسمعوا وعوا . . تالله إنني لأخشى أن أرهقكم بضياقتي أو أثقل  
عليكم بلبثي عندكم طويلا ، فرجائي إذا انقلب الإصباح أن يقودني أحداكم  
إلى المدينة لأستجدي وأتكشف ، فلن أعدم فيهم من يتفضل على ببالة  
أو كسرة أو جرعة ماء . . وسوف أئيم شطر بنلوب ، وعسى أن أستطيع  
لقاءها لأبلغها أنباء أودسيوس ، فإذا لم أستطع فإن أعدم عملا في خدمة  
العشاق ، لأنني والله الحمد ولي من أولياء هرمز رسول السماء ونصير  
الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الخطب ، أو حمل  
الكس والطاس ، أو القيام على الشواء . . أو ما إلى هذا وذاك من عمل  
الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفاقا وقال : « أيها الرجل ماذا  
تقول ؟ أتجاوز بنفسك فتلقى بها إلى التهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من  
أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخبز لهم أو تخدمهم ، ولم خدم شباب  
غُرانيق ، وندامي كالكواكب نضرة وجمالا . . وحشهم يلبسون أحسن  
الوشى وأفخر الحرير والديباج . . لتبق معنا أيها الشيخ فلن نصيق بك ،

وحين يعود سـيدي تليماك فإنه يكسوك ويسبغ عليك ، ويبعثك مكرماً معززاً أنى شئت . وشاع البشر في أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عني أجزل الخير ، بما كفيتني شر السؤال وذل الاستجداء ، وليس شراً منهما على نفس أيبة قاست الأهوال ولا تزال تقاسى ... بيد أن لى مسألة عندك بوى لو جلوتهالى : ألا يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل لا تزال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشكان أن يطرقا باب هيدز ، فهل عندك من أخبارها شىء ؟ » . قال الراعى : « ومالى لا أصدق أيها الشيخ ؟ إن ايرتيس — أبا مولاي — لا يزال على قيد الحياة ... لكنها حياة شاقة أنقضت ظهره ، وأنفدت صبره ، وهو ما يفتأ بضرع الآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله حين فقد حامى شببته الذائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ، وقد سجل له الشقاء موته ، وحيأته هو من بعده ، فهو ما ينى يبكيه ، وما ينفلك يساقط نفسه حسرات عليه ... أما أمه فقد قضت من أسى وحزن وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو ! إثنى حزين عليها يا صاح ، بل أنا أفقدها كأعز من أمى لأنها نشأتنى صغيراً ، ورعتنى كبيراً ، وكانت تحببى كمحبة ابنتها ستيمينا التى تزوجت أحسن زيجة فى ساموس من كفاء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبداً لا أنسى أنهم ألبسونى أحسن اللباس ، وأعطونى نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلونى إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتى ... لقد عاشت

مولاتى بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزبها ،  
ولكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت وهأنذا  
أبكيها كلما ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أنى أحمد السماء على ما أولتني  
من خير ، وأسبغت على من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذى  
يفشاني ... على أنى أعذر مولاتى وسيدتى بنلوب إذا لم أر منها عطفاً  
على ، لأنها فى شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد المعاميد ... وهى بالرغم  
من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالية تدفعنا جميعاً ... ثم هى  
لا تنسى أن تنفح الكثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات ،  
غير ما يأكلون وما يشربون » . وكأما أراد أوديسيوس أن يتهكم عليه  
ويسخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفى  
أى سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها  
الصديق أعزنى أذنك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتى ، فالليل  
طويل ، وفى جنحه يحلو السم ، وليس أشهى من أن يروى ذو أشجان ،  
وأتم أيها الإخوان ، من كان منكم فى حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً  
فليذهب ولينعم بالسكرى ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيريا  
التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها  
وقحها وأعصابها ، كما اشتهرت بهوائها العليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها  
وطيب رباها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يُعمَّرون  
حتى يأتهم أبولو<sup>(١)</sup> فيصميمهم بسهامه ، وتعجل أرواحهم إلى هيدز ،

( ١ ) تضيف من النسخ ديانا — وهذه أول مرة نرى فيها أبولو يقوم  
بوظيفة عزرائل فى الأدب اليونانى ، لأنها وظيفة هرمس ( مركيورى ) خاصة ( المترجم )

وبقسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كانتا تخضعان لسيطرة  
 أبي الزعيم العظيم ستريوس أورميند ... وحدث أن أرسط في شاطئنا  
 سفينة فينيقية محملة بالطرف والتشحف وبلعب الأطفال ، من صناعة  
 الفينيقيين ؛ وحدث أن كانت في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن  
 وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها  
 بعض ملاحى المرك واستطاع أن يخذعها بكلام معسول ذى طين وذى  
 رنين ؛ ثم سألها من هى ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ..  
 وكانت الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ،  
 وابتسامات الغزل ، فانتادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن  
 شراك الهوى ، وجذبتهن أحابيل الغرام ، وقد أخبرته الغادة أنها من  
 سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أريباس الفلاح ،  
 وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ،  
 وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأبخس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة  
 معه إلى بلدها على فلكه ، وبالفرا من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل  
 والأحباب والأبوين الثريين اللذين كانا لا يزالان حين يرزقان ... فاستحلفته  
 المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، فحلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً  
 غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له :  
 « والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لأى من أهل المدينة ، حتى  
 لا يفشو السر ويعلم به صاحبه ، فيكون فى ذلك وبالى ووبالكم وهلاكى  
 وهلاككم . . بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا



عزمت أن تفعلوا فابشعوا أحدكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فأتى مريض ابنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وإني محضرتة معي فإنه سيدفعكم ، بل نستطيعون بيعه في أحد البلاد ببعض المال ، وسأحضر معه كل ما نستطيع يدي أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخف حمله ويعلو ثمنه « وعادت البائسة إلى قصر أبي ... ولبت الملاحون عامهم كله في مرقنا يبيعون ويشترون ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنية<sup>(١)</sup> من ذهب وكهرمان ، فالتف حواه وصيفات القصر ثم حضرت أمي فاشتريت بضاعة الرجل الخبيث ؛ الذي استطاع أن يوميء إيماءته المتفق عليها إلى مرضعي فلما انصرف من في القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلهم قادتني مرضعي التاعسة من يدي فمرت بي في غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب لا تزال على المائدة فدمت منها ثلاثة في ثيابها ثم ذهبت بي — وأنا طفل لا أدرك — إلى المرفأ ، حيث ركبت معها في سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب ... ودفعتنا ريح عاصف طيلة ستة أيام ، وفي صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا سهامها مسمومة إلى صدر المرأة — مرضعي الآبقة — فماتت لساعتها — ووضعوا جثمانها في سَاب<sup>(٢)</sup> ثم قذفوا بها في اليم ، طعمة غير سائغة للأسماك ، ورحت أنا ، افترط نحبي لها ، أبكيها وأقول من أجلها ... ثم دفعتهم الريح واللوج إلى شاطئ إيشاكا ، حيث

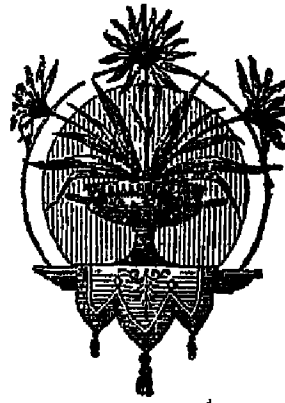
(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هي ( الياقة أو الكولة ) .

(٢) السَاب والمسَاب وعاء كبير للزيت أو الحل وهو الزق ولم نجد مرادفاً لكلمة

( برميل ) المعروفة فاستعملناه .

ابتاعني صاحبها العظيم ليرئيس ، و بقيت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس لما قص الرعى وتوجع ، وواساه بكلمات طيبات ... « فلقد وصلت في رعاية جوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفلك لك الهناءة والحياة الهادئة ... أما أنا ، فلا أزال موكلاً بنضاء الأرض أذرعه ، وبيلد ألبسه وآخر أقلعه ... ولما ينأى طويلاً ، فقد قطع حديثهما حبلى الليل ... أما ما كان من أمر تليماك ورجاله ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الإيثاكي ، وأرسوا ثمة ، وربطوا حبالمهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تليماك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذهاب لبعض شأني في المراعى القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفي الغد ، سأستقيم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر » . ونهض تيوكلين ( الشاب الآبق ) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى والده تليماك ، ولكن تليماك قال : « كلا يانيوكلين ، لا أريد أن تعلم أمي بقدمي اليوم ، فابق مع رجالي هؤلاء حتى لا تقع أبصار العشاق المناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوريماخوس ، فهو أعظمهم قدراً وأنهمم ذكراً ، وهو الذي يحاول جاهداً الزواج من والدتي ، والجلوس على عرش أبي ، فاربط حبالك بحباله ... أواه يا أرباب السماء ! حنانيك يا جوف ! بعداً لهذا الزواج ، وبعداً لمن يحملون به ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازى باشق — هو من غير ريب رسول أبوللو الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يُدَوِّم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتليماك في البر نثر خواقها في الجو ، فنزلان

بالقرب من تليماك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية  
من السماء ياسيدى ، إنك ابن أعظم من فى هذه الأرض ، وإن بيتك  
أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر آباؤك » وشكره تليماك ، وتمنى لو صدقت  
نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليتوس — فاهتزت  
أريحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيدة (تليماك) حتى يثوب ... وسلم  
تليماك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقفلت السفينة بمن عليها إلى المدينة .



## أوديسيوس يلتقي تليماك

لقد كانت هدة الفجر الساكنة الجميلة حينما هب يومايوس وضيغه من نومها ليلبسا ثيابهما ويعدا فطورهما ، ويرسل الراعى عماله وراء قطعانه الناعمة فى السهل الصامت الوديع ... وحينما أقبل تليماخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتعلق قدميه ، وتهتز من نشوة وطرب لأنها رآته بعد طول الغياب ... وقد لحظ أوديسيوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعى : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو الأوداء إليك مقبل ... لشد ما تملقه الكلاب التى أوشكت من قبل أن تعقرنى ! إنها لا تنبح ولا تكشر ، بل تقعى فى إثره ذليلة ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه فى رحبة الدار . وما كاد يومايوس يلحجه ، حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكاً ، وحتى انقذت الأكؤس التى كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه ذهب إليه يقبله ثم يقبله ، ويبالغ فى تقبيله ، كأبٍ مشوق لقي ولده فجأة بعد بصع سنين من مهارة البعد وألم الفراق ! ثم قال يكلمه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟ أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخطر بخلدى أنك عائد من سفرك بعد الذى دبّروا لك ! هلم يا حبيبى ! تعال يا بنى ! فلقد عادت روحى من سفر سحيق برؤيتك ... تعال تليماخوس فما أندر ما تزورنا هنا لطول اشتغالك بالمعاميد الناكيد !! » وقال تليماك يجيبه : « أجل أيها الصديق ؛ غير أننى أتيت

لأسألك عن أمي ! ألا يزال مخلصه لذكري أودسيوس ، قائمة على عهده ،  
أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك من شرك العناكب المكددة بها ؟ ! »  
وأجابه الراعي فوصف له ما تلقاه الأم المحزونة من الضنى والحزن ، وما  
تذرف من الدموع في جنح الليل لما يرميها به الحداث ... ثم دخل  
تليماك بعد أن أخذ الراعي حربته ، فنهض أودسيوس ليخلى لولده مقعده ،  
فأبى تليماك ... « لأن المسكان فسيح ، ولأن يومايوس يستطيع أن يعد  
لنسا مقعداً آخر ... فوالله لتجلسن أيها اللاجئ الكريم ! » . وهياً  
الراعي لسيدته مقعداً من الحشائش الغضة والحللاء الرطبة جعل عليها فروة  
كبيرة مما عنده ؛ وجلس تليماك .. وأحضر يومايوس فطوره في أطباق من  
أطباق أمس وشيئاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحف على الخوان أمام  
مولاه ، وأخذ الثلاثة يلثمونها أكلة مريئة هائلة ... حتى إذا فرغوا ،  
توجه تليماك بالحديث إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتى وصل  
إلى إيشاكا وكيف ؟ وأي الملاحين حملوه إلى شاطئنا ؟ » . قال الراعي :  
« والله يا بني ما أستطيع أن أخفي عنك ما قال ؛ فهو يدعى أنه من نسل  
الأمائل الأجداد من أمراء كريت ، وأنه طوف في الآفاق ، وسافر في البلاد  
ورأى من المدن ما لا عين رأت ... وهو يقول إن فلساً قبرسيا قد  
حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخى هذا ... ولكن .. لم هذا ؟  
ولم أتولى أنا الإجابة ؟ إنه أمامك وأنا أدع أمره لك ، فاصنع به ما تشاء  
إنه لا يذ بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! » وبدا الألم  
في محيا الشاب فأجاب : تالله لقد آلمنى حديثك أيها الأب يومايوس ! أنت

تجعله لائذاً بي قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالي ما تعرف ، وتعلم  
أنني مُسرّاً بهذه الطغمة ، مشغول بوالدتي التي لا أستطيع  
أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأبحاس المفاكيد ، الذين طال لبثهم حولها ،  
وتوقعهم بسببها ، حتى لأخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة ، أفضلهم بعلا  
لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم ثراء ... بيد أنني أؤثر أن أمنحه دثاراً  
وصداراً ، ونعلين ، وسيفاً جرزاً ، ثم أرسله إلى أي أقاليم العالم شاء ،  
في حمايتي ... وإن أحب ، فليبق في ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه  
ما هو حشبه من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق به ...  
أما أن يصحبني إلى القصر الذي تعلم من أمره ما لا تعلم ، فذاك ما لا أَرْضاه  
له ... فقد يغمزه أحد بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا تخفى  
عليك أنني صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء  
الأوغاد » ، وتولى أودسيوس الإجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب  
القلب ! لشد ما تفرق نياط قلبي لما سمعت من أمر هؤلاء العشاق الأشقياء  
الذين يستبيحون منزل فتى كرم مثلك ! ولكن قل لي ، إذا أذنت  
أن أتكلم في هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا بمنزلك فما يريون ؟  
أم برغمك أيها العزيز ؟ أليس لك إخوة يسندونك ويشدون أزرك  
فتطردهم من بيتك ؟ أو اه لو عاد لي شبابي الآن أو اه ! وآه لو عاد الآن  
أودسيوس ! تالله لو أنني في حالك هذه لآثرت أن أمتشق سيفي في وجوههم  
فإما أن أطهر بيتي منهم ، وإما أن أخرج قتيلا بينهم فلا تقع عيني على  
ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيشتهم وعيشتهم بكل ما في منزل أبي من خير

«مسير، السنين الطوال !» فقال تليماك « ليس سرّاً أيها اللاحيء الكريم ما بيني وبين قومي ، وليس منهم من يضر لي عداوة أو يطوى جوانحه لي على حقد ... أما الأخوة والأشقاء فليس في أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أرستشياس لم ينجب غير ليرتيس ولم ينجب ليرتيس غير أودسيوس ، وهذا لم ينجب غيري ... أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجد القلب ... من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتثرة في هذا البحر .. كل يرغب في أن تكون أمي له من دون العالمين زوجة برغبتها ، فهم مقيمون لا يريمون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك أودسيوس ، آتين على كل ما في بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ! » ثم أمر يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالماً من بيلوس ؛ فذكره يومايوس بحجده الضعيف الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تليماك يسأل عن أبيه ... وذلك مما أضواه من الهم ، واستأذنه في أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن تليماك أسره بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبره ... وانطلق يومايوس ... وكانت مينرقا تنتظر ذهابه لتبدو لأودسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سمت ، وقد أخذت الكلاب بروعة مرآها فتكبكت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت تقوق وتهر<sup>(١)</sup> مما شدها

---

(١) الوقوفة صوت الكلاب إذا خافت والمهرير صوتها إذا أنكرت شيئاً

من منظر مينرفا ، وقد لفت فعلها أوديسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحكمة التي قالت له : الآن ينبغي لك أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت والزّوام تُجرّعه صاباً ويحموماً للعشاق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على المعركة بنفسى » ولسته بعصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إلى الكوخ في حلته الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تليماك شده وفرق وقال له : « أيها النازح الغريب ما ذا أصابك ؟ لقد تبدلت أيما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أأنت إله كريم فنعقر لك القرابين وندبح من أجلك الأضاحى ؟ » قال أوديسيوس : « ليفرخ روعك يا بني فما أنا إله إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذي ذهبت تذرعه الدنيا من أجله والذي بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت للؤم هؤلاء الناس ! » ثم ضم إليه ولده وطفق يقبله ويذرف دموعه على خديه ! ! بيد أن تليماك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ إن تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من السماء ليعبث بى ، وليزيدنى شقوة وأشجاناً ! أى بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة عجزاً محدودب الظهر مجعد الوجه غائر العينين ، تلوح فى سُرَقٍ وأسمال ، ثم تخرج هنيهة وتعود فى هذا البدن الفينان وذاك المظهر الفتان الذى لا يكون إلا للآلهة ؟ فقال أبوه : « أى بنى أنا أوديسيوس ، ولن يرجع إليك أوديسيوس آخر سواى ! اطمئن فقد صنعت مينرفا ما رأيت بأبيك ، وما صنعتته أنا بنفسى إنها ربة ولها القدرة على كل شيء ، ففى وسعها أن تظهر من تشاء فى صور شتى ، وليس هذا



على أثينا بعزير» وأحس تليماك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب، فانطلق يبادل والده عناقاً بعناق، ودمعاً بدمع، وقبيلات بقبيلات اثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال، فقص عليه قصته ثم قال له: «ولكن حدثني أنت عن أمر أولئك العشاق الأوغاد ما عددهم، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم؟» فأجاب تليماك: «أبتاه! لقد سمعت الثناء على شجاعتك وسعة حيلتك وجيل حكمتك في كل ملحمة وبكل نقع... ثناءً يلجج به فم الدنيا جميعاً! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها... إذ ماذا يصنع اثنان بعشرين ومائة من خيرة صنديد إيثاكا وما حولها؟ الرأي أن نفكر في أنصار يشدون أزرنا ويكونون عوناً لنا» فقال أوديسيوس وهو يتسم: «وما قولك يا بني في اثنين الله — چوف العلى — ثالثهما، ومينرقا بصيرتهما على القوم الظالمين؟ إذا كان هذان معنا، أفنحتاج إلى عون آخر؟» فقال تليماك: «بلى... تعالى چوف وجلت مينرقا... إن لهما لأيدياً فوق أيدي الناس لأنهما يحكان من فوق عرشهما الممرد فوق السحاب، في الأرض وفي السماء على السواء.» وقال أبوه يزيد طمأنينة: «وسيكونان معنا في الخلبة حين يجد جدها... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالعشاق وسيقودني راعيना الأمين إلى هنالك، متنكراً في صورة الشحاذ الفقير الذي رأيت، فإذا فرطوا على فلا تأس، حتى ولو كان فرطهم بالضرب والسباب... ويسرنى أن تحتل وتصطبر، فإذا زادوا فاصرف عني أذاهم

بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم حين يحين حينهم ... واحذر أن  
 تخبر أحداً بعودتي حتى ولا أبى ... بل على الأخص أمك بنلوب أو هذا  
 الراعى يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا بالسكتان حتى نعرف  
 أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ! » وطمأنه تليماك وأكد له كل شيء ... ثم  
 وصل يومايوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تليماك ، وذاع النبأ بين العشاق  
 فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن  
 يبعثوا نفرأ منهم بهذا النبأ إلى الطغمة التي ذهبت تتر بص بالفتى لتغتاله  
 إذ هو عائد من بيلوس ... ثم اجتمعوا يهكرون السيئات ، ويدبرون قتل  
 تليماك حين تتيح فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم  
 وطار به إلى بنلوب التي هالها ما مكرروا وما دبروا ، فذهبت في جميع  
 وصيفاتها إلى رحبة القصر ، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ،  
 فصاحت بزعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت  
 يداك يا ألام الناس ! أنت يا من يدعونك التقى الصالح وأنت أسفل مما  
 يظنون طوية وأخبت سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء  
 فترسم لأشرارك قتل ولدى الذى لم يعد لى فى الحياة رجاء غيره ؟ ألا لأنه  
 ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوى بالله الذى ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها  
 اللئيم ، أبعثل هذا تجزى جميل أودسيوس الذى حال مرة بين أبيك وبين  
 أعدائه معرضاً بنفسه للتهلكة ، ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من  
 قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدز وبئس القرار ؟ أفلم  
 يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتعبث غير عاجيء بعتاده ، فترسم

لأشراك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدىء من ثورتها ويطمئئنها  
 أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليماك بأذى ما دام هو حياً  
 يدب على قدمين ... وكان يتكلم رغم ما كان ينطوى عليه قلبه ...  
 لأنه كان من أكبر المتآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... ! وبعد  
 أن توارت أورورا عاد الراعى إلى حظائره يدب على عكازه ؛ وكانت  
 مينرفا قد لمست أوديسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ  
 وعادت إليه مزقه وأسماله ، فوجد سيده وضيغه الفقير بعدان عشاءهما .  
 ولما لمح تليماك قال له : « ما وراءك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن  
 الطغمة التي استأنت في ساموس تتربص في شيئاً ! » فأجابه الراعى :  
 « تالله لا علم لى بشيء يا مولاي ، فأنا لم أنتظر طويلاً في المدينة لأتسقط  
 الأنباء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أنني لمحت مركبا يطوى  
 البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرفأ ، وفيه من العدة والعدد ما يبهز النظر  
 ويخطف البصر ، وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تغنى ، غير أنني  
 لا أجزم بهذا » .

ونظر تليماك إلى والده مبتسماً ، محاذراً أن ينتبه الراعى إلى شيء .

\*\*\*

### أوديسيوس في قصره

ونضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، وخضبته بالشفق ، فهب  
 تليماخوس من نومه الهلاليء الهادىء الموشى بالأحلام ، فلبس وانتعل ،

واخترط سيفه ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لألقى أمي ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى تراني ... أما هذا اللاجيء ... فرأي أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكفهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمت يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلي عن كل جواب آفاق ... إمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آلمه هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! » فنهض أودسيوس ليقول : « سيدي ! إني لم أبغ أن أتلبث هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلتمس رزقه في الحقول والغيطان ! بل إني منطلق إلى المدينة واست مقعداً أو ضعفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أمرائها ... تفضل أنت فاذهب لطيتك ، وسأمضي أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلاً ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مرق مضى أصلها وبقي رقعها ! » ... وانطلق تليماك فيبلغ القصر ، ولقي أول من لقي مرضعه يوريكليا ، حيث كانت وأتراها ينشرون فراء على كراسي وحمالات مبعثرة في الردهة ... فلما رآته عجلت إليه ورحبت به وبسامت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانعقد لسانها وأنحبس منطقتها ، ثم اجتمع الجوارى يقبلن تليماك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم المعذبة المحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها الحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ، ثم جعلت تقول له : « أوقد عدت إلى الوطن يا نور

عيني ! تليماك ! تالله لقد وقر في قلبي أننى لن أراك بعد إذا أمحرت إلى  
 بيلوس برغمى ، وعلى غير علم منى ، لتتسقط أبناء أبيك ... ولكن ...  
 حبرنى يا بنى ماذا عساك سمعت . » فقال الفتى : « أماه ! لم تعودين  
 بذاكرتى إلى عبوس الحياة وقد أفلت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن  
 تصفى عليك من أنخر أثوابك ، ثم تصلى للآلهة أن تهيب لنا يوم انتقام  
 عادل لا يبقى ولا يذر ! ! بيد أنه ينبغي أن أذهب الآن لألقى ضيفاً  
 كريماً عزيزاً جداً على — عزيزاً جداً على يا أماه ! — حضر معى فى  
 سفينتى أمس ، وقد أرسلته مع من يضيفه عنى حتى أعود فأضيفه أنا  
 نفسى » وذهبت بنلوب فصلت طويلاً للآلهة ، وانطلق تليماك فلقى  
 تيوكامنوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا يتحدثان ، بينما أحضر أحد  
 الخدم مائدة حافلة بألوان الطعام وأطيب صنوف الشراب ، فوضعا  
 أمامهما ... وأقبلت بنلوب فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذى لا ينتهى  
 فلما فرغا من طعامهما أقبلت فقالت مخاطبة تليماخوس : « يبدو لى أنك  
 لن تقص على الآن ما سمعت من أنباء أبيك يا تليماخوس ، وأوثر إذن أن  
 أصعد فأضطجع فى فراشى الذى أبليه دائماً بدموعى منذ فارق أودسيوس ،  
 فإذا انصرف الأوغاد المعاميد وفرغت من شغلك بهم فاحضر إلى لتقص  
 على من أنماه . » ولكن تليماك قال : « أماه ! لم لأقص عليك  
 ما سمعت وما سافرت إلا لأطمئنتك وأطمئن نفسى ؟ لقد سافرت إلى  
 بيلوس وحظيت بلقاء نسطور الذى هب لى وبش وفرح بى كأنما أنا ابنه  
 الذى افتقده طويلاً وعاد فجأة إليه ؛ غير أنه لم يذكر لى عن أبى قليلاً

أو كثيراً لعدم علمه بشيء من أنبيائه ، ولذلك بعثني مع واحد من أبنائه إلى ملك أسبرطه لأسأله عن أبي ... وقد لقيني منلوس فأحسن لقائي وأكرم مشوأي ، ورأيت زوجه هيلين الحُسان المفتان التي تسبت بسببها حروب طروادة ، والتي لقي من أجلها أبطال الإغريق أنكى ألوان العذاب ... ولما سألتني الملك فيم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد ، ووصفت له ما يجرون على بيت أبي من الخراب ، فأرغى وأزبد ولعنهم أشد اللعن ، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم أوديسيوس فيمطس بهم ، ويميد إليهم صوابهم ، ثم قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء — پروتيوس — الذي أخبره أن أبي لا يزال حياً يرزق في إحدى الجزر النائية ، وأن عروساً من عرائس الماء تحجزه عندها في تلك الجزيرة برغمه ، لأنها تحبه وتهواه ، وأنه لا يجد سفينة يثوب عليها إلى الوطن . . هذا يا أماء كل ما علمته عن أبي من الملك منلوس ، وقد أذن لي في العودة فأبّت في رعاية السماء وحفظ الآلهة . وكانت ينلوب تصغى وثورة من الحزن تجتاح نفسها ، ولظى من الوجد يفتك بقلبها . فلما فرغ تليماك ، التفت تيوكليمنوس المتنبي إلى السيدة الرؤوم فقال : « يا زوج أوديسيوس أعيريني سمعك ! إصغى إلى فسأتنبأ لك ! إن ابنك هذا لم يسمع عن أبيه أي نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لي أمارات وشهدت في السماء علامات ... ومحال أن تكذب علامات السماء .. أقسم لك بحوف العلى رب الأرباب ، وأقسم بهذا البيت بيت أوديسيوس ، أن زوجك هنا ، وفي إثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء العشاق وخبائثاتهم ،

وإنه ليدبر لهم عقاباً هائلاً لن يفلت أحداً منهم !! » وسكت المتنبي ...  
وأقبل العشاق من لهم فخلعوا عباةاتهم ، ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير  
فجزروا لطعامهم ...

هذا ما كان من أمر تليماك وأمه ، وما كان من أمر العشاق . أما  
ما كان من أمر أوديسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متعثرة  
والراعي بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ، وكلما لقيهما  
أحد صمّر خده ، وشمخ بأنفه ، تقززا من منظر هذا الشحاذ الفقير القذر ...  
ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقي الناس منه ، وقد بسقت من  
حواله أشجار الحور والسنديان ، وترقرق الماء فوق الحصاء كاللجين  
يتدحرج من حيد أكمة هناك ، أفام الصالحون فوقها مذبحاً لعرائس الغاب  
حيث يتقدم الناس بنذورهم ويعقرون إضحياتهم ... وقد لقيها هناك راعى  
ماعز الملك — ملانتيوس — يسوق قطيعاً من أسمن ما يرعى لأجل ولأثم  
العشاق ... ولقد كان ملانتيوس هذا من أذنانهم ومتملقهم . وكان يصنع  
كل ما يحببه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما  
زميل له ، انطلق يهوى ويصخب ، ويسب ويسخر ، ويغمز الرجلين  
غمزاً شديداً موجعاً ، حتى غلى الدم في رأس أوديسيوس : « إنشَمَلَا  
أيهاذان المسخنان ! طاعون يجتاحك يا راعى الخنازير القذر ! حقاً إن  
الطيور على أشكالها تقع ! كلب يقود آخر ... إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط  
فتات موائدنا ! عجباً ؟ ألا تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب ويحمل  
العلف ويحرس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحارز<sup>(١)</sup> والخفيض ،

(١) شديد الحموضة والخفيض الذى استخرجت زبدته .

ويكسو عظامه المعروقة بإهاب من اللحم ؟ ! ولكن هيهات ! فقد بلدت  
طباعه فلا يصلح لعمل شريف ! » . وهكذا ظل الراعي الشرير يقىء  
من هذا البذاء ، وركل أودسيوس آخر الأمر ركلة قوية في ساقه ، فلولا  
ما حرص الملك عليه من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولمسح به ظاهر  
الأرض ! ولقد هاج هائج بومايوس فدعا آلهته لتنتقم لرفيقه الضعيف  
وطمق يقول : « يا عرائس هذا النبع المقدس اسمي بحق ما عقر لك  
أودسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد  
الزئيم الذي لا يحسن إلا أن يخلق أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى رحابهم ،  
بيننا قطعانه سائمة في المرج لا راعي لها ولا حفيظ ! » فصاح الراعي الوقح :  
« هاه ! أجيبي يا عرائس دعاء كلبك الأمين ؟ أو اه لو أستطيع أن أحملك  
في فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك بيع الرقيق في بلد سحيق ! أودسيوس  
ماذا أيها البهيم ! لقد أودى أودسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . وودى  
لوحق به ابنه تليماك ! ! » ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى  
مجلس العشاق يطرفهم مما حدث له مع راعي الخنازير ... أما أودسيوس  
وأمينه فقد سارا رويدا حتى أتيا بوابة القصر فتلبثا عندها ... وتناول  
أودسيوس يد الراعي وقال : « يومايوس ! لا ريب أن هذه سراي الملك ،  
أنظر ! ها هي ذى الحجرات يتلو بعضها بعضاً ، وهاك الرحبة الكبرى  
ذات العماد وذات الأبواب ... وإني أحس أن هناك أضيافاً اجتمعوا  
لولية ، وهذا قثار اللحم يملأ خياشيمي ، وإرنان القيثارة يجلجل في أذني .  
فقال يومايوس مجيبه : « أنت ذكي شديد الذكاء ! إنه هو المكان بعينه



والآن ، هل تذهب أنت وحدك فتستعرض الأمراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تتلبث هنا طويلا فقد يراك بعضهم فيؤذيك ويطردك من هنا شرطردة » وقال أوديسيوس « بل انطلق أنت وإني منتظرك هنا ، فإذا لكنى أحد أو لسكنى أوركلى ، فلشد ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت فى حروبى الطويلة ؟ » وبيناهما يتحدثان ، إذا كلب كبير رابض يقف فجأة فيبصبص بذنبه وينصب أذنيه ، ويحدق بصره فى أوديسيوس ، ويظل مسجوراً ذاهلاً ! آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس الذى رباه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ... لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا فى حماة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر العجوز الذى يجترّ ذكرياته ! ! لقد عرف صوت مولاه بزغم السنين الطوال ، فبكى ، وهز ، وأرسل الدموع حراراً تسقى صدغيه ! وقد تأججت فى قلبه الحيوانى ثورة من الحزن الطارىء المفاجيء فلم يقوأن يزحف ليمسح بلسانه قدمى مولاه ... وقد لحظ أوديسيوس ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل هذه الآية من الوفاء للحيوان على الإنسان ! وأشاح بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بعينيه من دموع . فلما مسحها بكفه قال يحدث يومايوس : « أليس عجيباً ومؤلماً معا يا صديق أن يتركوا هذا الكلب الذى تبدو عليه سيماء الفيل فوق هذه الكومة من الروث قد يكون أقعده الضعف عن متابعة الصيد وقد يكون إبقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن سمته ! ؟ » فأجابه الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق !

أما والله لو شهدته في إثر مولاه أوديسيوس لعجبت لعظم قوته وشدة جبروته ! أبدأ لم يخلق الله وقتئذ كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه وأبدأ لم يكن عندنا كلب كآرجس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً !! إنه يبكي مولاه الذي قضى وتركه من ورائه لإهمال الوصيفات وقلة اكتراثهن ... أما عميد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك العمل بالفعل ، فهم لا ينشطون لعمل كما ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد فقدوا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم !! » ثم مضى أوديسيوس نحو صديقه وخذن صباه ، فبكى وذرف دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ... ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى !!

ولمح تليماك راعيه فأومأ إليه ، وأخذته جانباً ، ثم أمده بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... وبعد لحظات أقبل أوديسيوس في صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأسراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ؛ فلما فرغ من طعامه نهض فسار بينهم بسأل هذا ويحذق فيه ، وينصرف إلى ذاك ويحذجه ، ويمد يده من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثى له كثيرون فأمدوه بلبقات ومصغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من الأسراء إليه ، وعيرهم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم ، ثم هاج وماج ، ورفع كرسيّاً وشك أن يحطم به رأس أوديسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر عليهم صفوهم أكثر مما فعل !! ولكن الكرسي صدع كتف الملك ، وأعفى رأسه ، ووقف أوديسيوس كالصخرة

لا يتحرك ولا يذبس ببنت شفة ... ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت  
تكظ فؤاده وتزحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من قبل ،  
وهتف بالعشاق في صوت جهورى فقال : « سادتى الأمراء اسمعوا ! تالله  
لو أنها ضربة في حرب بين كفتين لما حملت لها موجدة في نفسى ...  
ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف ما جرّاه وأثار  
نحيزته ... وأنا مع ذلك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن  
يقبضه قبل أن تزف إليه عرسه ! » وكأنما خجل العشاق مما فعل أنطونيوس  
فجعلوا يلومونه ويتلاومون فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدري ؟ ألا يحتمل  
أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليلونا ... والويل لك يا أنطونيوس إذا  
صدق حدسنا ... ألا تعلم أنهم طالما يتنزلون فيغشون مدننا في صور  
الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك وما نمين ؟ » ولم يبال بهم ولم يأبه لما  
قالوا ... وكان تليماخوس يتميز من الغيظ ، ويُسرف في نفسه أوجع الألم لما  
نال أياه من الضرب ، بيد أنه غلب غضبه ، وحبسه في أعماقه ، كما حبس  
في عينيه وابلا من الدموع ... وكانت بنلوپ تطلع من شرفتها وترى  
ما حل بالرجل من إيذاء ، فهتفت بيومايوس أن يرسله إليها كيما تسأله  
عن أودسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق . قال الراعى :  
« أجل يا مولاتى ، إنه رجل من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل  
أن تحمله الصدقة إلى بلادنا ؛ ثم هو يحدث ساحر الحديث طلى الرواية ،  
حتى ليخلب سمع من يصغى إليه بأشد مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل !

وكلمًا طال حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تملة أذنان ، ولا يضيق به مصغٍ إليه ... وأعجب ما ذكره مرة لى أنه رأى أودسيوس وعرفه فى أڤيروس ... بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائد أدراجہ إيلنا ، حاملًا معه كنوزًا من الذهب ، وأذخارًا لم تر العين مثلها ولم تخطر على قلب بشر !! « فتنهدت بنلوط وقالت : « انطلق إذن فأحضره ، ودعه يحدثنى بما روى وجهًا لوجه ، وسأهبه صدارًا ودثارًا إذا توسمت فى قوله الحق ، وآنت فى روايته الصدق » .

وادعى أودسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقى الملكة فيتحدث إليها إذا جنَّ الليل بجانب المدفأ ... ووافقت الملكة ، وصوبت رأى الرجل ؛ وكان الوقت أصيلاً فقصد الراعى إلى تليماك وأستأذنه فى الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، واسكن بعد أن أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خنازيره .



## أوديسيوس يتشاجر مع شحاذا

وبينما كان أوديسيوس جالساً يزدد طعامة ، إذا شحاذا ضخم الجسم  
شأنه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير  
إيروس ، المشهور بنهمه الذى لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان  
الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس فى الجزيرة كلها من يجهله ...  
فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بلقمانه ، نظر إليه نظرات المغيظ الحق وقال  
له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القذر وإلا جررتك من عقبك ...  
ولو أننى أترفع عن مقارعة أمثالك !! » وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها  
الصديق إنى ما آذيتك ، وإن فى المكان متسعاً لكلينا ... أرجو ألا  
تثيرنى أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرنك هرمى وتقدم سنى ، فتالله  
لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة أسقونى ! إجنح للسلم هو  
خير لك ! وأصغ إلى نصحي ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس  
بعد اليوم ... ! » وغيظ الشحاذا إيروس وقال : « اسمعوا ماذا يهرف  
هذا الشره المخرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حمقاء تثرثر أمام كانون ! تالله  
ليخيل إلى أن أنقض عليه فأنقض ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ،  
وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها  
الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحداه ،  
فهل نجعل حولها خلقه لنرى إلى هذا العراك المضحك ! » وسكت

أنطونيوس ، وتككبب الأسماء حول الرجلين صاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ؛ ههنا كمكات ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكما على قرنه ... ولن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا في جميع ولأئمتنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أودسيوس وقال : « ياسادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعني إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيلكننى مثلاً أو يلكزنى حيماً أكون مشغولاً به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعتك أن تناضل بهذا الزميل فلن نخشى من هؤلاء رهقاً ... إني أنا مضيفك ، وليس أحب إلى أنطونيوس ويوريماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أودسيوس شمر عن ساعديه وفخذه ، وكشف قليلاً عن صدره ، عامداً ليظهر الأسماء على عضله المكتر وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً ! أى عضل وأى ساعدين وفخذين يخفى هذا الرجل تحت أسماله ومزقه البالية ؟ مسكين إيروس ! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟ ! » أما إيروس فقد انتفض وأقشعر بدنه مما عراه من الذعر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذى دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه وفخذه كما فعل غريبه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف

العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقت عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبث المسكين لا يبدى حراكا من هول ما حل به ؛ بيد أن أوديسيوس جره من عقبه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو حدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي ... فإن عدت إلى مثل حماقتك فإن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه وانشى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأنا لك أمانيك أيها الغريب اللاجئ » ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملحاح ! » وسمع أوديسيوس دعاءهم ، وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه أنطونيوس كعكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بنخبز وخر صبا له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بنخبز . وآنس فيه أوديسيوس طيبة ودمانة خلق فقال له : « هيه ! هلم أيها العزيز أحضك نصيحتي وأحدثك عن تجاربي ... ألا ما أضعف الإنسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فإذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناء بجانبه كأن لم يمسسه ضر ... فأنا مثلا ، لقد كنت في عنفوان صباى أعيث في الأرض مغترأ بقوتي وفتوتي ، حتى أسقط الكبر في يدي ففئت إلى أمر السماء ، ولسكن بعد أن كتب عليّ الشقاء ، وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمانى وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بعودته

فيستأصل شأفتهم ويذهب بريحهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه  
عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم  
معه ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهمك معهم فيحطمونكم  
أجمعين ... » وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي  
بدت عليه أمارات الهمّ مما قال الرجل ، ولكن .. وأسفاه ! لقد كتب  
عليه الشقاء ، فلم يصغ لنصيحة أودسيوس .

وبدا لبلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق  
ليروها ، ولترى ماذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عليها مينرفا نعاساً  
وأمانةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها ألهى عجيبة ؛ ثم إن الرنة  
أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونضرتها بنضرة الشباب والجمال ، فرأى  
جسمها واستطال ، وزانته لمعة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ،  
مرست عينها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها  
السعادة في دنيا من الهموم ... وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت  
أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام والأحزان ...  
وانطلقت في سرب من وصيفاتها فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخمارها  
الشف على وجهها المتألق الناصع ، فذهل الملاء ، وراغت أبصارهم ، وأحسوا  
أن شيئاً يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا من تمنى أن يكون صاحب هذا الجمال  
الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدمة ... ونهض يوريماخوس فقال  
يخاطبها : « يا ابنة إيكاروس بوركت ! تالله لو رآك كل من في هيلاس  
لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا



حولك ههنا ... في ذلك القصر العتيد ! » فقالت بنلوب : « يوريماخوس !  
 تالله لقد ذهب الآلهة بجألى الذى تصف يوم رحل عنى زوجى أوديسيوس  
 فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لى وهو قابض على  
 يمينى يودعنى : « زوجتى ! إن أكثر من ترين من هذا الجيئس ان  
 يعودوا إلى ديارهم ... فى طروادة محاربون صناديد ، وملاعبو أسنة  
 لا يشق لهم غبار ، وذادة ورماة ! وإنى لا أدرى ماذا يكون من أمرى  
 هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أودع ورأى ، وإنى موصيك أول  
 ما أوصيك بأبى وأمى ، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تعنين وولدهما  
 معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ،  
 وتزوجى ممن تختارين من الأكفاء الأنداد » هذا وإنى أرى أن هذا  
 اليوم العصيب قد حان ! ولكن وا أسفاه ! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا  
 وتشربوا وتعيشوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم  
 تقيمون فى منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندى ولا تهزل  
 مكانتكم لدى ... ألا ساء ما تزرون .

وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة  
 ما سحرت ألباب العشاق ومما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيوس  
 فقد أجابها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من  
 تقديمها إليك ... على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك  
 بعلاً يكون كفوئاً لك » وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فنهضوا ليحضرُوا  
 هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى بنلوب ؛ فهذا

ثوب ثمين من قاقم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً... وهذا عقدٌ  
 خلّيت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وشُخُوف  
 كثيرة وأقراط<sup>(١)</sup> . وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا  
 والاهى ... وأخذ العشاق كدأبهم فى القصف والاهو والعبث والغناء ...  
 حتى أقبل الليل ، فقدم الندامى بمجامر من نحاس بها وقود يشتعل ،  
 وطفن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف ، وطفن البخور يعبق  
 فى أرجاء البهو الكبير ... وهنا ... نهض أوديسيوس وتوجه إلى البنات  
 يقول : « أيها العذارى أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن  
 فتسليهن وتواسيهن ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النار حتى ينصرف  
 العشاق ... ولن يثودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق  
 بجمعهم مهما عبثوا بى ، فأنا رجل ذو تجارب » . فتضاحكن به ، وقالت  
 ميلانتو التى هى أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبت به : ماذا أصابك الليلة  
 أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق إلى حداد المدينة فتم فى دكانه ، فهو خير  
 لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت  
 بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تبثليك السماء بمن يبطش بك كما  
 بطشت به ، ويطردك من هنا ! ؟ » ... ورشقها أوديسيوس بعينه وقال :  
 أسكتى يا هناء<sup>(٢)</sup> والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطعن  
 لسانك ، وليرزقن جسدك ! » . وذعر العذارى وولين هاربات ، وقام

(١) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة .

(٢) الهاة الداهية .

أوديسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتى يفكر في ألف خطوة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تشأ ميثراً أن تنهى هذا الشقاء الذى ضربته على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به العشاق ، ويسخر به يوريماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلنا وحامى قبسنا ... أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعلاً يضىء لنا ؟ » ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول : « إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لى بعيدة من هنا وتغرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك وأنقذك مالا ، فأياك ترضى ؟ ولكن لا ... إني لأظنك تنسرق منها طواعية لغرائذك وخَبِثَ جِبِلَّتُكَ فتنبطق إلى المدينة لتستجدى وتتكفف ... » .

وتخابث أوديسيوس وقال بحبيبه : « يوريماخوس ! تالله إنه ليس أحب إليّ من إن أباريك في فلاحه في يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طمأماً ولا يسيغ شراباً .. أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أفدنة في أرض جبّوب ، وثورين حفيذين ذوى خوار ، في ذلك اليوم ، لترى أينما يصمد لحرثه ويفلح أرضه ... بل إني لأتمنى ، لذئخن في هذه الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله ، وتكون لى درع سابعة ، وخوذة من من نحاس ، ورمح فى يدي ، لترى كيف لا يحول الجوع بينى وبين أقرانى ، وكيف أضرج بدمائهم الأرض ، وأتركهم فى البرية جَزَرَ السباع وكل

نسر قشعم ... أيها الأكمعُ الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاقت عليك الأرض بما رحبت ... أنت أيها المفرور المتعاضل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نوكي لا حول لهم ! » .  
 وجن جنون يوريماخوس ، وأخذ مُتَكِّثاً ثقيلاً وقذه شطراً أوديسيوس ،  
 ولكن البطل انفتل بعيداً وسقط المتسكاً على الساقى المسكين ، نخر إلى الأرض يئن ويتوجع ... وغيظ العشاق أيما غيظ ؟ وعلا لغطهم ، وودوا لو يسحقون أوديسيوس ، لولا أن تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول :  
 « يا سادة ! إني كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آوَيْته وضيَّفته ... والرأى أن تقطعوا سمركم هذا وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل » ... وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

### المرضع العجوز تعرف أوديسيوس .

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده ، فقال ، يحدث تليماك : « أى بنى : ينبغى أن نخبئ أسلحة القوم فى مكان حريز ، فإذا سألك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو . وامثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : أماء ليقر الوصيفات فى مضاجعهن حتى أنقل أسلحة أبى إلى مكان حريز فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بنى ، إنه ينبغى أن

تعنى بكل ما يتعلق بأبيك وبكل ماملكت يداك ... ولكن قل لى ...  
 من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا أدعوهم فيحملنه لك !»  
 وشكرها تليماك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله ، وأهرعت  
 يوريكليا إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان الخوذ  
 والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة تحمل بين أيديهما مصباحاً  
 ذهبياً كان يشع سناء عجيبياً ، ونوراً لم تقع عينا تليماك على مثله . فقال  
 لأبيه وقد أخذه العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس على الجدران  
 والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد يجعلها تلتهب ! أبداً ما رأيت مثل  
 هذا أبداً .. لا بد يا أبى أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أحزن  
 عليك لسانك يا بنى ، واملاً قلبك بما ترى ، فإنه من نور السماء وهذا  
 دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتنم ملء عينيك كي تستريح ...  
 أما أنا ، فباق هنا ، لأنه لا بد لى من أن أكلم أملك وخدمها » .

وانطلق تليماك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل فى إثرها سرب  
 من خدمها فأعددن لها عرشاً ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت  
 قدميها العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كإحدى الآلهة . وجلس  
 أودسيوس على كرسى صغير بُنْتُ عليه فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة  
 فقالت : « والآن أيها الغريب الكريم قص على من أنبأك وخبرنى  
 من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أودسيوس : « أيتها الملكة  
 تعالى جدك وصلح حالك .. إن لك فى العالمين لذكراً يعبق كالعطر ،  
 واسماً كريماً ليس للملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحببة ...

إني يا مولاتي رجل كثره الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فإذا سألتني  
 ما اسمي وما بلادي ، فإنك تثيرين في أعماقي ذكريات عنيفة تدمي  
 فؤادي ، وتفجر الدموع في مآقي ، فأعفيني آيتها الملكة من ذكر ذلك ،  
 فإنه ليحزنني أن أجلس بين يديك باكيًا متصدعًا مهمومًا ... « وبدا  
 الألم على وجهه بنلوب وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذبلت  
 حياتي وذوت زهرتي مذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ، تاركًا لي الهمة ،  
 ومخلفًا لي الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من  
 أجله ! لقد أسلمني بعاده لليل أليل من الآلام ، فما أدري منذ فارق كيف  
 أهش لصيف مسكين مثلك ، ولا كيف أيش لأحد من العالمين ... وهؤلاء  
 الأمراء اللؤماء الذين تكبكبوا حولي يريدون لي رغوفا على اختيار أحدهم  
 بعالي من دون أوديسيوس لا أدري كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل  
 لدفع أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلا ، ولكنهم مكروا بي السيئات ، فلا  
 أدري كيف أنقذ نفسي منهم ؛ وهذان أبواي يريدانني على هذا الزواج  
 البغيض إلي ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق بعشاق ذرعا ، وإن في  
 صدره حرجا منهم لأنهم يهلكون ثروته ، ويعيشون في قصره ، ويخوضون  
 في عرض أبيه ... ولكن ... حدثني بأربابك من تكون ، ومن  
 قومك ، وأي بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز  
 ولا تحزن » . وأرسل أوديسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثا  
 طويلا مؤثرا ، واتفق قصة حزينة متقنة ، وذكر الملكة أنه رجل مُرزا  
 من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر

أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفجة التي كنا يحياها ، وذكر أنه عرف أوديسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الكريتي ، فهرول إليه وتلطف به وأحذه إلى داره حيث أكرم مشواه واحتفى به أبواه ... ولم يكد أوديسيوس يفرغ من حديثه حتى تفرقت الدموع في عيني بنلوب ، وانطلقت تبكي على زوجها الذي لم تدر أنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فخبس العبرات التي أوشكت تهمل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أ تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين محبوبه في هذه الرحلة المشثومة ؟ وتجاوب أوديسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي لا تزال تنطبع من صورته في رأسي ... أذكر يا مولاتي أنه كان يلتفع بثوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروق يحمل في برطيله<sup>(١)</sup> ظبياً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلا أذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أئمن ... وكان يسعى بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ، ذو كتفين مستديرتين وبشرة سنجابية

---

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته ولم يذكره

وشعر مُفَلَّفل ... وكان أوديسيوس يوقره ويهمله أكثر مما كان يبجل  
سائر أصحابه »

وصمت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت :  
« لشد ما كنت أرثي لك أيها الغريب المازح الجوّاب ؛ أما الآن فإني  
أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب  
بيدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ! وأأسفاه عليك أوديسيوس ! إنك لن  
تعود إلى يا حبيبي ! بُعداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هذا البلد  
اللعين المشئوم ... طروادة ! » وهش أوديسيوس وقال : « خفي عنك يامولاتي ،  
ولا تتلفي قلبك بطول هذا البكاء . ثم لماذا تيأسين من أوبته وقد سمعت  
عنه أخباراً سارة حين كنت في أيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ،  
ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجا  
مع ذاك . وهو الآن سليم معاف يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير .  
وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملفقاً ، بل أحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان  
أنه سيصل إليكم في عامكم هذا ... بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر  
دورة هذا الشهر !! » . فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف !  
تالله إن قلبي ليسكذب ما تسمع أذنائي ، وإنه لا يصدق أن صاحبي عائد  
 يوماً إلى إيثاكا ... ولكن هلم ... إني سأمر وصيفاتي فيغسلن قدميك  
ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد  
فستجلس مع تليماك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن  
أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده إليك بأذى » وشكر لها أوديسيوس



وقال : « مولاتى لقد اعتدت أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أفترش الغبراء ، ولن تمسنى وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمى ... ولكن إذا كان فيهن واحدة مخلصة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لى قدمى ، على أن تكون عجوزاً حيزبوناً ؟! » . وسرت بنلوب وقالت تجيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلاً أيها الصيف الكرم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أميناً طاعنة فى السن كانت موكلة بمولاي أودسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهى التى ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا ... أقبلى فامهرى على هذا الرجل العجوز الذى له مثل سنك وتجاريبك ... إن له سحنة كسحنة أودسيوس وسياء كسيائه ... إغسلى قدميه وقدمى له كسوة تليق بضيف حل ببيتنا » وكأنا هاجت ذكرى أودسيوس شجون المرأة فترقرق الدمع فى عينيها الملوذتين وقالت : آه يا أودسيوس لشد ما ينزع فؤادى إليك ويخفق لذكراك ! تالله لم أرى رجلاً أخبت للآلهة كما أخبت وضى لها كما وضى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ فقد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق فى بلاد نائية ، ومن يدرى ؟ فقد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كما أمرت مولاتى ... أوه ! يا للعجب ! لماذا ينجذب إليك قلبى هكذا ! يا للآلهة ! ! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأودسيوس منك صورة وصوتاً وخطراناً ... » .

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « ربما يا أماء ! لقد قال مثل ما قلت كثيرون  
 ممن رأوني ورأوا أودسيوس » وذهبت يوريكليا فأحضرت طَسًا<sup>(١)</sup> به ماء  
 واتهمز أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن أن المرأة قد  
 ترى الندوب التي بقدمية ، الباقية ثمرة من عضه خنزير برى كان قد بطش  
 به في حدائته فتكشف ما حرص هو عليه من كتمان أمره ... بيد أنها  
 لمست النَّدْبَةَ<sup>(٢)</sup> الكبرى في ساق سيدها إذ هي تغسلها ... وكانت  
 الظنون قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما  
 تحسست الندبة زاغ بعمرها ، وحملت فجأة في وجه مولاها وسقطت يداها  
 من غير وعى فانقلب الطس النحاسي محدثاً صوتاً مُرَّئاً مُدَوِّياً ... وسال  
 الماء ... وانحبس الدمع والمنطق في عيني العجوز ولسانها ، ثم عاجلت المفاجأة  
 السارة المحرنة في صدرها ... وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله  
 إنك لأودسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هي النَّدْبَةُ التي أحدثها الخنزير  
 بساقلك ! لقد لمستها بيدي ! » وأهرعت العجوز مذهولة نحو پنلوب اتزف  
 إليها البشرى المائلة ... ولكن مينرفا كانت أسبق منها ... فقد  
 سحرت عيني پنلوب وسمعها ... وهجل أودسيوس إلى العجوز فأطبق بكفه  
 على فمها وقال . « يوريكليا ! أصمتي ! أنا هو ! ولكن أصمتي ! إن كلمة  
 واحدة منك تقضي علي ! لقد غذوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل  
 تكونين نكبتني وشاحذة سكينى كبيراً ، وبعد أن وصلت إليكم بعد يأس  
 وقنوط من عودتي ؟ أصمتي ! غلى لسانك بسلاسل وأصفاد فاست أريد أن

(١) الطس بالفتح والطست والعاسة (الطشت) الذي يعسل فيه (قاموس) .

(٢) أثر الجرح القديم .

يعلم أحد أننى هنا .. وإلا ... فتالله إن أرحمك — ولو أنك مرضعى —  
يوم يجد الجدد ! » .

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تجيبه : « أى بنى ! لم تكلمنى هكذا ؟  
أتشك فى ثباتى وحفاظى ! إطمئن يا بنى ، فسأكون أصمت من الحجر  
الصلد ، وأستر لسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال أصمتى إذن ،  
ولا تفسدى تديرنا ، ولنتوكل جميعاً على الله ! وذهبت فأحضرت ماء آخر ؛  
وأخذت فى غسل رجله العظيمةتين ، فلما فرغت ضمختهما بأفخر الطيوب ،  
ووقفت تقلب عينيها فى مولاها بينما كان هو يربط لفائف على ندوب ساقه  
وأخذ أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد تلقاء بنلوب التى شرعت  
تحدثه وتقول : « أيها الضيف ، ما أرى بأساً فى أن أسألك إذا كفت أبقي هنا  
مع ولدى أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لى بعلا ... على أن رؤيا  
رأيتها لا تزال تضطرب فى خلدى ولا أعرف كيف أعبرها . ذلك أننى  
كفت أقتنى عشرين إوزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرعاها بنفسى ، فرأيت  
فيما يرى النائم نسرأ قشعاً انقض عليها من الجوافترسها جميعاً بينما كانت  
تأكل طعامها من الملعف الذى أعدته لها ... ولما رأى النسر شدة حزنى  
والتىاعى على أوزى ، وقف على نتوء قريب ثم أنشأ يكلمنى ويقول :  
لا تحزنى يا ابنة إيكاريوس على الأوز فإنه يمثل عشاقك الفساق ... أما أنا  
فأمثل زوجك النازح الذى سيعود من سفره فجأة فيبطش بالطغمة  
العائية التى استباحث قصره ، وولنت كالكلاب فى عرضه ... ألا يا ابنة

إيكاريوس اسعدى ! » واستيقظت من نومى مسبوحة ونظرت إلى إوزى لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن تعبر عن تلك الرؤيا أيها العزيز ؟ » .

فقال أودسيوس : « أيتها السيدة الفاضلة ... لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وهى تعنى غير ما قال ... إنه فادم وشيكا لا ريب ... وإنه حامل إلى العشاق منايهم » .

وأنأقلت بنلوب ثم قالت : « أبداً ... إن هى إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإنى ذاهبة إليهم فذاكرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالنى أقوام فذهبت من فورى إلى بيتى ، وتركت كل هذا القصر الذى دخلته زوجة لخير زوج ، ليكون حليماً جميلاً يزخره لى الماضى ... وذلك أننى شارطة عليهم أن يحملوا قوس أودسيوس فيصيبوا بها غرضاً يخترق السهم إليه اثنى عشر (دنجلا)<sup>(١)</sup> فإن أصابه أحدهم فإنى له » . وهش أودسيوس وأبد فكرتها « لأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً ! ! » وأشار بنلوب إلى خدمها فأعدن لأودسيوس مئسكاً وفراشاً وثيراً ... وذهبت بنلوب لتدرف فى مخدعها دموعاً من بلور .

---

(١) لم نجد فى العربية — أو لم نعرف — مرادفاً لمحور القوس أو العجلة ، فأجزنا هذه اللفظة لشيوعها بين الصناع .

## نذير من السماء

طفق أودسيوس يتقلب في فراشه على أحر من الجمر ، وطفق رأسه يغلى كالقدر ، بل يفور كالتنور بطائفة نائرة صاخبة من الأفكار والوساوس ، وهو لا يدري ماذا يصنع بهذه العصابة أولى القوة من أولئك العشاق المفاليك ، وهو وحده ، ومهما يكن شجاعاً صنديداً فقد يتكاثر الذباب على الأسد فيقتله ...

وهبطت من السماء مينرقا اللطيفة في صورة حسناء هيفاء ممشوقة القد بارعة القسمات ، فجعلت تواسيه وتطمئنه ، وتبشره بأن الأولب كله من ورائه فلا يخاف ولا يأسى ...

— « هذا حسن أن يكون الأولب ، وتكونين أنت ياربة الحكمة ، من ورائي حتى أنتصر على أولئك الجبارين ... فكيف لا أخشي أن يهب من ورائهم قبائلهم وذرايرهم واللاندون بهم يثأرون لهم فيحل بي بطش شديد ؟؟ » فتقول مينرقا : « الذي يحفظك منهم غداً يحفظك من غيرهم بعد غد ، ولو جمعوا لك جيحفاً أضعافاً ... فلا عليك أيها العزيز ... خلّ عنك الوساس إذن ... ونم ملء جفنيك ... واترك للسماء قيادك فهي حسبك ... » قالت هذا وزفت في الأثير اللانهائي إلى أولب ، تاركة وراءها القصر العتيد بمن فيه من نوام وغير نوام ...

مسكينة بنلوب ! لقد كانت هي الأخرى شاردة اللب ، موزعة

القلب ، ما ترقأ لها عبرة ، ولا تغنى لها عين ، ولا يقر لها قرار .. لقد  
لبثت ليلها كله تتشوف إلى أودسيوس وتبكي عليه ، وتستذكر أيامه ،  
وترثى لهذا الفتى اليافع تليماك ؛ ثم تدعو الموت كي يخذم أنفاسها ، ويؤقر  
عليها أحزانها ... ولكن المنيا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد .. وهتَّ  
أودسيوس عند مطلع المعجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث جثا متضرعاً  
لهفاناً ، يسبح باسم زيوس العلى ويصلى له ، ويهتف به أن يجعل له  
علامة يطمئن قلبه بها ، وليعلم أن كبير الآلهة لا يزال يحميه ويكلؤه ، كما كلاًه  
في شدائده في كلا البر والبحر ... وكان أودسيوس يزكى صلاته بأطهر  
الدموع وأحرها ، وكان سيد الأولب يصغى لدعائه من علياء السماء ، فما  
إن فرغ الملك الحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية  
رجعت أضدائها جنبات القصر الساكن ، وأحياد الجبال الشامخة ...  
وكانت خادم بأئسة تسهر طوال ليلها عاملة في طاحونها ناصبة ، فلما وقرت  
في سمعها الزلزلة ذعرت وروعت ، وأزاحت طرف الستر لتتظفر إلى السماء  
فلم تجد فيها سحابة واحدة ، بل وجدت مشرقة بتباشير الصباح ، مضيئة  
بنور ربها .. فجعلت تجأ إلى الله وتقول : « زلزال وليس في الأفق  
سحاب !! أما والله إنه لنذير ، أما والله إنها لغصبة السماء على هؤلاء  
المناكيد ... القساة ... الذين يقسروني على هذا العناء وذاك النصب  
طوال الليل كأني من حديد ... يا جوف العلى ... إن يكن ما سمعت  
حقاً ؛ فأني أسألك بحق أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون  
من زاد هذه الدنيا !! » .

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي تلبية السماء خيراً له ،  
وشاع في أعطافه شعور قدسى بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات  
الأخريات يوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينما برز تليماخوس من  
مخدعه مخترطاً سيفه ، ورحمه يختال من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب  
الكبير هتف بالمرضع العجوز يوريكليا يقول : « كيف حال الغريب  
النازح يا أماء ؟ بودى لو أنكن عنيتن به كما ينبغي ، لأن والدتى على  
ما جبلت عليه من خير ولطف ، لا تهتس لأمثاله من النارحين الغرباء »  
وقالت يوريكليا تحييه : « يا بنى لا تثريب على والدتك في هذه السبيل  
فقد احتسى ضيفك من الحمر ملء بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً  
بعد ، وقد أبى إلا أن ينام على فراش خشن في الردهة الكبرى ، ولا  
أدرى لماذا تشبث بهذا » . وانطلق تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل  
الراعى يومايوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كناز من أسمن قطعانه ،  
وما إن رأى أودسيوس — الشحاذ الفقير في حسبانته — حتى قصد إليه ،  
ولبت يسأله عما لقي من العشاق — فدكر له أودسيوس ما كان من  
وقاحتهم ... وبينما هما كذلك ، إذ أقبل الراعى السفیه ، سليط اللسان ،  
ميلا نقيوس وهو يحدو قطعانه وماعزه ، وطفق كدأبه يسب أودسيوس  
ويرسل عليه وعلى يومايوس ما نزع به فمه من شتائم ، تحرشاً بالرجل  
الشحاذ الفقير ، ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل راع آخر  
يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ، يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله  
يومايوس يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأنما راعته ملاحظه وحسن

سمته : « إن له سياء كسياء الملوك برغم أسماه ومزقه ! » ، ثم صافح أودسيوس وقال له : « مرحباً أيها الأب ! حفف الله عناءك ووضع عنك وزر ما تشكو . يا للسماء ! إن سرآك يفجر الدموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي أودسيوس الذي وكل إلى رعى قطعانه وأنا بعد صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف عددها ... ولكني وأسفاه لا أفرح بسمها ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي لأنها تسمن فتكون غداء لا مباركاً ولا هنيئاً لأولئك الظالمين ... ولولا رجائي في السماء ... وأملى الكبير في عودة مولاي أودسيوس لكذت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر على خبائث هؤلاء العتاة الطغاة لم يعد في طوق أحد ... وأأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟ ألا ليتك تعود فتبطل البطشة الكبرى بهؤلاء الجبارين ! » ... واغتنبط أودسيوس بما سمع من كلام الراعي فقال له : « لله ما أشجعك أيها الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئئك ، وأقسم لك أن مولاك عائد ما في هذا شك ، وهو عائد عما قريب ، وستشهد عيناك هاتان مصارع البغاة الطغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالعشاق يقبلون أفواجاً فيملاؤن البهو ، ويجلسون إلى وليتهم ، فيشير تليماك إلى أبيه فيجلسه معهم ، ويعد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بمسمع من الجميع : « اجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ... إني أمقت أن أسمع شغباً اليوم ، فالببيت بيت أودسيوس وإني لصاحبه ! » وغيظ أنطونيوس فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول



ما يشاء ، فتالله لولا أن حال جُوف بيننا وبينه لأسكتنا إلى الأبد أنفاسه ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً يا تليماخوس وقر عيناً ، فهناك منحة منى لصيفك ، مضغة مشتهاة ! » ثم تناول عظمة من السلة القريبة فقفز بها أودسيوس الذى انحرف عنها فلم تصبه ، وعندئذ قال تليماك مغاضباً : « تالله لو أصابته لأقضدتك برمحي هذا فنفذ في صدرك ، وخرج يلعب من ظهرك ، ولا نقلب العرس الذى تحلم به . فكان مناحة تَوَزَّ بيتك ... إني لم أعد صبيغاً بعد فلا ترهبوني ! سترون كيف أستطيع أن أضع اسكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ! » وهنأه بئيم آخر فحبذ في سخريه مقالة تليماك .. « لأن من حقه أن يحمى ضيفه ... ولكن اسمع يا تليماخوس ... لم لا تمضى إلى أمك وقد يئست من عودة أبيك فتطلب إليها أن تحضر فتختار البعل الذى يروقها من بيننا ؟ » فتعمَل تليماك الكلام وقال : « هى حرة مطلقة الحرية . إني لا أقف في طريقها ولا أقسرهما على شيء ! » وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكيد يضحكون ويضجون .

ثم حدثت المعجزة !

لقد تضرجت وجوه القوم بحمرة الدم .. ولقد تحركت قطع اللحم فوق الخوان فهى تقطر دماً أحمر كأنه ينبثق من غلاصم قتلى ! ثم امتلأت عيونهم بدموع غزار حرار ... ثم طمعت دموعهم تعلو وتهبط وتنشق عن تهديدات تصعد من سويداءات القلوب ... ثم هذا ثيوكليمنوس — الكاهن الأبق — يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلاً :

« تعساً لكم أيها الأبحاس لقد سىء بكم ! ماذا تخبأ لكم المقادير يا ترى ؟  
 ما هذه الظلمات كأنها قَطَعُ الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما  
 هذه الدموع تتصبب من عيونكم فتشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم !  
 ما هذه الدماء التي تضرج جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ  
 الهواخلد ؟ إنها تنهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ! ؟ أوه ! وتلك آية  
 أخري لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب ! الضباب الصباب !  
 ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! ! » .

وبالرغم مما أندر الكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا  
 إلا خبالاً ... وقال قائلهم ، وإنه ليوريماخوس : « ما أحسب إلا أن به  
 جِنَّة ! خذوه فغلوه ثم في السوق صالوه ، عسى أن يجد ثمت ضياء يمشى  
 فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ! ! » .

وتلبث الكاهن فقال : « أربع عليك يا يوريماخوس فإن لى عينين  
 وأذنين وإني لأرى وأسمع ... وإني نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يبق  
 ولا يذر ... أيها الأفاكون المفسدون ! » وانطلق الكاهن من القصر ...  
 ولمز أحد العشاق تليماك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من ضئفت من  
 ضيف يا فتى ! أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القذر الذي تطعمه ،  
 ما عليه من سبيل ، حتى تجلب هذا المتفهب الذي يدعى النبوة ويرجم  
 بالغيب ؟ » .

وصمت تليماك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد .

## وما رميت إذ رميت ...

وكانت ينلوب جالسة في الحريم تسمع إلى ضجيج القوم وعجيجهم ،  
فبدا لها أن تصع حداً لهذا العبث العقيم الذي استمر كل هذه السنين  
الطوال فأمرت بعض وصيفاتها فتبعتهن إلى الحبأ الذي حمطت به أذخار  
الملك وعتاده ، والسلاح الذي فرقت له قلوب وارتعدت فرائص وزاغت  
من هوله أبصار ...

لله ما كان أشجاءها ذكريات حافلة بأروع ضروب المجد ! ها هي ذى  
تلك الرماح التي طالما لاعب بها أودسيوس الأسنة ، والسيوف التي طالما  
انتزع بها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه وتحميه ،  
وتحمظه وتفتديه ... ثم ها هي ذى تلك القوس العظيمة معلقة فوق الحائط تلمع  
وترقص من حولها المنايا ... القوس ذات الذكر التي أهداها إلى أودسيوس  
أحد المعجبين به ... ها هي ذى بعد هذه السنين الطوال لم يحملها أحد  
غير أودسيوس ، لأن أحداً غير أودسيوس لا يستطيع أن يثنى قوس  
أودسيوس ، وفيها الوتر العرْد ، الذي لا يلين ولا يبين ولا يرْد ، إلا إذا  
كله أودسيوس ! ! وتناوات ينلوب كمنانة السهام التي طالما قذفت المنون  
في قلوب الأعداء ، وجلست تثرها في حبرها ، وتنتقى منها ، وتبكي أحر  
البكاء ... لأن كل سهم منها كان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل .  
وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة ، وحملن (الدناجل) ،  
ثم حملت هي السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها نقابها السادر الحزين ؛  
حتى إذا كانت عند الأمراء هتفت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها

نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام : « ها هي ذى قوس أودسيوس وتلك هي  
 سهامه أيها السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهماً يخرق  
 الدناجل الاثنى عشر فإنى له ، وهو صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء  
 حجتكم اليوم ... فقد طالما ذهبتُم بخير هذا القصر ، وأرغتم من زاده بحجة  
 أنكم عشاق ، كما استبحتم أن تسموا أنفسكم ، فإليكم القوس فانظروا ماذا  
 تصنعون » وأسارت إلى الراعي يومايوس فتسلم القوس العظيمة ، وحملها معه  
 زميله راعى الصان فيلوتيوس ... ثم إن الراعيين لم يطيقا ذكريات سيدهما  
 التي هاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء ... وانتهرها  
 أنطونيوس فقال : « تباً لكما أيها الفلاحان القذران فيم هذا البكاء ! ألهييجان  
 الشجو في فؤاد سيدتكما ؟ إنطلقا أيها المسخان فانكيا بعيداً فتالله ما أحسب  
 بكاء كما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا ببالح منها  
 مأرباً ... وئى ! من مناله بأس أودسيوس ؟ ! لقد كنت طفلاً ، بل  
 كنت وليداً ، حينما رأيت رجلاً ذا صولة وفتوة يهديها إلى البطل ...  
 أجل .. رأيت هذا بعيني هاتين . وكان في كل ما قال ساخراً ... فقد  
 هياً له الغرور أنه بقليل من العناء سيثني القوس ويرسل السهم ويحظى  
 بنبلوب ! »

ونفض تليماك فقال إنه سيساهم في الرماية فإذا استطاع فإنه سيبقى أمه  
 لديه ولا يتركها تغادر منزل أبيه أبداً ... ثم حفر حُفراً على خط مستقيم  
 فجعل في كل منها دُججلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب ... ثم إنه تناول  
 القوس العظيمة وألقمها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مشى

وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أوماً إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكمل جسمانياً وأتم بنية ... فليتقدم لها من شاء منكم حتى نرى ! » .

وقال أنطونيوس : إنهم جميعاً مشتركون في التجربة حسب مقاعدهم ، حتى الكاهن . فنهض هذا ويم شطر الصيد وحمل القوس الرهيبة ، وحاول مائة مرة أن يثنيها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤسفة للجميع ... لقد أوهنتي وذهبت مني . ألا فلتحملوا بامرأة أخرى غير يئلوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذي كتبها المقادير له ... الذي يحضر إليها بما ليس في وسعكم من كنوز ومن أذخار » .

وغضب أنطونيوس وتجهم للكاهن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك ففينا الكثيرون الذين يستطيعونها بالقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعي الضأن ملانتيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل بها وعاء من شحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يُدُلُّوا دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يعالج أن يثنى القوس ، ولكنها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونيوس ويوريماخوس ، وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة .

ثم نهض راعي الخنازير ، يومايوس ، ونهض في إثره صديقه الراعى الآخر ، فَحَثَا الْخَطَى خارج البهو لما شاهدا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت العناية أودسيوس في هذه اللحظة ليبطش بهؤلاء المناكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتيس وقال : « يا للسماء ! تالله لو صحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصد رؤوسهم ويبعث أشلاءهم ! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من إخلاصهما كشف لهما عن حقيقة فقال : « إذن فاعلموا أنى أنا أودسيوس ، وهذه هى الندوب التى أحدها الخنزير فى ساقى ، وقد أبت إلى وطنى فجأة فلقيتكما أول من لقيت ، وأكرمت مشواى يا يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكذب فرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجثوا عند قدمى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويغسلانها بدموعهما ، ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى البهو ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يا يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبى فى التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالى ، بل تناولنى القوس ، ثم تسرع بعد هذا إلى الحريم فتخبر النساء فيه ألا يذعرن إذا سمعن ضجة أو عويلا فى البهو ، أو شهدن حربا وقتالا ... أما أنت

يا فيلوتئوس فتسرع إلى باب البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً». ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب، وتبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها، لكن القوس أثبت مع ذلك أن تليف، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقي بها يائساً وقال :

« تباً لها من قوس عنيدة، والعار الأبدي لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيثاكا حساناً، وإن فيهن أزواجاً شُرباً أبكاراً لمن يشاء ! أوه ! يا للخزى ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أوديسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نشق قوسه !! يا للخزى ... يا للخزى ! » ورؤّع أنطونيوس ! وذهل عن أمره، ولم يشأ أن يخزي نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبولورب القوس العظيم، فأني لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها، واركوا الأهداف مكانها، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أوديسيوس فيمضى بها، وفي بكرة الغد يحضر ميلاتئوس من قطعانه عنزات سمناً فنضحى بها لأبولو، ثم نتم محاولتنا. » ولكن أوديسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دمتم لن تحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضاً، ولأرى هل لا تزال بقية من مُنة الشباب مخبوءة في أعصابي ! أم أنها.

ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... »  
وجن جنون القوم لما قال أوديسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شحاذ  
فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في مباراتهم ... ومن يدرى ؟  
لعلهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيما فشلوا هم فيه ... قال أنطونيوس :  
« أخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ! ألا يكفيك أن يسمح لك  
بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقبال البلاد حتى تطلب أن  
تباريهم ! » وكانت بنلوب تطلع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ،  
فقالت : « أنطونيوس ، ألى لك أن تؤذى تليماك في ضيفه ؟ بل ينبغي  
أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر فيما فشلت فيه ...  
فلا ضير ... إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ  
روءك إذن ، ولتطمئنوا جميعاً » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس  
ما دار بخلدنا قط أنت تكوني زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن  
يفضحنا في الناس فيقول : « عجباً لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطعمون  
أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أوديسيوس ثم لا يستطيعون رمي  
سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شحاذ فقير فيثني القوس ويرمى السهم وهم  
مع هذا لا يستحيون ! » هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاروس وهذا  
ما خشينا أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بنلوب : « لتطمئن يا يوريماخوس  
فليس في مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال  
ومظهر جبار ، وقد ذكر آباءه فعلم أنه كريم العنصر طيب الأرومة



عريق المحتد ، فلم لا يعطى القوس لنرى ما يكون ؟ وإنه وإذا ظهر  
فسأحلم عليه وأدفع له سلاحاً وأرسله أتى شاء ! » . ثم نهض تليماك فقال :  
« أماء ! إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها عمن  
أشاء ، ولن ينازعنى حق أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل  
فتكون حقاً خالصاً له ، وما سمحت لأحد أن يمنعنى ... تفضلي أنت فغلقي  
عليك أبواب الحريم ، وانظري فى أعمال البيت ، وصر فى شئون الخدم ، وخذى  
فى غزلك ونسجك ، وسننظر نحن فى أمر القوس ، وسأرى أنا لمن تكون  
النوبة ، فإنى هنا سيد لا مسود ! » ... وشدهت بملوب قليلاً ، إلا أنها  
عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسحبت ، وغلقت عليها أبوابها ، وانطرحت  
فى فراشها حيث واقتها مینرثا فسكبت فى عينها غفوة هادئة لذيدة ،  
فاستسلمت لسبات عميق .

وتقدم يومايوس فحمل القوس وأوشك أن يذهب بها إلى أودسيوس  
لكن الأمراء زأروا مغاضبين ، فخشى الراعى ، وألقى القوس ثانية ،  
فصاح به تليماك : « هات القوس هنا أيها الرعديد ، لشد ما أود أن أخلص  
منك ومن هؤلاء السادة الذين ترهبهم ... ! » وسخر الأمراء وضعجوا  
ضاحكين ... ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتملها ، وذهب بها  
قدماً إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل فنادى الموضع يوريكليا  
وقال لها : « إن مولاي يأمرك أن تغلقى جميع الأبواب ، ويقول لك إنه  
إذا سمع النساء ضجة فى البهو أو قتالا فليجلسن حيث هن

ولا ينزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أسمعين ؟ » .

وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاها ... ثم هم فيلوتيوس  
فغلق باب البهو وأحكم إقفاله وربطه بساب<sup>(١)</sup> طويل كان لسفينته وألقى  
لدى الباب ؛ وعاد فجلس مكانه وعيناه لا ترميان عن مولاها ...

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث في أجزائها ، مخافة  
أن يكون السوس قد نخرها إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،  
وجعلوا يُبرِّقون في الشحاذ الفقير ويقولون : « الهلّوف<sup>(٢)</sup> الزنيم ! إن له  
أعيناً فاحصة كأن لها عهداً بالرماية ؛ وإنه ليبحث القوس كأنه يقتنى  
أمثالها ! » ثم قبض أودسيوس على القوس ، وشد طرفها في سهولة وفي  
يسر ، كما يشد الموسيقى وترّاً من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراسة  
أمامه ، وأرسل سهماً اخترقها جميعاً ، وسمع له صوت كسقسقة العصافير ...  
يا عجباً ! ! لقد أراش أودسيوس السهم ، وأرسل زيوس العلى زلزلة  
ورعداً مدوياً وثب له فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ، وانقذف  
الرعب في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهماً آخر فثبته ، ثم أراشه فاخترق الأهداف  
مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تلياخوس أيها العزيز ! إن ضيعك لم يخيب

---

(١) في القاموس السلب الحاء شجر بالبن تعمل منه الحبال ونحسب أن منه إطلاق  
السلب في الحبال العليظة في مصر فلم نر بأساً من استعماله بهذا المعنى .  
(٢) الهلوف بتشديد اللام وزان وردوس الثقيل الجاقى البطين ونحسب أن منه  
نحت المصريون كلمة هلفوت وقد استعملناها لظرفها وماسبتها كثيراً للمقام

رجاءك ولا أضاع عشمك<sup>(١)</sup> ، ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة  
عهد بالرماية ... والآن ، هلم ... إن النهار يوشك أن يولج ، وإنه لينبغي  
أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، وإن يعدموا بعدها ما دأبوا عليه من  
رقص وغزف ، وقصيف وغناء ... ! »

وهم تليماك فألقى حمائل سيفه على كاهله ، وتناول رمحـه العظيم ... وسنرى !

---

(١) في القاموس العثم الطبع .

## الانتقام الصائل

وألقى أوديسيوس أسناله ، وأطرح مزقه ، وبرز للملأ أوديسيوس  
القوى الحديدى الجبار ، وتناول كنانة الأسهم التى تُهَمِّمُ فيها المنايا  
وتعمغم ، والقوس العتيذة العنيدة ، ووقف عند الوصيد حتى لا يفر أحد  
من أعدائه فينجو من الموت الذى هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند  
قدميه وهتف بالعشاق يقول : « وهكذا يا سادة تتم فصول المأساة ،  
وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التى لم يفز فيها واحد منكم ... والآن ...  
أنظروا ... إني لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدها  
إلى غرض آخر ... » وشد الوتر العُردّ ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس  
سهماً مرشاً عجل به إلى هيدز . وكان العليج يوشك أن يحتسى كأساً  
ذهبية من أعتق الخمر ، فسقطت الكأس من يده الذاهلة ، وسقط هو  
يتشحط فى دمه ، ويلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حينما رأوا أخاهم يسقط  
إلى الأرض رمة لا نفس فيها ولا حراك ، فهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحثون  
عن أسلحتهم ... ولكن ، هيهات ! لقد أخفاها أوديسيوس وولده ليلة  
أمس ... فأبى لهم بها !! وصاحوا بأوديسيوس : « أيها المجنون لقد أخطأت  
الرمى ! ماذا أصابك ؟ إنك تسدد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ،  
شكلك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً .

وانكشف البستر ، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه ، وانقذت من

فمه الحَمَم فقال : « أيها الكلاب ! قال <sup>(١)</sup> ما زعمتم أن أودسيوس لن يثوب ! هاأنذا أيها العبيد ! لقد استبحتم حى بيتى وأذلتكم قدسه الحرام ، وأوضعتم فى الفتنة فاعتديتم على نسائى ، ولم تبالوا أن تتعشقوا زوجى ، بينا رجلها حى يسعى على قدميه ، غير عابئين بمن يطأع عليكم فى السماء وهو بكم محيط ، ولا مباليين بما تصج به الرفات الكريمة فى ثرى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم ، لقد حان حينكم ! ! » .

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أودسيوس ، وطارت حمرة الخمر من خدودهم ، ووقف يوريماخوس متخاذلاً وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أودسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم فى بيتك . ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ، ولكنك قد أرديت أنطونيوس الذى دعانا إلى كل ذلك والذى كان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، ففتحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ، ورعاياك الأوفياء الأولياء .. على أننا سنعوضك مما استبحنا ما لا بمال وعتاداً بعتاد » . فقال أودسيوس : « يوريماخوس أيها النذل ! إنكم مهما ملائتم يدي بالذهب فلن تشفوا حردي ولن تذهبوا غلتي حتى أنتقم منكم جميعاً لما صدر عنكم من إفك ، وما ارتكبتم من أوزار ! فاختاروا لكم ! الحرب التى جدت بكم فجدوا بها ، والقتال الذى لا محيص منه ولا محيد عنه ، أو ... فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً ... » وزلزل الجميع زلزالاً شديداً ،

وجفت ألسنتهم في حلوقهم فما عرفوا ماذا يحـيرون ، ثم هتف فيهم  
يوريماخوس فجأة يقول: « أيها الإخوان ، لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن  
يعرف سبيلا إلى الرخة ، وها قد قبص على القوس بكلتا يديه ، ووقف  
عند الوصيد يذودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل  
إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن تفرعوا إلى سيوفكم  
فتخترطوها ، وإلى المناضد فتذرعوها بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد عـى  
أن نرحل عن الباب فننجو بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فإننا  
سالمون ! » ثم فرغ من صيحته واستل سيفه ، وهجم على أودسيوس  
مرعداً مزججراً ، ولكن أودسيوس أصماه بسهم في صدره فصرعه ، وخر  
الليثم يعـالج سكرة الموت ، وانتشرت ضبابة الفناء الأبدى على وجهه  
المقبوح فأطبقت عينيه ... وهنا ... هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على  
أودسيوس بسيفه الذي تقطر من حده المنايا .. وكاد الليثم ينال من  
خصمه مثالا لولا أن قفز تليماك برمح العظيم فأغمدته في صدره وردده عن  
أبيه وعاد مكانه دون أن ينتزع الرمح مخافة أن يتسكثر عليه الأعداء .  
وقال تليماك لأبيه : « أبتاه ! إنه يجب أن نستعد بسلاح أكثر ... وإني  
ذاهب فمحضر ما نحتاج إليه وعائد بسرعة البرق » فقال أبوه وهو يفصد  
القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطمت ، فليشد ما أخشى أن  
تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ... » وانطلق تليماك  
إلى غرفة السلاح ؛ فأحضر ما مست إليه الحاجة من رماح وسيوف  
وخوذات ، وادّرع بما هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأميين

درعين سابقتين<sup>(١)</sup> وزودها بسيفين بتارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامه فتخترقهم وتستأصل شأفتهم واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ، وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أودسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذه ، وأخذ رمحين عظيمين في كلتا يديه ، وعاد إلى كفاحه ، وكانت في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يفتن العشاق إليها ، فأرسل أودسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين العشاق وبينها ... وضاعت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل في أعين القوم ، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل الهميم ألقي غواشيه فوق رؤوسهم ، وناء بكاءه على صدورهم ... فقال قائلهم : « ألا يستطيع أحد أن يبرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجدهم لنا ؟ » .

فانبرى له ميلانتيوس<sup>(٢)</sup> يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراءه طائل فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نبلغ الباب ... بل لدى فكرة .. إني أعرف أين خبأ أودسيوس وابنه أسلحتنا ، وسأطلق فأحضر لكم منها ما يقيكم منهما . » ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتساق عليها حتى نفذت ، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضرا اثنتي عشرة درعاً ورماحاً كثيرة وخوذات ، وظل يلقي بها من الكوة فيتلقاها رفاقه ويدرعون بها ... ولو كان مع أودسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا العليج قبل أن يتعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر

(١) صافيتين .

(٢) هو الراعي الحائن الذي أصبح ضلعه مع العشاق صد مولاه أودسيوس .

هذه العدد . قال أودسيوس : « أى بنى لقد خاننا بعضهم ودل القوم على غرفة السلاح ، فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تليماك : « كلا يا أبتاه ، إنه لم يخنا أحد ، والذنب ذنبى ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده ... يومايوس ! انطلق فغلّق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر معدّاً آخرَ ورماحاً ، فقال الراعى : « ها هو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاي » وهتف بتليماك : « ها هو ذا ! ها هو ذا ! هل أحضره حياً ليلقى جزاءه أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعى فشدوا وثاقه واحبساه فى الغرفة حتى يلقي جزاءه ، وسأبقى أنا وتليماك لندود دون الباب » . انطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه فى عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهناً يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظنى أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك فى عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطعانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاها وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحفاً بأكمله . ثم بدت مينرفا الحكيمة فى زى منظور وطيلسانه فعرفها أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً : « منظورأيها العزيز ، معونتك وتأيمدك ، فنحن صديقان منذ القدم ! » وهتف العشاق ينادون : « احذر يا منظور وإلا فتلقى



حتفك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت ميمرثا ذعر أودسيوس مما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبيه وتحثه : ما هذا التقاعس عن الحلبة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربتهما في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقى هذه الحفنة من عشاق بنلوپ في بيتك ، بل في عقر دارك ؟ هلم ! قف إلى جانبي وانظر إذا كان منظور قد عق الصداقة القديمة ! » .

وحاربت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو ؛ حتى وقف على إحدى حشباته ... وفرح العشاق لما رأوا من مفارقة منظور ، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير ...

وقال أحدهم يخاطب الباقيين : هلموا فليقذف ستة رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أودسيوس ، فإنه إن سقط استرحنا منه ، فإن تلقى عناء من الباقيين « ولباه أصحابه ، فقذفوا برماحهم في صدر أودسيوس ، ولكن ... هيهات ... إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أودسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجمين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجمه ... وروع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من

صدور المقتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا  
 يناضلان ويفديان سيديهما ... ولما رأت مينرفا ما يلقي المحاربون الأربعة  
 من تكاثر الأعداء ، رفّت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي  
 تجلب الموت إلى كل من يراها ، ووضعت خوذةها الرائعة ثم انبرت للقوم ،  
 وهجم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرون من ههنا  
 وههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مينرفا ... وجعل أودسيوس  
 ورفاقه يصططعونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين  
 فيميوس ، الذي قسّره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريههم تطريباً لم يؤثره ،  
 ولم يؤثر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح  
 تحت قدمي أودسيوس يقول : « مولاي ! أودسيوس العظيم ! ارحمني  
 واغفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن المنشد البائس الذي  
 يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! »  
 وهتف تليماك بأبيه يقول : « اصفح عنه يا أبي ، فإنه لا تثرى عليه ولا  
 لوم ... وهلم ننقذ المنادى إن كان لا يزال به رمق ، فلقد كان يعنى بي إذ  
 أنا صبي في المهد ! » وكان المنادى قد فزع مما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد  
 كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تليماك يقول لأبيه هذا القول ،  
 برز من مكانه ، وتعلق برجلي تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبكي  
 ويتصدع . فقال له أودسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ؛ فلقد أنقذك  
 ولدي كما أنقذ المنشد ... اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندى ما يشغلني عنكما  
 الآن ... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما بحجاً ، وجلسا عند المذبح

ينتظران قتلتهم في كل لحظة ... ثم مضى أوديسيوس يبحث في الهو وتحت المناضد عن يكون به رmq من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تككبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعو الموضع العجوز يوريكليا ، فأقبلت ورأت أوديسيوس واقفاً كالمارد بين القتلى وقد لطخت الدماء يديه ورجليه وصدره ، فكادت المرأة تبح من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت أن تصيح وتزغرد ، لولا أن ردها أوديسيوس عن ذلك : أيتها الموضع العجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شماعة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء قد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ! » ثم أمر بالجلث أن تحمل خارج القصر ، وبالدماء أن تغسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحدثها ويقول : « رأيت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما نظهر الحجرة ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني ههنا ! » . فقالت العجوز « سمعاً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ولكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء فإنه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسمالك هذه » بيد أن أوديسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فانطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت ، وأخذ أوديسيوس في تطهير الهو الكبير .

## بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهرولت الموضع العجوز فمعدت إلى الطابق العلوى ، حيث كانت سيدتها

المحزونة تتقلب على فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ،  
وتسكاد تبجن من الفرح : « هلمى يا بنيتى فاشهدى بعينيك كيف حققت  
الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك ... هلمى ... لقد عاد أودسيوس  
وبطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من  
خبائثاتهم ، وبعد ما استباحوا من حرماته وما أراغوا من خيره وهزئوا  
بولده ... إنهضى ! » .

ولم تصدقها بنلوب ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك  
وغبت عن صوابك أيتها الموضع العزيزة حين توقظيننى بمثل هذا العبث  
وذاك الحديث الملقق ! لقد حرمتنى من غفوة يا لها من غفوة لم تكتحل  
عيناي بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقنا أودسيوس إلى الأرض  
المشئومة ... تالله لو حصل مثل هذا ممن هن دونك سنأ ومنزلة من  
الخدم لكان لى معهن شأن آخر .. واسكن .. لا عليك يا يوريكليا .. »  
فتبسمت الموضع ثم قالت : « وئى ! تالله إنه للحق ، ولا مرية فيما أقول ...  
إنه هو الشحاذ الفقير الذى كلمك ، والذى عبث به القوم وقد كان يعرف  
تليماك كل ذلك ، واسكنه جعله سرأ بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء  
ويستأصل شأقتهم ! » فوثبت بنلوب من سريرها مسبوهة ذاهلة ، وطوقت  
بذراعيها عنق يوريكليا ، وأنشأت تقول : « خبرينى بالله عليك أيتها  
العزيزة .. خبرينى بالله عليك .. إذا كان ما تقولين حقاً فأنتى لأودسيوس  
أن يلتقى وحده كل هؤلاء ؟ وأنى لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟ »  
فقلت الموضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكنى سمعت

بأذني هاتين أنين القتلى ... لقد كنا جميعاً جالسات داخل القصر ، وفرائصنا ترتعد من العرق ، وكانت الفوافذ كلها مغلقة بأمر سيدي ، حتى أقبل تليماك فدعانا إلى البهو ، حيث رأينا أودسيوس واقفاً بين الرمم ، وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنار والكبريت ؛ والمدفأ يتأجج بلظي كالبحيم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ، ويطمئن قلبك ، بعد طول العذاب . وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لها بنلوب : « أيتها الموضع العزيزة لا يقتلك الفرع والصخب .. تالله إنه لن يفرح بأودسيوس اليوم أحد كما أفرح به أنا وولدي تليماك .. هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء العراييد جزاء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً ... أما أودسيوس فلا ! لقد قضى أودسيوس وقضى أودسيوس إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا : « ألا تزالين غير مصدقة يا طفلي ( ! ) العزيزة ؟ ألا فاسمعي ! هاك دليلاً آخر ؛ بينما كنت أغسل قدمي الرجل الفقير اللاجئ تحسست يداي ندبة في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أودسيوس ، فلما كشفت عنها تبينتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصبح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لكنه أطبق يده على فمي فلم أستطع أن أنبس ... تعالى ! هلمى معي الآن وانظري بعينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالى جعلت فداك ! » وانطلقتا معاً ، وأطافت الذكريات برأس بنلوب ، ولم تدر ماذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به الموضع حقاً ... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير

قريب من المدفأة ، ثم طعنت تحديق بصرها في أودسيوس ، وكان جالسا وظهره إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحثان في الأرض ، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة ... بيد أنها لم تنفس ، بل كانت ذاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ولكنها كانت إذا نظرت إلى مرقه وخرقه ، والأثمان التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجت ، وتولاها الدهش ، وانعقد لسانها فما يكاد يبين .

وقال تليماك آخر الأمر : « أماء ! لشد ما تحجر قلبك وغلظت كبذك ! لم لا تنهضين فتعاقى أبى !! أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك ، فما تكلم زوجها الذى أب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال ! » فقالت أمه تجيبه : « تالله يا بنى لقد ذهلت عن نفسى وإنى انى تيه فإأ كاد أبين ... ولكن إذا كان حقاً أودسيوس ، فإن لنا علامات هى سر ذات بيننا ، ولا يعرفها أحد سوانا » فتبسم أودسيوس وقال : « لاعليك يا بنى ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلق هذه الأسماك » ثم انتحى وولده ناحية ، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهيا لما عسى أن يكون من تألب الإيثاكيين عليهما وشغفهم لما كان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بشورة عامة لا تقي ولا تذر للانتقام من القاتل ... وذكر أودسيوس أنهما يجب أن يقيما في البهو فيأخذتا مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة ...

وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء ... « فهى لم تعد

تطيق الوحدة ، ولا تحمل الترمّل ، ولا تقوى على حياة الآمال الكواذب التي  
تجرت عُصصها مدى عشرين عاماً» أما أودسيوس فقد مضى فاستجم وتضمخ  
بأحسن الطيوب، وأضفى عليه من كل سارى وفوفٍ موشي، ثم تنزلت مينرفا  
فنفخت فيه من روح الشباب ، وسكبت في عروقه من دماء الفتوة ،  
ومسحت بيديها السكريمتين على وجهه الجمعد ذى الأسارى ، فأشرق وتألق،  
وهذلت شعره على كتفيه غدائر فاحمة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه  
انطلق إلى الهو فجلس تلقاء بنلوب وأنشأ يقول : أيتها الزوجة المعجبة !  
أما والله لقد ركبت الآلهة بين جنبيك قلباً ليس كقلوب النساء ... وأى  
امرأة تنتبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنتبذين يا بنلوب ... بعد إذ عاد  
إليك من تجوال عشرين سنة كلهن قلاقل وأهوال ... يوريكليا ! هلمى  
فامهدى لى فراشاً بيديك الضعيفتين ، مادام الحديد البارد الذى خلق  
منه قلبها لا يلين ! « ومع كل هذا فقد كان الريب يربن على فؤاد  
بنلوب ، فقالت تختبره : « مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بى خيلاء ،  
ولكنى أذكر أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة  
إلى طروادة ... يوريكليا ! إذهبى أيتها الموضع فأحضرى سرير زواجنا من  
الخدع ، واجعلى عليه الوسائد والحسبانات ليسترىح عليه . ولاك كما أمرك »  
وعجب أودسوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتى تمزقين  
نيط قلبي بما تقولين ! أننى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريرى بله  
أن يحمله ، إن لم تكونى قد أطلعتى على سره ؟ لقد صنعت مخدعى  
واتخذت سريرى فى جذع الزيتون الهائلة ... فهل لا يزال سريرى فى

موضعه ثمت ، أم أن أحداً قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس يفلوب ، وتأكدت أن الرجل زوجها من غير شك ، نخفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت تعدو نحوه ، ثم طوقت عنقه بذراعيها ، وراحت تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لا تنقم علىّ إداً يا أودسيوس ، ولا يحزنك أننى لم أعرفك منذ أول نظرة .. أواه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة أن نفترق وأن نتعذب كل هذه السنين ، وما كان من شكى فهو أثر من احتراسى خشية أن يخذعنى أحد فيدعى أنه أنت ، ويزخرف على ويهرج حتى يبالغنى بالخداع والخب ... ولكن ما دمت قد ذكرت لى سر الخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما لا يعلمه أحد غيرى وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن فاهناً ، ولأهناً أنا ، وليطمئن قلبى ... قلبى الوفى الذى أردته إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوى إلا على حبك ، ولا يضم غير الوفاء لك ... » وعانقها أودسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف حول عنقه ذراعاهما البضتان البيضاءوان — وجد عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أودسيوس على شاطئ الذكرى كما يقف السباح المتعب المنهوك على شاطئ اليم وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤه متراخية ، وأعصابه موهونة ، وقلبه خفق ، وروحه نشوى وذراعاه مع ذلك معلقتان بالشاطئ وقد سُمرتاً فيه ... وقال بعد لآى :

« والله يا زوجتى العزيزة إنا ما بلغنا بعد نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أمامنا لأمداً بعيداً وهموماً آخر تنبأ لى عنها السكاهن تيريزياس حينما



رحلت إليه في هيدز ، وإني لا أدري ماذا يكون من أمرى ... ولكن  
... لا ... لننطلق الآن إلى مخدعنا العزيز الطاهر فإن بي حاجة إلى  
الراحة والإستجمام ... وإن بي لشوقاً مبرحاً ونزوعاً شديداً إليك » .  
فقلت بنلوب : « المخدع الطاهر النقي معد في أيما لحظة أردت يا أودسيوس  
العزيز ... بيد أنك أثرت شعجنى وورعت شجوى بما ذكرت عما يترصد  
بنا من هم جديد ، فهلا ذكرت لى ماذا زعم لك تيريزياس فى العالم  
الآخر ؟ إني مشوقة إلى ما قال ، فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب  
أودسيوس « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن بيدك يسؤك ؟ ! ولكن  
لا ضير ... سأذكر لك ما نبأنى به تيريزياس » ثم وجم قليلا وقال :  
« لقد أشار أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلى ، ثم أنطلق مهاجرا إلى  
ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون فى قوم لم يسمعوأ عن البحر  
قط ، ولم يروا فى حياتهم مجدافا ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألنى  
عما أحمل ، وهل هو مذراة مما ينسف به القمح ، غرست المجداف فى  
الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار نپتيون الجبار بقرايين تمحو ما بينى  
وبينه ، وتعقد بيننا أواصر السلام والوثام ، كما تقربنى إلى أعوانه  
الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من لأواء الحياة ،  
ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبى وإليك ، وإلى ولدى وقصرى  
فعمشت بينكم بسلام ، حتى يأتبنى الموت ، هادم اللذات ، من أعماق  
البحر ، ولكنه سيكون موتا طيبا لا مخوفا ولا مرهوبا ، بل سكرة

بين أمانةٍ ونعاس . بعد إذِ الجسم موهون ، والقلب فارغ ، والرأس  
مشتعل والروح سالية قالية » .

وهكذا ظل الحبيبان المشوقان يتحدثان قطعاً من الليل ، بينما كانت  
المرضع وخادمة أخرى تمهدان الفراش على ضوء المشاعل ... ثم أقيمت  
الوصيفة فذهبت تمشى بين أيديهما إلى الخدع ، وفي أيديهما المشعل المقدس  
يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ عشرين سنة ...

ولفهما ظلام الليل ، وسِترُ الهوى ... وسكن البهو بعد ماضج بالعزف  
والقصف ، وهذا القصر في سدول السعادة .

## أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وهتف هرمنز بأرواح القتلى فهممت ، ثم أشار إليها بعصاه فسحر الكرى مُقلها ، ثم أشار كرة أخرى فأهرعت في إثره كما تهرع الخفافيش في إثر دليلها .

وانطلق حبيب الآلهة فعبر عباب البحر المحيط ، وعبرت الأرواح الهائمة في إثره ، وجاز صخرة لو كيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم انطلق ، والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر بها في مروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ... وقفوا طويلا يتناجون ، وكلم ابن بليوس قائد الهيلانيين أجا ممنون ورثا له ، فكلمه أجا ممنون وتحسر عليه ، ورأوا روح بتروكلوس حبيب أخيل زعيم الميرميدون ، وروح أخيل - ل نفسه ، وروح أجا كس العظيم ... وعرف أجا ممنون روح أمفيديون العاشق المحروب الذي قتله أوديسيوس فيمن قتل من عشاق بنلوب ، فكلمه ، وكله أمفيديون فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية وما كان من أوبة أوديسيوس المفاجئة واختلاطه بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة الدامية المشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً ... وما كاد يفرغ حتى بدا العجب في محيا القائد أجا ممنون وطلق يثنى على وفاء بنلوب ، وشجاعة صديقه أوديسيوس ، ثم راح ينهى ( م - ١٩ )

على زوجته الآئمة كليتمنسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع حبيبها الفاسق إيجستوس ...

وهكذا انتهت الأسباح الآئمة إلى ظلمات هيدز ... إلى مملكة بلوتو ... حيث تلقى جزاءها العادل من مخالب سيربيروس الحادة وأظفاره القواطع .

هذا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية .

أما ما كان من أمر أودسيوس فقد استيقظ في بكرة اليوم التالي ، واستيقظت معه بنلوب السعيدة ، وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه سلاحه ، ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس إنسياً حتى يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ، لأنه منطلق إلى أبيه ليزف إليه البشرى بنفسه . ودعا إليه تلياخوس ليصنعه ، وليصحبه الراعيان الخالصان الوفيان ، بعد إذ يسبغ كل منهما عليه دروعه ، ويستعد بسلاحه .

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التي خيم عليها الصمت دون أن يشعر بهم أحد من أهلها ، حتي بلغوا الخلاء ، وما زالوا يذرعونهم حتي كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر أودسيوس بعينين مشوقتين ، وقلب ملتاع خفيق ، إلى البيت الصغير الذي يؤوى أباه الضعيف الشيخ ، حيث يقضى أيامه في أمي ليس بعده أسي ، ويجتر همومه في صمت كصمت الموتى ، ويذرف دموعه في قنوط وسكون ... لا يراه أحد ، ولا يشكو بشه إلى مخلوق ، إلا هذه المرأة العجوز الحيزبون

التي تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ، وإشفاق من أجله ...  
 وكان ليرتس ، الأب الحزون ، يتلهى بالعمل في بستان قريب يشذب  
 شجيراته ، ويهذب زهيراته ، فأمر أودسيوس ولده وراعيه أن يبقوا  
 في المنزل ليعدوا غداء فاخراً ، وشواء سمينا ؛ لأنه يحب أن يلتقى أباه  
 في البستان وحده ...

وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى  
 أعمالهم ، ووجد أباه يحجس خلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه  
 فيحتفر حولن ، وهو بين الفينة والفينة يصلح من لباسه الخشن الذي  
 اتخذه من جلد عنز ، كما اتخذ منه قفازيه وجوربيه ... ووقف أودسيوس  
 تحت كثرة بأسقة وطفق ينظر إليه ، ويقلب في السنين الطوال  
 التي يرزح تحتها عينيه ، ثم يتعجب للقلب الكبير الذي صمد لحدثان  
 الزمان ولأواء الأيام فلم ينصدع ولم يهن ، وإن كان بعض حزنه لتفوق  
 منه الجبال .

وانبجس الدمع من عيني أودسيوس ، وانهمر على خديه الحزينين ،  
 وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه في حضنه ، ويفجأه بالبشرى القاتلة ،  
 لولا خيفته على تلك الشيوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبأ  
 العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب والكبد بعد يأس دام عشرين عاماً ...  
 لهذا آثر أودسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلتقى أباه كرجل غريب جواب  
 آفاق ، ويحدثه ، ليعلم ما في قلبه ، فذهب إليه ، ووقف عن  
 كذب يكامة :

— «أيها الشيخ : ويكأنك لا علم لك بأمر هذا الزرع ، وإن أثمر  
بستانك وآتى أكله ! حقاً ، إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة  
إلا وهي مشمرة ، ولا زهرة إلا وهي مسفرة نامية ، وما ذاك إلا لسهرك  
عليها . بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت أنك تعنى بهذا البستان أكثر  
مما تعنى بنفسك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس ووطأة  
المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاسى القلب عليك ، قليل الاحتفاء  
بك والتوجع من أجلك ، مع مالك من سياء النبل ، ومظاهر الملوك ؛  
فما كان أحجى بك — وأنت في هذه السن — أن تستحم وتتضمخ  
وتنام ملء عينيك ، لا يزعجك عمل ، ولا تتوذك أكلاف الحياة !  
ولكن قل لى بالله عليك أيها الشيخ ، لمن تنصب كل هذا النصب ،  
وبستان من هذا ؟ خبرنى ! لا تخف على أيها الأب ، فلقد لقيت من  
سأله فلم يأبه بى ولم يُنِمْسألتى ... ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت  
هذه الأرض ، إيثاكا ، لأنى كنت أقدم فيما مضى من الزمان فأحل ضعفاً  
على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان لا يزل حياً يرزق ، أو مضى  
لا قدر الله إلى هيدز ! ولقد كان هذا الصديق يزورنى فى وطنى فأكرم  
مشواه كما يكرم مشواى ، ولقد كان يحدثنى الأحاديث عن أبيه ليرتس  
ابن آزيرياس ... وما أنس لا أنس أيام كان يحمل إلى الهدايا فأردها  
إليه أضعافاً مضاعفة ، من ذاك أننى نفحته مرة بسبع بدر من خالص  
الذهب ، وبجمالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ، واثني عشر صداراً ،  
واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن من أكرم البسط ، وشيء كثير من ثياب

القائم والسفجباب ، ثم أهديت إليه أربع جوارٍ كنُس أبكارٍ اختارهن  
 بنفسه ، مثقفات مهذبات ، يتخايلن في الخبز ، ويرقلن في الديماج .  
 وازدحمت الدموع الحِرار بكل الذكريات المشجية في عيني الرجل  
 الشيخ ، وقال يحبيب أودسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه  
 هي إيتا كا ... بيد أنها — وأسفاه ! — نهب مقسم بين فئة باغية  
 ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف شريعة . أما صديقك فوا أسفى عليه ...  
 ويا ألف أسى على هداياك ! من لك به اليوم ليردها عليك أضعافاً  
 مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لى بربك واصدقنى : منذ كم سنة لقيت  
 صديقك التاعس ، الذى هو ابنى ! ؟ إيه ... ! له الله ! ما أحسب إلا  
 أن السمك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع وكل نسرقشم !  
 أو اه عليك يا أودسيوس يا ولدى ! هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك  
 صبرة ، ولم تكتحل عينا أمك قبل أن تموت برؤياك .. ولا ينلوب !  
 ولا ينلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغمض بيدها أجفانك ... ولكن ...  
 ولكن قل لى أيها الأخ من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن من  
 من الكرام الأ كابر ؟ وفى أى الرفاق وصلت إلى إيتا كا وفى أى السفائن ؟  
 أم وصلت بك إحدى الجوارى المنشئات ثم غادرتك فى إيتا كا ؟ » .  
 وقال أودسيوس وهو يلفق ما يقول : « أما من أنا ... ف ... أنا  
 إبيريتوس بن أفيداس بن بوليبيمون من أمراء إليباس ، من أعمال صقلية ،  
 ولقد هبت على سفينتى عاصفة هوجاء فدفعتنا نحو بلادكم وألقينا المراسى  
 فى مينائكم ... » ولقد لقيت أودسيوس لآخر مرة منذ خمس سنوات ،

وقد افترقنا وكلنا أمل أن نلتقى لتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود .

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن فحجبت الضوء عن عيني ليرتس ؛ ثم إنه أهوى إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحشوها على رأسه ، ويئن أنيناً مؤلماً . ولم يحتمل أوديسيوس أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق من حسرة عليه ، فهرول وأخذه ملء ذراعيه وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبتاه ! أبتاه ! هو أنا ذا ! أنا أوديسيوس عدت إليك بعد عشرين عاماً فافرح وهدئ روعك ، ولتنته آلامك ، وإليك أحسن البشريات ! لقد قتلت أعدائي العشاق جميعاً . قتلتهم في بيتي ، وانتقمتم لك ولي ولبنلوب ! »

بيد أن ليرتس وقف ذاهلاً عن نفسه ، ثم نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى أوديسيوس ، فهات برهانك الذي يقطع شكى ! »

فقال أوديسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر إلى الندوب الخالدة التي أحدثها في ساقى خنزير الفلاة إذ أنا حدثت يا أنى ! ألا تذكر يوم كنا على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا ثمة ، وكان يتحفى بالهدايا واللهى ؟ وهاك دليلاً آخر يوم مشيت معك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل بعض هذه الأشجار باسمى ، فشيت معك ، ورحت أنت تسميها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة كثرة ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين صفا من الكروم الناضرة التي كان يزرع القمح بين عرائشها والتي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ! »



وانجباب الشك عن فؤاد ليرتس ، فأخذ ولده بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد في صدره الرحب القوي أنفاسه ، حتى إذا وهنت قواه أرسله ، وأخذ يتحدث فيقول : « يا للآلهة ! يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولمب ! أهكذا قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك وحم نغمتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن ! لشد ما أخشي أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرعوا إلى هنا ، ويطلبوا تارذويهم . فتبسّم أودسيوس وقال له يطمئننه : « لا عليك يا أبى ... هلم الآن فلنذهب إلى بيتك الجميل ، فلقد أرسلت تليماك ثمة ومعه الراعى ، ويومايوس الوفى ، ليعدوا لنا طعاماً سريعاً حقيقاً » .

وأعد الطعام ، ومزجت الخمر ، وذهبت الخادم العجوز فأعدت حماماً لسيدها الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة .. وتنزلت مینرثا الكريمة فمشت بيديها الإلهيتين على جسم ليرتس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبت إنى لا أشك فى أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلص عليك برودة الشباب من جديد ! ! » .

ولم يكن عجب ليرتس بأقل من عجب ولده ... « تعاليت يا جوف ! وتقدست يا مینرثا ! وسما حدك يا أبوللو ! لقد كسوتمنى نضرة الشباب التى كانت لى يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفالينيين الشجعان ! أواه لو قدّر لى أن أقف إلى جنبك أمس يا بنى ، لىكون لى شرف مجالدة الأوغاد الذين قتلتم ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أضرج أديم الأرض

بدمائها ، فأشفي منهم خَرَدًا في صدري ، وغلاً في حشاشتي ! » .  
 وأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين ...  
 وكانت الخدام العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين  
 دِليوس ، فأقبل في رجاله الذين كدهم العمل وأنهكتهم المثابرة ... فلما  
 رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه ، وهذا الرجل الغريب الذي يجلس  
 بين العائلة المقدسة ، وقموا مسبوهين مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ...  
 وحدجهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخبث ويقول : « إجلس  
 أيها العجوز دِليوس فكل أنت ورجالك ... فليس ثمة متسع لدهش  
 أو عجب ... إجلس قبل كل شيء فاملاً بطنك وبطين رجالك ... لقد  
 انتظرناكم طويلاً ، لكنكم استأنيتم ! » ولكن سرعان ما عرف دِليوس  
 مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول يديه ، وطفق يغمرهما بالقبل  
 الباكية ويقول : « أوه يا مولاي ! هكذا والله تستجيب السماء ! لقد طالما  
 جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا ! فعش واسلم وسر وابتهج ...  
 ولكن .. هل علمت الملكة بقدم مولاي ؟ ألا ننطلق من فورنا فنزف  
 إليها البشري ؟ » .

وطمأنه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه  
 معه ، وأخذوا في أكلمهم وشرابهم ، وأخذ أودسيوس يلاطفهم ويداعبهم ..  
 وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

\*\*\*

وقرع آذان الناس في المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما

حاق بالأمراء المعاميد من نكبة على يديه الجبارتين ، فأهرعت جموعهم  
 إلى قصره صاحبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى  
 فحرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن  
 الصيادين من كل فج لتُحرق ثمة ... واجتمعوا بعد ليتشاوروا بينهم  
 فيما ينبغي أن يكون ... فهض يوبيتيس والأسى يزلزل جوانحه وأنشأ  
 يقول : « أيها الرفاق ! لقد كان هذا الرجل الطاغية حراً دائماً  
 عليكم فلم يصيبكم منه إلا الشر ، ولم تثمر لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد  
 ساق شبابكم وخيرة أبطالكم إلى طروادة المشثومة حيث قتلوا أجمعين ،  
 وها هو ذا ينقلب اليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى الصولة فيكم ... فها هو ذا  
 وروا رأيكم فيه قبل أن ينطلق إلى بيلوس فيطلب العون عليكم ،  
 وتصبحوا على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار لضحايا فأي عار يسمنا  
 وأي خزي يصمنا يا قوم ! وأية حياة هذه التي تحميونها بعد ما حل بكم من  
 هوان ومذلة ... خيرا لكم أن تذبخوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع أرواح  
 قتلاكم وإن تكونوا على ذلك من الآسفين ! » ثم جلس وهو يتصدع  
 من الحزن على صاحبه أنتينوس الذي كان أول ضحايا أودسيوس ...  
 وقام ميدون المنشد التاعس فقال : « أيها المواطنون أعيروني آذانكم ا  
 تالله إن أودسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ، ولكن بعض الآلهة كان يرسم  
 له ويفافح عنه ، ولقد رأيته بعيني هاتين في صورة منظور ، ووالله ما هو  
 منظور ، ووالله لقد كان يمشي بين يديه ههنا وههنا فيراع العشاق وتفرع  
 قلوبهم ويسقط بعضهم فوق بعض فتأخذهم سهام أودسيوس ويروى

من دماثهم سيفه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أميناً صادقاً ،  
حتى طارت ألوانهم وامتعت وجوههم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وادّاروا  
طويلاً ، ثم وقف هاليتير بطلهم القديم بن مسطور ، وكانت له دراية  
بكشف أستار الماضي والحاضر والمستقبل ، فصعّر خده وقال : « أيها  
الإخوان ! يا أبناء إيشاكا ! إسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ،  
وإنها لثمرة أنتم غارسو شجرتها وأنتم اليوم جُنائتها ... أتذكرون يوم  
رجوتكم فألحقت عليكم في الرجاء أنا وصاحبي ميدون هذا ، أن نذهب  
فتمنع القصر من شبابكم ، ونصون عرض أودسيوس من أبنائكم ،  
ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ، فأبيتم أكبر الإباء ،  
ورفضتم أقبح الرفض ، وجعلتموها فتنةً كنت أستعيز بالآلهة منها ؟ !  
فعلام تغلى سراجل صدوركم يا قوم ؟ وفيم اثتاركم بالرجل وقد ثار لعرضه ؟  
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم ... الرأي ألا تذهبوا ، وألا تجعلوها  
فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، بل اقعدها ههنا آمنين ، ولا تكونوا  
كالذي سعي إلى حتفه بظلمه ، وأبطأت عليه المنايا فسعى قدماً إليها ! »  
وما فرغ حتى زجر القوم وتصايحوا به ، وضجوا من كل مكان ... ثم  
إنهم سمعوا إلى شيطان يوبيتيس ففزعوا إلى أسلحتهم ، وأسبغوا عليهم  
من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة فنظموا فيها صفوفهم ، وأقاموا يوبيتيس  
قائداً منحوساً عليهم ، وما جعلوه كذلك إلا ليلقى حتفه بيد أودسيوس ،  
وتعجل روحه إلى النار !

ومضت مينرثا إلى سيد الأولمپ ، چوف العلى فوقفت ببابه تقول :

« أبتاه ! أبن عن سريرتك ، واكشف عن مكتوم قلبك ومكنون نفسك ! هل يحل على هذه الفئة الظالمة غضبك ، أم أنك مانحها محبتك ، ومحضنها بحمايتك ؟ » فتبسم من قولها وأنشأ يجيب : « وفيه هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى أنت أن يعود أودسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه أولئك العتاة الطغاة ، ويريح وجه الأرض من خبائثهم ؟ ليكن ما تشائين ! إصنعى ما بدا لك ... ولكن نصحى أحضك إياه يامينرقا ! مادام أودسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم الملأ على الود والصفاء ، وليحكم أودسيوس بين الناس بالعدل ... وعلينا نحن أن ننزع ما في صدورهم من غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم أمانة ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبحوا بحولنا أصفياء متحابين » ورفّت مينرقا من السموات العلى إلى إيثاكا .

وفرغ أصحاب أودسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحسسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي ! لقد تسلح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ! » فنهض أودسيوس فادّرع ، وادّرع أبوه وابنه وخادماه وأبناء دوليوس الستة ، وادّرع دوليوس كذلك ، وادّرع الفلاحون الآخرون ، وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي مقدمتهم أودسيوس .

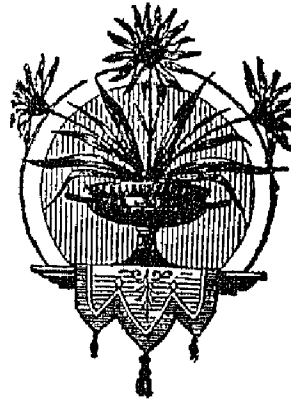
وبدت مينرقا في صورة منظور وفي طيلسانه ، فلما رآها أودسيوس

فرح واستبشر ، والتفت إلى تليماك فقال : « أى بنى عليك أنت أن تحمينا اليوم فقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تليماك يجيبه : « اطمئن يا أبى فسترى كيف يحمى العساوج فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . تالله لن أفضحك فيما وكلت إلى يا أبى ، ولن يخيب رأى أهلى فى ! » وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها .

واقتربت مينرقا من ليرتيس ، وهى لا تزال فى صورة منظور ، فقالت له : « أوه أيها الجد الوقور ! صان لمينرقا وابتهل ، وتوسل إلى چوڤ ، أن يمنحك القوة والجلد ، ثم اجمح بربك على يوبيتيس فروها من دمه ، فالسواء كلها معك » ولسته بيدها فتدفق شبابه فى قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم فطار ليرتيس إليهم برمحه ، وأقصد يوبيتيس بضربة فى صدره ، فخرج سنان الرمح يلمع من ظهره ، ورأى أودسيوس ذلك فطار إلى الملاء بسلاحه ورماحه ، وانقض تليماك فى إثره ، وهجم الآخرون فى إثر تليماك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيات ! لا نجاة اليوم ! فلقد سد عليهم أودسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم فى ضيق ، وهم ذاهلون !

وهتفت ابنة چوڤ العذراء بأودسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها الحاربون ! السلام ! السلام ! قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ! » ثم بدت مينرقا فى صورتها الإلهية المقدسة فارتعدت فرائص القوم ،

وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى أصحاب أودسيوس ! لقد ارتجفت أعصابهم  
وعصف الذعر بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنقثر على الأرض ...  
ولم يعبأ أودسيوس ، بل هجم كالنمر على القوم المنهزمين يود لو يصعقهم ،  
وطفق يرق ويرعد ، ويزأر بصوته المدوى العظيم ، فغضب سيد الأولمب ،  
وأرسل إحدى صواعقه نديراً من لدنه إلى مينرقا ، فجعلت إليه ذات  
العيين الزبرجديتين ، وزجرته عن الناس وهي تقول : « لا يا أودسيوس !  
لا يا ابن ليرتس النبيل ، لا يجدر هذا بماضيك ! ضع حداً لهذه المحزنة  
المروعة أو تجلب عليك غضب جوف العلى ! » .  
وخبّت أودسيوس ، وسرّت مينرقا ، وعقد منظور الصلح بين  
الერიقين ، ودخل الناس في السلم كافة ... !



## استدراك

نرجو أن نستدرك على قصة طروادة ، بمناسبة ظهور شقيقتها هذه ،  
ما سقط سهواً أثناء الطبع من الإشارة إلى أول الإلياذة التي تبدأ بتلك  
النزاع العقيم الذي شجر بين أجا ممنون وأخيل من جراء الفتاتين ، والذي  
يجرى ذكره في الصحيفة الثالثة بعد المائة من قصة طروادة .



# الفهرس

صفحة

٤	... ..	بين مينرفا وتليماك
١٦	... ..	تليماك يجادل العشاق
٢٩	... ..	تليماك يسائل نسطور عن أبيه
٤٢	... ..	العشاق يتآمرون
٦٤	... ..	أوديسيوس يبحر من جزيرة كالبيسو
١٣٠	... ..	أوديسيوس يروى قصته
١٤٩	... ..	رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني
١٧٠	... ..	تمام قصة أوديسيوس
١٨٦	... ..	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا
٢٠٢	... ..	مع الراعى
٢١٦	... ..	عودة تليماك
٢٣٠	... ..	أوديسيوس يلتق تليماك
٢٣٧	... ..	أوديسيوس فى قصره
٢٤٧	... ..	أوديسيوس ينشاجر مع شحاذ
٢٦٣	... ..	نذير من السماء
٢٧٨	... ..	الانتقام الهائل
٢٨٥	... ..	پنلوب .. وأخيراً .. پنلوب
٢٩٣	... ..	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

( مطبعة الرسالة — شارع السلطان حسين — حابدين )



للؤلف :

١ - أساطير الحب والجمال عند الإغريق

٢ - قصة طروادة

٣ - الأوديسة

٤ - إكيليوس والمسرح اليوناني

( تحت الطبع )

**Source: [www.bibalex.org](http://www.bibalex.org)**



**Thanks to  
[assayyad@maktoob.com](mailto:assayyad@maktoob.com)**

**To PFF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)**